سورة الأحقاف

تفسير سورة الأحقاف
مكية وآياتها خمس وثلاثون

بسم الله الرحمَن الرحيم

الآية : 1-3

القول في تأويل قوله تعالى: {حـمَ * تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ * مَا خَلَقْنَا السّمَاوَاتِ وَالأرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلاّ بِالْحَقّ وَأَجَلٍ مّسَمًّى وَالّذِينَ كَفَرُواْ عَمّآ أُنذِرُواْ مُعْرِضُونَ }.

قد تقدّم بيانُنا في معنى قوله: حم. تَنْزِيلُ الكِتابِ بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع.

وقوله: ما خَلَقْنا السّمَوَاتِ والأرْضَ وَما بَيْنَهُما إلاّ بالحَقّ يقول تعالى ذكره: ما أحدثنا السموات والأرض فأوجدناهما خلقا مصنوعا, وما بينهما من أصناف العالم إلا بالحقّ, يعني: إلا لإقامة الحقّ والعدل في الخلق.

وقوله: وأجَلٍ مُسَمّى يقول: وإلاّ بأجل لكل ذلك معلوم عنده يفنيه إذا هو بلغه, ويعدمه بعد أن كان موجودا بإيجاده إياه.

وقوله: وَالّذِينَ كَفَرُوا عَمّا أُنْذِرُوا مُعْرِضُونَ يقول تعالى ذكره: والذين جحدوا وحدانية الله عن إنذار الله إياهم معرضون, لا يتعظون به, ولا يتفكرون فيعتبرون.

الآية : 4

القول في تأويل قوله تعالى: {قُلْ أَرَأَيْتُمْ مّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ الأرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السّمَاوَاتِ ائْتُونِي بِكِتَابٍ مّن قَبْلِ هَـَذَآ أَوْ أَثَارَةٍ مّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ }.

يقول تعالى ذكره: قل يا محمد لهؤلاء المشركين بالله من قومك: أرأيتم أيها القوم الآلهة والأوثان التي تعبدون من دون الله, أروني أيّ شيء خلقوا من الأرض, فإن ربي خلق الأرض كلها, فدعوتموها من أجل خلقها ما خلقت من ذلك آلهة وأربابا, فيكون لكم بذلك في عبادتكم إياها حجة, فإن من حجتي على عبادتي إلهي, وإفرادي له الألوهة, أنه خلق الأرض فابتدعها من غير أصل.

وقوله: أمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السّمَوَاتِ يقول تعالى ذكره: أم لآلهتكم التي تعبدونها أيها الناس شرك مع الله في السموات السبع, فيكون لكم أيضا بذلك حجة في عبادتكموها, فإن من حجتي على إفرادي العبادة لربي, أنه لا شريك له في خلقها, وأنه المنفرد بخلقها دون كلّ ما سواه.

وقوله: ائْتُونِي بِكِتابٍ مِنْ قَبَلِ هَذَا يقول تعالى ذكره: بكتاب جاء من عند الله من قبل هذا القرآن الذي أنزل عليّ, بأن ما تعبدون من الآلهة والأوثان خلقوا من الأرض شيئا, أو أن لهم مع الله شركا في السموات, فيكون ذلك حجة لكم على عبادتكم إياها, لأنها إذا صحّ لها ذلك صحت لها الشركة في النّعم التي أنتم فيها, ووجب لها عليكم الشكر, واستحقت منكم الخدمة, لأن ذلك لا يقدر أن يخلقه إلا الله.

وقوله: أوْ أثارةٍ مِنْ عِلْمٍ اختلفت القرّاء في قراءة ذلك, فقرأته عامة قرّاء الحجاز والعراق أوْ أثارةٍ من علم بالألف, بمعنى: أو ائتوني ببقية من علم. ورُوي عن أبي عبد الرحمن السلميّ أنه كان يقرأه «أوْ أثَرَةٍ من علم»,

بمعنى: أو خاصة من علم أوتيتموه, وأوثرتم به على غيركم, والقـراءة الـتي لا أستجيز غيرها أوْ أثارَةٍ مِنْ عِلْمٍ بالألف, لإجماع قرّاء الأمصار عليها.

واختلف أهل التأويل في تأويلها, فقال بعضهم: معناه: أو ائتوني بعلم بـأن آلهتكم خَلَقت من الأرض شيئا, وأن لها شركا في السموات من قبـل الخـطّ الذي تخطونه في الأرض, فإنكم معشر العرب أهل عيافة وزجر وكهانة. ذكر من قال ذلك:

24145ـ حدثنا بشر بن آدم, قـال: حـدثنا أبـو عاصـم, عـن سـفيان, عـن صفوان بن سليم, عن أبي سلمة, عن ابن عباس أوْ أثارَةٍ مِنْ عِلْمٍ قال: خط كان يخطه العرب في الأرض.

24146ـ حدثنا أبو كُرَيْب, قال: قال أبو بكر: يعني ابن عياش: الخط: هـو العيافة.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: أو خاصة من علم. ذكر من قال ذلك:

24147ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة أوْ أثارَةٍ مِنْ عِلْمٍ قال: أو خاصة من علم.

حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة أوْ أثارَةٍ مِنْ عِلْمٍ قال: أي خاصة من علم.

حدثنا عبد الوارث بن عبد الصمد بن عبد الـوارث, قـال: ثنـي أبـي, عـن الحسين, عن قتادة أوْ أثارَةٍ مِنْ عِلْمٍ قال: خاصة من علم.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: أو عِلم تُثيرونه فتستخرجونه. ذكر مـن قـال ذلك:

24148ـ حدثنا ابن عبد الأعلـى, قـال: حـدثنا ابـن ثـور, عـن معمـر, عـن الحسن, في قوله: أوْ أثارَةٍ مِنْ عِلْمٍ قال: أثارة شيء يستخرجونه فِطْرة.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: أو تأثرون ذلك علما عن أحـد ممـن قبلكـم؟ ذكر من قال ذلك:

24149ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابـن أبـي نجيح, عن مجاهد أوْ أثارَةٍ مِنْ عِلْمٍ قال: أحد يأثر علما.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: أو ببينة من الأمر. ذكر من قال ذلك:

24150ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس أوْ أثارَةٍ مِنْ عِلْمٍ يقول: ببينة من الأمر.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: ببقية من علم. ذكر من قال ذلك:

24151ـ حدثنا أبو كُريب, قال: سُئل أبو بكر, يعني ابن عياش عـن أثـارَةٍ مِنْ عِلْمٍ قال: بقية من علم.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: الأثارة: البقيـة مـن علـم, لأن ذلك هو المعروف من كلام العرب, وهـي مصـدر مـن قـول القائـل: أثـر الشيء أثارة, مثل سمج سماجة, وقبح قباحة, كما قال راعي الإبل:

وذاتِ أثارةٍ أكَلَتْ عَلَيْهانَبَاتا فِي أكِمتِهِ قَفَارَا

يعني: وذات بقية من شحم, فأما من قرأه أوْ أثَرةٍ فإنه جعله أثرة من الأثر, كما قيل: قترة وغبرة. وقد ذُكـر عـن بعضـهم أنـه قـرأه «أوْ أثْـرةٍ» بسـكون الثاء, مثل الرجفة والخطفة, وإذا وجه ذلك إلى ما قلنا فيه من أنه بقيـة مـن علم, جاز أن تكون تلك البقية من علم الخـط, ومـن علـم اسـتثير مـن كُتـب الأوّلين, ومن خاصة علم كانوا أوثروا به. وقد رُوي عن رسول الله صلى الله

عليه وسلم في ذلك خبر بأنه تأوّله أنه بمعنى الخط, سنذكره إن شاء الله تعالى, فتأويل الكلام إذن: ائتوني أيها القوم بكتاب من قبل هذا الكتاب, بتحقيق ما سألتكم تحقيقه من الحجة على دعواكم ما تدّعون لآلهتكم, أو ببقية من علم يوصل بها إلى علم صحة ما تقولون من ذلك إنْ كُنْتُمْ صادِقِين في دعواكم لها ما تدّعون, فإن الدعوى إذا لم يكن معها حجة لم تُغنِ عن المدّعي شيئا.

الآية : 5

القول في تأويل قوله تعالى: {وَمَنْ أَضَلّ مِمّن يَدْعُو مِن دُونِ اللّهِ مَن لاّ يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَافِلُونَ }.

يقول تعالى ذكره: وأيّ عبد أضلّ من عبد يدعو من دون الله آلهة لا تستجيب له إلى يوم القيامة: يقول: لا تُجيب دعاءه أبدا, لأنها حجر أو خشب أو نحو ذلك.

وقوله: وهُمْ عَنْ دُعائهِمْ غافِلُون يقول تعالى ذكره: وآلهتهم التي يدعونهم عن دعائهم إياهم في غفلة, لأنها لا تسمع ولا تنطق, ولا تعقل. وإنما عنى بوصفها بالغفلة, تمثيلها بالإنسان الساهي عما يقال له, إذ كانت لا تفهم مما يقال لها شيئا, كما لا يفهم الغافل عن الشيء ما غفل عنه. وإنما هذا توبيخ من الله لهؤلاء المشركين لسوء رأيهم, وقُبح اختيارهم في عبادتهم, من لا يعقل شيئا ولا يفهم, وتركهم عبادة من جميع ما بهم من نعمته, ومن به استغاثتهم عندما ينزل بهم من الحوائج والمصائب. وقيل: من لا يستجيب له, فأخرج ذكر الآلهة وهي جماد مخرج ذكر بني آدم, ومن له الاختيار والتمييز, إذ كانت قد مثلتها عبدتها بالملوك والأمراء التي تخدم في خدمتهم إياها, فأجرى الكلام في ذلك على نحو ما كان جاريا فيه عندهم.

الآية : 6-7

القول في تأويل قوله تعالى: {وَإِذَا حُشِرَ النّاسُ كَانُواْ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ * وَإِذَا تُتْلَىَ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيّنَاتٍ قَالَ الّذِينَ كَفَرُواْ لِلْحَقّ لَمّا جَآءَهُمْ هَـَذَا سِحْرٌ مّبِينٌ }.

يقول تعالى ذكره: وإذا جُمع الناس يوم القيامة لموقف الحساب, كانت هذه الآلهة التي يدعونها في الدنيا لهم أعداء, لأنهم يتبرّأون منهم وكانُوا بعِبادَتِهِمْ كافِرِين يقول تعالى ذكره: وكانت آلتهم التي يعبدونها في الدنيا بعبادتهم جاحدين, لأنهم يقولون يوم القيامة: ما أمرناهم بعبادتنا, ولا شعرنا بعبادتهم إيانا, تبرأنا إليك منهم يا ربنا.

وقوله: وَإذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آياتُنا بَيّناتٍ يقول تعالى ذكره: وإذا يقرأ على هؤلاء المشركين بالله من قومك آياتنا, يعني حججنا التي احتججناها عليهم, فيما أنزلناه من كتابنا على محمد صلى الله عليه وسلم بيّناتٍ يعني واضحات نيرات قالَ الّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقّ لَمّا جاءَهُمْ يقول تعالى ذكره: قال الذين جحدوا وحدانية الله, وكذّبوا رسوله للحقّ لما جاءهم من عند الله, فأنزل على رسوله صلى الله عليه وسلم هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ يعنون هذا القرآن خداع يخدعنا, ويأخذ بقلوب من سمعه فعل السحر مبين: يقول: يُبين لمن تأمله ممن سمعه أنه سحر مبين.

الآية : 8

القول في تأويل قوله تعالى: {أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَلاَ تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئاً هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَى بِهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ الرّحِيمُ }.

يقول تعالى ذكره: أم يقولون هؤلاء المشركون بالله من قريش, افترى محمد هذا القرآن, فاختلقه وتخرّصه كذبا, قل لهم يا محمد إن افتريته وتخرّصته على الله كذبا فَلا تَمْلِكُونَ لي يقول: فلا تغنون عني من الله إن عاقبني على افترائي إياه, وتخرّصي عليه شيئا, ولا تقدرون أن تدفعوا عني سوءا إن أصابني به.

وقوله: هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيه يقول: ربي أعلم من كلّ شيء سواه بما تقولون بينكم في هذا القرآن والهاء من قوله: تُفِيضُونَ فِيهِ من ذكر القرآن.

وبنحو الذي قلنا في معنى قوله: تُفِيضُونَ فِيهِ قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

24152ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قوله: إذْ تُفِيضُونَ فِيهِ قال: تقولون.

وقوله: كَفَى بِهِ شَهِيدا بَيْنِي وَبَيْنَكمْ يقول: كفى بالله شاهدا عليّ وعليكم بما تقولون من تكذيبكم لي فيما جئتكم به من عند الله الغفور الرحيم لهم, بأن لا يعذبهم عليها بعد توبتهم منها.

الآية : 9

القول في تأويل قوله تعالى: {قُلْ مَا كُنتُ بِدْعاً مّنَ الرّسُلِ وَمَآ أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلاَ بِكُمْ إِنْ أَتّبِعُ إِلاّ مَا يُوحَىَ إِلَيّ وَمَآ أَنَاْ إِلاّ نَذِيرٌ مّبِينٌ }.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل يا محمد لمشركي قومك من قريش ما كُنْتُ بِدْعا مِنَ الرّسُل يعني: ما كنت أوّل رسل الله التي أرسلها إلى خلقه, قد كان من قبلي له رسل كثيرة أرسلت إلى أمم قبلكم يقال منه: هو بدع في هذا الأمر, وبديع فيه, إذا كان فيه أوّل. ومن البدع قول عديّ بن زيد.

فَلا أنا بِدْعٌ مِنْ حَوَادِثَ تَعْتَرِيرِجالاً عَرَتْ مِنْ بَعْدِ بُؤْسَي وأسْعُدِ

ومن البديع قول الأحوص:

فَخَرَتْ فانْتَمَتْ فقُلْتُ انْظُرِينيليسَ جَهْلٌ أتَيْتِهِ بِبَدِيعِ

يعني بأوّل, يقال: هو بدع من قوم أبداع. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

24153ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: ما كُنْتُ بِدْعا مِنَ الرّسُلِ يقول: لست بأوّل الرسل.

حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: وَما كُنْتُ بِدْعا مِنَ الرّسُلِ قال: يقول: ما كنت أوّل رسول أرسل.

24154ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: ما كُنْتُ بِدْعا مِنَ الرّسُلِ قال: ما كنت أوّلهم.

24155ـ حدثنا ابن حُمَيد, قال: حدثنا عبد الوهاب بن معاوية, عن أبي هبيرة, قال: سألت قتادة قُلْ ما كُنْتُ بِدْعا مِنَ الرّسُلِ قال: أي قد كانت قبلي رسل.

حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: قُلْ ما كُنْتُ بِدْعا مِنَ الرّسُلِ يقول: أي إن الرسل قد كانت قبلي.

حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة, في قوله: بِدْعا مِنَ الرّسُلِ قال: قد كانت قبله رسل.

وقوله: وَما أدْرِي ما يُفْعَلُ بِي وَلا بِكُمْ اختلف أهل التأويل في تأويله, فقال بعضهم: عني به رسول الله صلى الله عليه وسلم, وقيل له: قل للمؤمنين بك ما أدري ما يفعل بي ولا بكم يوم القيامة, وإلام نصير هنالك, قالوا ثم بين الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين به حالهم في الآخرة, فقيل له إنّا فَتَحْنا لَكَ فَتْحا مُبينا. لِيَغْفِرَ لَكَ اللّهُ ما تَقَدّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَما تَأخّرَ وقال: لِيُدْخِلَ المُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِناتِ جَنّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِها الأنهارُ خالِدِينَ فِيها وَيُكَفّرَ عَنْهُمْ سَيّئاتِهِمْ. ذكر من قال ذلك:

24156ـ حدثنا عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: وَما أدْرِي ما يُفْعَلُ بِي وَلا بِكُمْ فأنزل الله بعد هذا لِيَغْفِرَ لَكَ اللّهُ ما تَقَدّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَما تَأخّرَ.

24157ـ حدثنا ابن حُمَيد, قال: حدثنا يحيى بن واضح, عن الحسين, عن يزيد, عن عكرمة والحسن البصري قالا: قال في حم الأحقاف وَما أدْرِي ما يُفْعَلُ بِي وَلا بِكُمْ, إنْ أتّبِعُ إلاّ ما يُوحَى إليّ وَما أنا إلاّ نَذِيرٌ مُبِينٌ فنسختها الآية التي في سورة الفتح إنّا فَتَحْنا لَكَ فَتْحا مُبِينا لِيَغْفِرَ لَكَ اللّهُ... الآية, فخرج نبيّ الله صلى الله عليه وسلم حين نزلت هذه الآية, فبشرهم بأنه غفر له ما تقدّم من ذنبه وما تأخر, فقال له رجال من المؤمنين: هنيئا لك يا نبيّ الله, قد علمنا ما يفعل بك, فماذا يُفعل بنا؟ فأنزل الله عزّ وجلّ في سورة الأحزاب, فقال: وَبَشّرِ المُؤْمِنِينَ بأنّ لَهُمْ مِنَ اللّهِ فَضْلاً كَبيرا وقال لِيُدْخِلَ المُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِناتِ جَنّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِها الأنهارُ خالِدِينَ فِيها, وَيُكَفّرَ عَنْهُمْ سَيّئاتِهِمْ وكان ذلكَ عِنْدَ اللّهِ فَوْزا عَظِيما, وَيُعَذّبَ المُنافِقِينَ وَالمُنَافِقاتِ وَالمُشْرِكينَ وَالمُشْرِكاتِ الظّانّينَ باللّهِ... الآية, فبين الله ما يفعل به وبهم.

24158ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وَما أدْرِي ما يُفَعَلُ بِي وَلا بِكُمْ ثم دري أو علم من الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك ما يفعل به, يقول إنّا فَتَحْنا لَكَ فَتْحا مُبِينا لِيَغْفِرَ لَكَ اللّهُ ما تَقَدّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَما تَأخّرَ.

حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة, في قوله: وَما أدْرِي ما يُفْعَلُ بِي وَلا بِكُمْ قال: قد بين له أنه قد غفر من ذنبه ما تقدّم وما تأخر.

وقال آخرون: بل ذلك أمر من الله جلّ ثناؤه نبيه عليه الصلاة والسلام أن يقوله للمشركين من قومه ويعلم أنه لا يدري إلام يصير أمره وأمرهم في الدنيا, أيصير أمره معهم أن يقتلوه أو يخرجوه من بينهم, أو يؤمنوا به فيتبعوه, وأمرهم إلى الهلاك, كما أهلكت الأمم المكذّبة رسلها من قبلهم أو إلى التصديق له فيما جاءهم به من عند الله. ذكر من قال ذلك:

24159ـ حدثنا ابن حُمَيد, قال: حدثنا يحيى بن واضح, قال: حدثنا أبو بكر الهذليّ, عن الحسن, في قوله: وَما أدْرِي ما يُفْعَلُ بِي وَلا بِكُمْ فقال: أما في الآخرة فمعاذ الله, قد علم أنه في الجنة حين أخذ ميثاقه في الرسل, ولكن قال: وما أدري ما يفعل بي ولا بكم في الدنيا, أخرج كما أخرجت الأنبياء

قبلي أو أُقتل كما قُتلت الأنبياء من قبلي, ولا أدري ما يُفْعل بي ولا بكم, أمتي المكذّبة, أم أمتي المصدّقة, أم أمتي المرمية بالحجارة من السماء قذفا, أم مخسوف بها خسفا, ثم أوحي إليه: وَإِذْ قُلْنا لَكَ إِنّ رَبّكَ أحاطَ بالنّاس يقول: أحطت لك بالعرب أن لا يقتلوك, فعرف أنه لا يُقتل, ثم أنزل الله عزّ وجلّ: هُوَ الّذِي أرْسَلَ رَسُولَهُ بالهُدَى وَدِينِ الحَقّ لِيُظْهِرَهُ على الدّين كُلّهِ, وَكَفَى باللّهِ شَهِيدا يقول: أشهد لك على نفسه أنه سيُظهر دينك على الأديان, ثم قال له في أمته: وَما كانَ اللّهُ لِيُعَذّبَهُمْ وأنْتَ فِيهِمْ, وَما كانَ اللّهُ مُعَذّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ فأخبره الله ما يصنع به, وما يصنع بأمته.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: وما أدري ما يفترض عليّ وعليكم, أو ينزل من حكم, وليس يعني ما أدري ما يفعل بي ولا بكم غدا في المعاد من ثواب الله من أطاعه, وعقابه من كذّبه.

وقال آخرون: إنما أمر أن يقول هذا في أمر كان ينتظره من قِبَل الله عزّ وجلّ في غير الثواب والعقاب.

وأولى الأقوال في ذلك بالصحة وأشبهها بما دلّ عليه التنزيل, القول الذي قاله الحسن البصري, الذي رواه عنه أبو بكر الهُذَليّ.

وإنما قلنا ذلك أولاها بالصواب لأن الخطاب من مبتدإ هذه السورة إلى هذه الآية, والخبر خرج من الله عزّ وجلّ خطابا للمشركين وخبرا عنهم, وتوبيخا لهم, واحتجاجا من الله تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم عليهم. فإذا كان ذلك كذلك, فمعلوم أن هذه الآية أيضا سبيلها سبيل ما قبلها وما بعدها في أنها احتجاج عليهم, وتوبيخ لهم, أو خبر عنهم. وإذا كان ذلك كذلك, فمحال أن يقال للنبيّ صلى الله عليه وسلم: قل للمشركين ما أدري ما يُفعل بي ولا بكم في الآخرة, وآيات كتاب الله عزّ وجلّ في تنزيله ووحيه إليه متتابعة بأن المشركين في النار مخلدون, والمؤمنون به في الجنان منعمون, وبذلك يرهبهم مرّة, ويرغبهم أخرى, ولو قال لهم ذلك, لقالوا له: فعلام نتبعك إذن وأنت لا تدري إلى أيّ حال تصير غدا في القيامة, إلى خفض ودعة, أم إلى شدّة وعذاب وإنما اتباعنا إياك إن اتبعناك, وتصديقنا بما تدعونا إليه, رغبة في نِعمة, وكرامة نصيبها, أو رهبة من عقوبة, وعذاب نهرب منه, ولكن ذلك كما قال الحسن, ثم بين الله لنبيه صلى الله عليه وسلم ما هو فاعل به, وبمن كذّب بما جاء به من قومه وغيرهم.

وقوله: إنْ أتّبِعُ إلاّ ما يُوحَى إليّ يقول تعالى ذكره: قل لهم ما أتبع فيما آمركم به, وفيما أفعله من فعل إلا وحي الله الذي يوحيه إليّ, وَما أنا إلاّ نَذِيرٌ مُبِينٌ يقول: وما أنا لكم إلا نذير, أنذركم عقاب الله على كفركم به مبين: يقول: قد أبان لكم إنذاره, وأظهر لكم دعاءه إلى ما فيه نصيحتكم, يقول: فكذلك أنا.

الآية : 10

القول في تأويل قوله تعالى: {قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ اللّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مّن بَنِيَ إِسْرَائِيلَ عَلَىَ مِثْلِهِ فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظّالِمِينَ }.

يقول تعالى ذكره: قل يا محمد لهؤلاء المشركين القائلين لهذا القرآن لما جاءهم هذا سحر مبين أرأيْتُمْ أيها القوم إنْ كانَ هذا القرآن مِنْ عِنْدِ اللّهِ أنزله عليّ وكَفَرْتُمْ أنتم بِهِ يقول: وكذّبتم أنتم به.

وقوله: وَشَهِدَ شاهِدٌ مِنْ بَني إسْرائِيلَ عَلى مِثْلِهِ اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك, فقال بعضهم: معناه: وشهد شاهد من بني إسرائيل, وهو موسى بن عمران عليه السلام على مثله, يعني على مثل القرآن, قالوا: ومثل القرآن الذي شهد عليه موسى بالتصديق التوراة. ذكر من قال ذلك:

24160ـ حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا عبد الوهاب, قال: حدثنا داود, عن عامر, عن مسروق في هذه الآية: وشَهِدَ شاهِدٌ مِنْ بَني إسْرائِيلَ عَلى مِثْلِهِ فخاصم به الذين كفروا من أهل مكة, التوراة مثل القرآن, وموسى مثل محمد صلى الله عليه وسلم.

حدثني محمد بن المثنى, قال: حدثنا عبد الأعلى, قال: سُئل داود, عن قوله: قُلْ أرأيْتُمْ إنْ كانَ مِنْ عنْدِ اللّهِ وكَفَرْتُمْ بِهِ... الآية, قال داود, قال عامر, قال مسروق: والله ما نزلت في عبد الله بن سلام, ما نزلت إلا بمكة, وما أسلم عبد الله إلا بالمدينة, ولكنها خصومة خاصم محمد صلى الله عليه وسلم بها قومه, قال: فنزلت قُلْ أرأيْتُمْ إنْ كانَ مِنْ عنْدِ اللّهِ وكَفَرْتُمْ بِهِ وشَهِدَ شاهِدٌ مِنْ بَني إسْرائِيلَ عَلى مِثْلِهِ فآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ قال: فالتوراة مثل القرآن, وموسى مثل محمد صلى الله عليه وسلم, فآمنوا بالتورَاة وبرسولهم, وكفرتم.

24161ـ حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا ابن إدريس, قال: سمعت داود بن أبي هند, عن الشعبيّ, قال: أناس يزعمون أن شاهدا من بني إسرائيل على مثله عبد الله بن سلام, وإنما أسلم عبد الله بن سلام بالمدينة وقد أخبرني مسروق أن آل حم, إنما نزلت بمكة, وإنما كانت محاجة رسول الله صلى الله عليه وسلم قومه, فقال: أرأيْتُمْ إنْ كانَ مِنْ عنْدِ اللّهِ يعني القرآن وكَفَرْتُمْ بِهِ وشَهِدَ شاهِدٌ مِنْ بَني إسْرائِيلَ عَلى مِثْلِهِ فآمَنَ موسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام على الفرقان.

حدثني أبو السائب, قال: حدثنا ابن إدريس, عن داود, عن الشعبيّ, قال: إن ناسا يزعمون أن الشاهد على مثله: عبد الله بن سلام, وأنا أعلم بذلك, وإنما أسلم عبد الله بالمدينة, وقد أخبرني مسروق أن آل حم إنما نزلت بمكة, وإنما كانت محاجة رسول الله صلى الله عليه وسلم لقومه, فقال: قُلْ أرأيْتُمْ إنْ كانَ مِنْ عنْدِ اللّهِ يعني الفرقان وشَهِدَ شاهِدٌ مِنْ بَني إسْرائِيلَ عَلى مِثْلِهِ فمثل التوراة الفرقان, التوراة شهد عليها موسى, ومحمد على الفرقان صلى الله عليهما وسلم.

حدثني يعقوب, قال: حدثنا ابن علية, قال: أخبرنا داود, عن الشعبيّ, عن مسروق, في قوله قُلْ أرأيْتُمْ إنْ كانَ مِنْ عنْدِ اللّهِ الآية, قال: كان إسلام ابن سلام بالمدينة ونزلت هذه السورة بمكة إنما كانت خصومة بين محمد عليه الصلاة والسلام وبين قومه, فقال: قُلْ أرأيْتُمْ إنْ كانَ مِنْ عنْدِ اللّهِ وكَفَرْتُمْ بِهِ وشَهِدَ شاهِدٌ مِنْ بَني إسْرائِيلَ عَلى مِثْلِهِ قال: التوراة مثل الفرقان, وموسى مثل محمد, فآمن به واستكبرتم, ثم قال: آمن هذا الذي من بني إسرائيل بنبيه وكتابه, واستكبرتم أنتم, فكذّبتم أنتم نبيكم وكتابكم, إنّ الله لا يهْدِي... إلى قوله: هَذا إفْكٌ قَدِيمٌ.

وقال آخرون: عنى بقوله: وشَهِدَ شاهِدٌ مِنْ بَني إسْرائِيلَ عَلى مِثْلِهِ عبد الله بن سلام, قالوا: ومعنى الكلام وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثل هذا القرآن بالتصديق. قالوا: ومثل القرآن التوراة. ذكر من قال ذلك:

24162ـ حدثني يونس, قال: حدثنا عبد الله بـن يوسـف التّنّيسـي, قـال: سمعت مالك بن أنس يحدّث عن أبي النضـر, عـن عـامر بـن سـعد بـن أبـي وقّاص, عن أبيه, قال: ما سمعت رسول الله صلى اللـه عليـه وسـلم يقـول لأحد يمشي على الأرض إنه من أهل الجنة إلا لعبد الله بن سلام قـال: وفيـه نزلت وشَهِدَ شاهِدٌ مِنْ بَني إسْرائِيلَ عَلى مِثْلِهِ.

24163ـ حدثنا الحسين بن عليّ الصّدَائي, قال: حدثنا أبو داود الطيالسي, قال: حدثنا شعيب بن صفوان, قال: حدثنا عبد الملك بن عمير, أن محمد بن يوسف بن عبد الله بن سلام, قال: قال عبد اللـه: أنـزل فـيّ قُـلْ أرأيْتُـمْ إنْ كانَ مِنْ عنْدِ اللّهِ.... إلى قوله: فآمَن واسْتَكْبَرْتُم.

حدثني عليّ بن سعد بن مسروق الكنديّ, قال: حدثنا أبو محمد يحيى بن يعلى, عن عبد الملك بن عمير, عن ابن أخي عبد الله بن سـلام, قـال: قـال عبد الله بن سلام: نزلت فيّ وشَهِدَ شاهِدٌ مِنْ بَني إسْرائِيلَ عَلى مِثْلِهِ فـآمَن واسْتَكْبَرْتُمْ إنّ الله لا يهْدِي القَوْم الظّالمِينَ.

24164ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: قُلْ أرأيْتُمْ إنْ كانَ مِنْ عنْدِ اللّهِ... الآية, قال: كان رجل من أهل الكتاب آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم, فقال: إنا نجده في التوراة, وكان أفضـل رجـل منهـم, وأعلمهـم بالكتـاب, فخاصـمت اليهود النبيّ صلى الله عليه وسلم, فقال: «أتَرْضَوْنَ أنْ يَحْكُـمْ بَيْنِـي وَبَيْنَكُـمْ عَبْدُ اللّهِ بْنُ سَلام»؟ «أتُؤْمِنُـونَ»؟ قـالوا: نعـم, فأرسـل إلـى عبـد اللـه بـن سلام, فقال: «أتَشْهَدُ أنّي رَسُولُ اللّهِ مَكتُوبا فِي التّـوْرَاةِ والإنْجِيـلِ», قـال: نعم, فأعرضت اليهود, وأسلم عبد الله بن سـلام, فهـو الـذي قـال اللـه جـلّ ثناؤه عنه: وشَهِدَ شاهِدٌ مِنْ بَني إسْرائِيلَ عَلى مِثْلِهِ فآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ يقـول: فآمن عبد الله بن سلام.

24165ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبـي نجيح, عن مجاهد, في قوله: وشَهِدَ شاهِدٌ مِنْ بَني إسْرائِيلَ عَلى مِثْلِـهِ قـال: عبد الله بن سلام.

24166ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عـن قتـادة قُـلْ أرأيْتُمْ إنْ كانَ مِنْ عنْدِ اللّهِ... الآية, كنا نحدّث أنـه عبـد اللـه بـن سـلام آمـن بكتاب الله وبرسوله وبالإسلام, وكان من أحبار اليهود.

حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمـر, عـن قتـادة, فـي قوله: وشَهِدَ شاهِدٌ مِنْ بَني إسْرائِيلَ عَلى مِثْلِهِ؟ قال: هو عبد الله بن سلام.

24167ـ حُدثت عن الحسين قال: سمعت أبا معـاذ يقـول: أخبرنـا عبيـد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: وشَهِدَ شاهِدٌ مِنْ بَنـي إسْـرائِيلَ عَلـى مِثْلِهِ الشاهد: عبد الله بن سلام, وكان من الأحبار من علمـاء بنـي إسـرائيل, وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اليهود, فـأتوه, فسـألهم فقـال: «أتَعْلَمُون أنّي رسُولُ اللّهِ تجدُونَنِي مَكْتُوبـا عِنْـدكُمْ فـي التّـوْراةِ»؟ قـالوا: لا نعلم ما تقول, وإنا بما جئت به كافرون, فقال: «أيّ رجُل عَبْدُ اللّهِ بْنُ سَـلام عنْدَكُمْ»؟ قالوا: عالمنا وخيرنا, قـال: «أتَرْضـوْن بـهِ بَيْنِـي وَبَيْنَكُـمْ»؟ قـالوا: نعم, فأرسل رسول الله صـلى اللـه عليـه وسـلم إلـى عبـد اللـه بـن سـلام, فجاءه فقال: «ما شَهادَتُكَ يا بْنَ سَلام»؟ قال: أشهد أنـك رسـول اللـه, وأن

كتابك جاء من عند الله, فآمن وكفروا, يقول الله تبارك وتعالى فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ.

24168ـ حدثنا محمد بن بشار, قال: حدثنا محمد بن جعفر, قال: حدثنا عوف, عن الحسن, قال: بلغني أنه لما أراد عبد الله بن سلام أن يسلم قال: يا رسول الله, قد علمت اليهود أني من علمائهم, وأن أبي كان من علمائهم, وإني أشهد أنك رسول الله, وأنهم يجدونك مكتوبا عندهم في التوراة, فأرسل إلى فلان وفلان, ومن سماه من اليهود, وأخبئني في بيتك, وسلهم عني, وعن أبي, فإنهم سيحدّثونك أني أعلمهم, وأن أبي من أعلمهم, وإني سأخرج إليهم, فأشهد أنك رسول الله, وأنهم يجدونك مكتوبا عندهم في التوراة, وأنك بُعثت بالهدى ودين الحقّ, قال: ففعل رسول الله صلى الله عليه وسلم, فخبأه في بيته وأرسل إلى اليهود, فدخلوا عليه, فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما عبد الله بن سلام فيكم»؟ قالوا: أعلمنا نفسا. وأعلمنا أبا. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أرأيْتُمْ إنْ أسْلَمَ تُسْلِمُونَ»؟ قالوا: لا يسلم, ثلاث مرار, فدعاه فخرج, ثم قال: أشهد أنك رسول الله, وأنهم يجدونك مكتوبا عندهم في التوراة, وأنك بُعثت بالهدى ودين الحقّ, فقالت اليهود: ما كنا نخشاك على هذا يا عبد الله بن سلام, قال: فخرجوا كفارا, فأنزل الله عزّ وجلّ في ذلك قُلْ أرأيْتُمْ إنْ كانَ مِنْ عنْدِ اللّهِ وكَفَرْتُمْ بِهِ وشَهِدَ شاهِدٌ مِنْ بَني إسْرائِيلَ عَلى مِثْلِهِ, فآمَنَ واسْتَكْبَرْتُمْ.

24169ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وشَهِدَ شاهِدٌ مِنْ بَني إسْرائِيلَ عَلى مِثْلِهِ فآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُم قال: هذا عبد الله بن سلام, شهد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكتابه حقّ, وهو في التوراة حقّ, فآمن واستكبرتم.

24170ـ حدثني أبو شرحبيل الحمصي, قال: حدثنا أبو المغيرة, قال: حدثنا صفوان بن عمرو, عن عبد الرحمن بن جُبير بن نفير, عن أبيه, عن عوف بن مالك الأشجعي, قال: انطلق النبيّ صلى الله عليه وسلم وأنا معه, حتى دخلنا كنيسة اليهود بالمدينة يوم عيد لهم, فكرهوا دخولنا عليهم, فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم «يا مَعْشَرَ اليَهُودِ إرُوني اثْنَي عَشَرَ رَجُلاً يَشْهَدُونَ إنّهُ لا إلَهَ إلاّ هُو, وأنّ مَحمّدا رَسُولُ اللّهِ, يُحْبِطُ اللّهُ عَنْ كُلّ يَهُودِيّ تَحْتَ أدِيمِ السّماءِ الغَضَبَ الّذِي غَضِب عَلَيْهِ», قال: فأسكتوا فما أجابه منهم أحد, ثم ثلّث فلم يجبه أحد, فانصرف وأنا معه, حتى إذا كدنا أن نخرج نادى رجل من خلفنا: كما أنت يا محمد, قال: فأقبل, فقال ذلك الرجل: أيّ رجل تَعلموني فيكم يا معشر اليهود, قالوا: والله ما نعلم أنه كان فينا رجل أعلم بكتاب الله, ولا أفقه منك, ولا من أبيك, ولا من جدّك قبل أبيك, قال: فإني أشهد بالله أنه النبيّ صلى الله عليه وسلم الذي تجدونه في التوراة والإنجيل, قالوا كذبت, ثم ردّوا عليه قوله وقالوا له شرّا, فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كَذَبْتُمْ لَنْ نَقْبَلَ قَوْلَكُمْ, أما آنفا فَتَثْنُونَ عَلَيْهِ مِنَ الخَيْرِ ما أثْنَيْتُم, وأمّا إذْ آمَنَ كَذّبْتُمُوهُ وَقُلْتُمْ ما قُلْتُمْ, فَلَنْ نَقْبَلَ قَوْلَكُم», قال: فخرجنا ونحن ثلاثة: رسول الله صلى الله عليه وسلم, وأنا, وعبد الله بن سلام, فأنزل الله فيه: قُلْ أرأيْتُمْ إنْ كانَ مِنْ عنْدِ اللّهِ... الآية.

والصواب من القول في ذلك عندنا أن الذي قاله مسروق في تأويل ذلك أشبه بظاهر التنزيل, لأن قوله: قُلْ أرأيْتُمْ إنْ كانَ مِنْ عنْدِ اللّهِ وكَفَرْتُمْ بِهِ وشَهِدَ شاهِدٌ مِنْ بَني إسْرائِيلَ عَلى مِثْلِهِ في سياق توبيخ الله تعالى ذكره

مشركي قريش, واحتجاجا عليهم لنبيه صلى الله عليه وسلم, وهذه الآية نظيرة سائر الآيات قبلها, ولم يجر لأهل الكتاب ولا لليهود قبل ذلك ذكر, فتوجه هذه الآية إلى أنها فيهم نزلت, ولا دلّ على انصراف الكلام عن قصص الذين تقدّم الخبر عنهم معنى, غير أن الأخبار قد وردت عن جماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن ذلك عنى به عبد الله بن سلام وعليه أكثر أهل التأويل, وهم كانوا أعلم بمعاني القرآن, والسبب الذي فيه نزل, وما أريد به, فتأويل الكلام إذ كان ذلك كذلك, وشهد عبد الله بن سلام, وهو الشاهد من بني إسرائيل على مثله, يعني على مثل القرآن, وهو التوراة, وذلك شهادته أن محمدا مكتوب في التوراة أنه نبيّ تجده اليهود مكتوبا عندهم في التوراة, كما هو مكتوب في القرآن أنه نبيّ.

وقوله: فآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ يقول: فآمن عبد الله بن سلام, وصدّق بمحمد صلى الله عليه وسلم, وبما جاء به من عند الله, واستكبرتم أنتم على الإيمان بما آمن به عبد الله بن سلام معشر اليهود إنّ اللّهَ لا يَهْدِي القَوْمَ الظّالِمِينَ يقول: إن الله لا يوفّق لإصابة الحقّ, وهدى الطريق المستقيم, القوم الكافرين الذين ظلموا أنفسهم بإيجابهم لها سخط الله بكفرهم به.

الآية : 11

القول في تأويل قوله تعالى: {وَقَالَ الّذِينَ كَفَرُواْ لِلّذِينَ آمَنُواْ لَوْ كَانَ خَيْراً مّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُواْ بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَـَذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ }.

يقول تعالى ذكره: وقال الذين جحدوا نبوّة محمد صلى الله عليه وسلم من يهود بني إسرائيل للذين آمنوا به, لو كان تصديقكم محمدا على ما جاءكم به خيرا, ما سبقتمونا إلى التصديق به, وهذا التأويل على مذهب من تأوّل قوله: وشَهِدَ شاهِدٌ مِنْ بَني إسْرائِيلَ عَلى مِثْلِهِ أنه معنيّ به عبد الله بن سلام, فأما على تأويل من تأوّل أنه عُني به مشركو قريش, فإنه ينبغي أن يوجه تأويل قوله: وَقالَ الّذِين كَفَرُوا لِلّذِينَ آمَنُوا لَوْ كانَ خَيْرا ما سَبَقُونا إلَيْهِ أنه عُنِي به مشركو قريش وكذلك كان يتأوّله قتادة, وفي تأويله إياه كذلك ترك منه تأويله, قوله: وشَهِدَ شاهِدٌ مِنْ بَني إسْرائِيلَ عَلى مِثْلِهِ أنه معنيّ به عبد الله بن سلام. ذكر الرواية عنه بذلك:

24171ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة وَقالَ الّذِينَ كَفَرُوا لِلّذِينَ آمَنُوا لَوْ كانَ خَيْرا ما سَبَقُونا إلَيْهِ قال: قال ذاك أناس من المشركين: نحن أعزّ, ونحن, ونحن, فلو كان خيرا ما سبقنا إليه فلان وفلان, فإن الله يختصّ برحمته من يشاء.

حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وَقالَ الّذِينَ كَفَرُوا لِلّذِينَ آمَنُوا لَوْ كانَ خَيْرا ما سَبَقُونا إلَيْهِ قال: قد قال ذلك قائلون من الناس, كانوا أعزّ منهم في الجاهلية, قالوا: والله لو كان هذا خيرا ما سبقنا إليه بنو فلان وبنو فلان, يختصّ الله برحمته من يشاء, ويكرم الله برحمته من يشاء, تبارك وتعالى.

وقوله: وَإذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ يقول تعالى ذكره: وإذ لم يبصروا بمحمد وبما جاء به من عند الله من الهدى, فيرشدوا به الطريق المستقيم فَسَيَقُولُونَ هَذَا إفْكٌ قَدِيمٌ يقول: فسيقولون هذا القرآن الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم أكاذيب من أخبار الأوّلين قديمة, كما قال جل ثناؤه مخبرا عنهم, وَقالُوا أساطِيرُ الأوّلِينَ اكْتَتَبَها فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وأصِيلاً.

الآية : 12

القول في تأويل قوله تعالى: {وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىَ إِمَاماً وَرَحْمَةً وَهَـَذَا كِتَابٌ مّصَدّقٌ لّسَاناً عَرَبِيّاً لّيُنذِرَ الّذِينَ ظَلَمُواْ وَبُشْرَىَ لِلْمُحْسِنِينَ }.

يقول تعالى ذكره: ومن قبل هذا الكتاب, كتاب موسى, وهو التوراة, إماما لبني إسرائيل يأتمون به, ورحمة لهم أنزلناه عليهم. وخرج الكلام مخرج الخبر عن الكتاب بغير ذكر تمام الخبر اكتفاءً بدلالة الكلام على تمامه وتمامه: ومن قبله كتاب موسى إماما ورحمة أنزلناه عليه, وهذا كتاب أنزلناه لسانا عربيا.

اختلف في تأويل ذلك, وفي المعنى الناصب لِسانا عَرَبِيّا أهل العربية, فقال بعض نحويي البصرة: نصب اللسان والعربي, لأنه من صفة الكتاب, فانتصب على الحال, أو على فعل مضمر, كأنه قال: أعني لسانا عربيا. قال: وقال بعضهم على مصدق جعل الكتاب مصدق اللسان, فعلى قول من جعل اللسان نصبا على الحال, وجعله من صفة الكتاب, ينبغي أن يكون تأويل الكلام, وهذا كتاب بلسان عربيّ مصدّق التوراة كتاب موسى, بأن محمدا لله رسول, وأن ما جاء به من عند الله حقّ. وأما القول الثاني الذي حكيناه عن بعضهم, أنه جعل الناصب للسان مصدّق, فقول لا معنى له, لأن ذلك يصير إذا يؤوّل كذلك إلى أن الذي يصدق القرآن نفسه, ولا معنى لأن يقال: وهذا كتاب يصدّق نفسه, لأن اللسان العربيّ هو هذا الكتاب, إلا أن يجعل اللسان العربيّ محمدا عليه الصلاة والسلام, ويوجه تأويله إلى: وهذا كتاب وهو القرآن يصدّق محمدا, وهو اللسان العربيّ, فيكون ذلك وجها من التأويل.

وقال بعض نحويي الكوفة: قوله: لِسانا عَرَبِيّا من نعت الكتاب, وإنما نُصب لأنه أريد به: وهذا كتاب يصدّق التوراة والإنجيل لسانا عربيا, فخرج لسانا عربيا من يصدّق, لأنه فعل, كما تقول: مررت برجل يقوم محسنا, ومررت برجل قائم محسنا, قال: ولو رفع لسان عربيّ جاز على النعت للكتاب.

وقد ذُكر أن ذلك في قراءة ابن مسعود «وهذا كتاب مصدّق لما بين يديه لسانا عربيا» فعلى هذه القراءة يتوجه النصب في قوله: لِسانا عَرَبِيّا من وجهين: أحدهما على ما بيّنت من أن يكون اللسان خارجا من قوله مُصَدّقٌ والآخر: أن يكون قطعا من الهاء التي في بين يديه.

والصواب من القول في ذلك عندي أن يكون منصوبا على أنه حال مما في مصدّق من ذكر الكتاب, لأن قوله: مَصدّقٌ فعل, فتأويل الكلام إذ كان ذلك كذلك: وهذا القرآن يصدق كتاب موسى بأن محمدا نبي مرسل لسانا عربيا.

وقوله: لِيُنْذِرّ الّذِين ظَلَمُوا يقول: لينذر هذا الكتاب الذي أنزلناه إلى محمد عليه الصلاة والسلام الذين ظلموا أنفسهم بكفرهم بالله بعبادتهم غيره.

وقوله: وبُشْرى لِلْمُحْسِنِين يقول: وهو بشرى للذين أطاعوا الله فأحسنوا في إيمانهم وطاعتهم إياه في الدنيا, فحسن الجزاء من الله لهم في الآخرة على طاعتهم إياه. وفي قوله: وبُشْرى وجهان من الإعراب: الرفع على العطف على الكتاب بمعنى: وهذا كتاب مصدّق وبشرى للمحسنين. والنصب على معنى: لينذر الذين ظلموا ويبشر, فإذا جعل مكان يبشر وبُشرى أو وبشارة, نصبت كما تقول أتيتك لأزورك وكرامة لك, وقضاءً لحقك, بمعنى لأزورك وأكرمك, وأقضي حقك, فتنصب الكرامة والقضاء بمعنى مضمر.

واختلفت القرّاء في قراءة لِيُنْذِرَ فقرأ ذلك عامة قرّاء الحجاز «لِتُنْذِرَ» بالتاء بمعنى: لتنذر أنت يا محمد, وقرأته عامة قرّاء العراق بالياء بمعنى: لينذر الكتاب, وبأيّ القراءتين قرأ ذلك القارىء فمصيب.

الآية : 13-14

القول في تأويل قوله تعالى: {إِنّ الّذِينَ قَالُواْ رَبّنَا اللّهُ ثُمّ اسْتَقَامُواْ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ * أُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ الْجَنّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَآءً بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ }.

يقول تعالى ذكره: إنّ الّذِينَ قالُوا رَبّنا اللّهُ الذي لا إله غيره ثُمّ اسْتَقامُوا على تصديقهم بذلك فلم يخلطوه بشرك, ولم يخالفوا الله في أمره ونهيه فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ من فزع يوم القيامة وأهواله وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ على ما خلفوا وراءهم بعد مماتهم.

وقوله: أُولَئِكَ أَصحابُ الجَنّةِ يقول تعالى ذكره: هؤلاء الذين قالوا هذا القول, واستقاموا أهل الجنة وسكانها خالِدِينَ فِيها يقول: ماكثين فيها أبدا جَزَاءً بمَا كانُوا يَعْمَلُونَ يقول: ثوابا منا لهم آتيناهم ذلك على أعمالهم الصالحة التي كانوا في الدنيا يعملونها.

الآية : 15

القول في تأويل قوله تعالى: {وَوَصّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَاناً حَمَلَتْهُ أُمّهُ كُرْهاً وَوَضَعَتْهُ كُرْهاً وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاَثُونَ شَهْراً حَتّىَ إِذَا بَلَغَ أَشُدّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبّ أَوْزِعْنِيَ أَنْ أَشكُرَ نِعْمَتَكَ الّتِيَ أَنْعَمْتَ عَلَيّ وَعَلَىَ وَالِدَيّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرّيّتِيَ إِنّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ }.

يقول تعالى ذكره: ووصينا ابن آدم بوالديه الحسن في صحبته إياهما أيام حياتهما, والبرّ بهما في حياتهما وبعد مماتهما.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله: إحسانا فقرأته عامة قرّاء المدينة والبصرة «حُسْنا» بضمّ الحاء على التأويل الذي وصفت. وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفة إحْسانا بالألف, بمعنى: ووصيناه بالإحسان إليهما, وبأيّ ذلك قرأ القارىء فمصيب, لتقارب معاني ذلك, واستفاضة القراءة بكل واحدة منهما في القرّاء.

وقوله: حَمَلَتْهُ أُمّهُ كُرْها وَوَضَعَتْهُ كُرْها يقول تعالى ذكره: ووصينا الإنسان بوالديه إحسانا برّا بهما, لما كان منهما إليه حملاً ووليدا وناشئا, ثم وصف جلّ ثناؤه ما لديه من نعمة أمه, وما لاقت منه في حال حمله ووضعه, ونبهه على الواجب لها عليه من البرّ, واستحقاقها عليه من الكرامة وجميل الصحبة, فقال: حَمَلَتْهُ أُمّهُ يعني في بطنها كرها, يعني مشقة, وَوَضَعَتْهُ كُرْها يقول: وولدته كرها يعني مشقة. كما:

24172ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة حَمَلَتْهُ أُمّهُ كُرْها وَوَضَعَتْهُ كُرْها يقول: حملته مشقة, ووضعته مشقة.

24173ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة والحسن, في قوله: حَمَلَتْهُ أُمّهُ كُرْها وَوَضَعَتْهُ كُرْها قالا: حملته في مشقة, ووضعته في مشقة.

24174ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: حَمَلَتْهُ أُمّهُ كُرْها قال: مشقة عليها.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله: كُرْها فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة «كَرْها» بفتح الكاف. وقرأته عامة قرّاء الكوفة كُرْها بضمها, وقد بيّنت اختلاف المختلفين في ذلك قبل إذا فتح وإذا ضمّ في سورة البقرة بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع.

والصواب من القول في ذلك عندي أنهما قراءتان معروفتان, متقاربتا المعنى, فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب.

وقوله: وحَمْلُهُ وفِصالُهُ ثَلاثُونَ شَهْرا يقول تعالى ذكره: وحمل أمه إياه جنينا في بطنها, وفصالها إياه من الرضاع, وفطمها إياه, شرب اللبن ثلاثون شهرا.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله: وَفِصَالُهُ, فقرأ ذلك عامة قرّاء الأمصار غير الحسن البصري: وحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ بمعنى: فاصلته أمه فصالاً ومفاصلة. وذُكر عن الحسن البصري أنه كان يقرأه: «وحَمْلُهُ وَفَصْلُهُ» بفتح الفاء بغير ألف, بمعنى: وفصل أمه إياه.

والصواب من القول في ذلك عندنا, ما عليه قرّاء الأمصار, لإجماع الحجة من القرّاء عليه, وشذوذ ما خالفه.

وقوله: حتى إذَا بَلَغَ أشُدّهُ اختلف أهل التأويل في مبلغ حدّ ذلك من السنين, فقال بعضهم: هو ثلاث وثلاثون سنة. ذكر من قال ذلك:

24175ـ حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا ابن إدريس, قال: سمعت عبد الله بن عثمان بن خثيم, عن مجاهد, عن ابن عباس, قال: أشدّه: ثلاث وثلاثون سنة, واستواؤه أربعون سنة, والعذر الذي أعذر الله فيه إلى ابن آدم ستون.

24176ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة حتى إذَا بَلَغَ أشُدّهُ قال: ثلاثا وثلاثين.

وقال آخرون: هو بلوغ الحلم. ذكر من قال ذلك:

24177ـ حدثني يعقوب بن إبراهيم, قال: حدثنا هشيم, قال: أخبرنا مجالد, عن الشعبيّ, قال: الأشدّ: الحلم إذا كتبت له الحسنات, وكتبت عليه السيئات.

وقد بيّنا فيما مضى الأشدّ جمع شدّ, وأنه تناهي قوّته واستوائه. وإذا كان ذلك كذلك, كان الثلاث والثلاثون به أشبه من الحلم, لأن المرء لا يبلغ في حال حُلمه كمال قواه, ونهاية شدّته, فإن العرب إذا ذكرت مثل هذا من الكلام, فعطفت ببعض على بعض جعلت كلا الوقتين قريبا أحدهما من صاحبه, كما قال جلّ ثناؤه: إنّ رَبّكَ يَعْلَمُ أنّكَ تَقُومُ أدنى مِنْ ثُلُثَي اللّيْل وَنِصْفَهُ ولا تكاد تقول أنا أعلم أنك تقوم قريبا من ساعة من الليل وكله, ولا أخذت قليلاً من مال أو كله, ولكن تقول: أخذت عامة مالي أو كله, فكذلك ذلك في قوله: حتى إذَا بَلَغَ أشُدّهُ وَبَلَغَ أرْبَعِينَ سَنَةً لا شكّ أن نسق الأربعين على الثلاث والثلاثين أحسن وأشبه, إذ كان يُراد بذلك تقريب أحدهما من الآخر من النسق على الخمس عشرة أو الثمان عشرة.

وقوله: وَبَلَغَ أرْبَعِينَ سَنَةً ذلك حين تكاملت حجة الله عليه, وسير عنه جهالة شبابه وعرف الواجب لله من الحقّ في برّ والديه. كما:

24178ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وَبَلَغَ أرْبَعِينَ سَنَةً وقد مضى من سيء عمله.

حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً, قالَ رَبّ أَوْزِعْنِي حتى بلغ مِنَ المُسْلِمِينَ وقد مضى من سيء عمله ما مضى.

وقوله: قالَ رَبّ أَوْزِعْنِي أنْ أشْكُرَ نِعْمَتَكَ الّتِي أنْعَمْتَ عَليّ وَعَلى وَالِدَيّ يقول تعالى ذكره: قالَ هذا الإنسان الذي هداه الله لرشده, وعرف حقّ الله عليه فيما ألزمه من برّ والديه رَبّ أَوْزِعْنِي أنْ أشْكُرَ نِعْمَتَكَ يقول: أغرني بشكر نعمتك التي أنعمت عليّ في تعريفك إياي توحيدك وهدايتك لي للإقرار بذلك, والعمل بطاعتك وَعَلىَ وَالِدَيّ من قبلي, وغير ذلك من نعمك علينا, وألهمني ذلك. وأصله من وزعت الرجل على كذا: إذا دفعته عليه. وكان ابن زيد يقول في ذلك ما:

24179ـ حدثني به يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: أَوْزِعْنِي أنْ أشْكُرَ نِعْمَتَكَ قال: اجعلني أشكر نعمتك, وهذا الذي قاله ابن زيد في قوله: ربّ أَوْزِعْنِي وإن كان يؤول إليه معنى الكلمة, فليس بمعنى الإيزاع على الصحة.

وقوله: وأنْ أعمَلَ صَالِحا تَرْضَاهُ يقول تعالى ذكره: أوزعني أن أعمل صالحا من الأعمال التي ترضاها, وذلك العمل بطاعته وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم.

وقوله: وأصْلِحْ لي في ذُرّيّتِي يقول: وأصلح لي أموري فـي ذرّيتي الذين وهبتهم, بأن تجعلهم هداة للإيمان بك, واتباع مرضاتك, والعمل بطاعتك, فوصاه جلّ ثناؤه بالبرّ بالآباء والأمهات والبنين والبنات. وذُكر أن هذه الآية نزلت في أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه.

وقوله: إنّي تُبْتُ إلَيْكَ وَإنّي مِنَ المُسْلِمِينَ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل هذا الإنسان: إنّي تُبْتُ إلَيْكَ يقول: تبت من ذنوبي التي سلفت مني في سالف أيامي إليك وَإنّي مِنَ المُسْلِمِينَ يقول: وإني من الخاضعين لك بالطاعة, المستسلمين لأمرك ونهيك, المنقادين لحكمك.

الآية : 16

القول في تأويل قوله تعالى: {أُوْلَـئِكَ الّذِينَ نَتَقَبّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيّئَاتِهِمْ فِيَ أَصْحَابِ الْجَنّةِ وَعْدَ الصّدْقِ الّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ }.

يقول تعالى ذكره: هؤلاء الذين هذه الصفة صفتهم, هم الذين يتُقبل عنهم أحسن ما عملوا في الدنيا من صالحات الأعمال, فيجازيهم به, ويثيبهم عليه وَيَتَجاوَزُ عَنْ سَيّئاتِهِم يقول: ويصفح لهم عن سيئات أعمالهم التي عملوها في الدنيا, فلا يعاقبهم عليها في أصحَابِ الجَنّةِ يقول: نفعل ذلك بهم فعلنا مثل ذلك في أصحاب الجنة وأهلها الذين هم أهلها. كما:

24180ـ حدثني يعقوب بن إبراهيم, قال: حدثنا المعتمر بن سليمان, عن الحكم بن أبان, عن الغطريف, عن جابر بن زيد, عن ابن عباس, عن النبيّ صلى الله عليه وسلم عن الروح الأمين, قال: «يُؤْتَىَ بِحَسَناتِ العَبْد وَسَيّئاته, فَيُقْتَصّ بَعْضُها ببَعْض فإنْ بَقيَتْ حَسَنةٌ وَسّعَ اللّهُ لَهُ في الجَنّةِ» قال: فدخلتُ على يزداد, فحدّث بمثل هذا الحديث, قال: قلت: فإن ذهبت الحسنة؟ قال: أُولَئِكَ الّذِينَ نَتَقَبّلُ عَنْهُمْ أحْسَنَ ما عَمِلُوا وَنَتَجاوَزُ عَنْ سَيّئاتِهِمْ... الآية.

24181ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا جرير, عن ليث, عن مجاهد, قال: دعا أبو بكر عمر رضي الله عنهما, فقال له: إني أوصيك بوصية أن تحفظها:

إن لله في الليل حقا لا يقبله بالنهار, وبالنهار حقا لا يقبلـه بالليـل, إنـه ليـس لأحد نافلة حتى يؤدّي الفريضة, إنه إنما ثقُلت موازين من ثقُلَت موازينه يـوم القيامة باتباعهم الحقّ في الدنيا, وثقُل ذلك عليهـم, وحـقّ لميـزان لا يوضـع فيـه إلا الحـقّ أن يثقـل, وخفّـت مـوازين مـن خفّـت مـوازينه يـوم القيامـة, لاتباعهم الباطل فـي الـدنيا, وخفتـه عليهـم, وحـقّ لميـزان لا يوضـع فيـه إلا الباطل أن يخف, ألم تر أن الله ذكـر أهـل الجنـة بأحسـن أعمـالهم, فيقـول قائل: أين يبلغ عملي من عمل هؤلاء, وذلك أن الله عزّ وجلّ تجاوز عن أسوإ أعمالهم فلم يبده, ألم تر أن الله ذكر أهل النار بأسـوإ أعمـالهم حـتى يقـول قائل: أنا خير عملاً من هؤلاء, وذلك بأن الله ردّ عليهم أحسن أعمـالهم, ألـم تر أن الله عزّ وجلّ أنزل آية الشـدّة عنـد آيـة الرخـاء, وآيـة الرخـاء عنـد آيـة الشدّة, ليكون المؤمن راغبا راهبـا, لئلا يُلقـي بيـده إلـى التهلكـة, ولا يتمنـى على الله أمنية يتمنى على الله فيها غير الحقّ.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله: نَتَقَبّلُ عَنْهُمْ أحْسَنَ ما عَمِلُوا وَنَتَجاوَزُ فقرأ ذلك عامة قرّاء المدينة والبصرة وبعض قرّاء الكوفة «يُتَقَبّلُ, وَيُتَجاوَزُ» بضم الياء منهما, على ما لم يسمّ فاعله, ورفع «أحْسَنُ». وقرأ ذلـك عامـة قـراء الكوفة نَتَقَبّلُ, ونَتَجاوَزُ بالنون وفتحها, ونصب أحسنَ على معنـى إخبـار اللـه جلّ ثناؤه عن نفسـه أنـه يفعـل ذلـك بهـم, وردّا للكلام علـى قـوله: وَوَصّـيْنا الإنْسـانَ ونحـن نتقبـل منهـم أحسـن مـا عملـوا ونتجـاوز, وهمـا قراءتـان معروفتان صحيحتا المعنى, فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب.

وقوله: وَعْدَ الصّدْقِ الّذِي كانُوا يُوعَدُون يقول: وعدهم الله هذا الوعد, وعد الحقّ لا شك فيه أنه موفَ لهم بـه, الـذي كـانوا إيـاه فـي الـدنيا يعـدهم اللـه تعالى, ونصب قوله: وَعْدَ الصّدْقِ لأنه مصدر خـارج مـن قـوله: يَتَقَبّـلُ عَنْهُـمْ أحْسَنَ ما عَمِلُوا وَيَتَجاوَزُ عَنْ سَيّئَاتِهِم, وإنما أخرج من هذا الكلام مصدر وعد وعدا, لأن قوله: يَتَقَبّلُ عَنْهُمْ وَيَتَجاوَزُ وعد من الله لهم, فقال: وعد الصـدق, على ذلك المعنى.

الآية : 17

القول فـي تأويـل قوله تعالى: {وَالّذِي قَالَ لِوَالِـدَيْهِ أُفّ لّكُمَـآ أَتَعِـدَانِنِيَ أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِن قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَغِيَانِ اللّهَ وَيْلَكَ آمِنْ إِنّ وَعْدَ اللّهِ حَقّ فَيَقُولُ مَا هَـذَآ إِلاّ أَسَاطِيرُ الأوّلِينَ }.

وهذا نعت من الله تعالى ذكره نعت ضالّ به كافر, وبوالديه عـاقّ, وهمـا مجتهدان في نصيحته ودعائه إلى الله, فلا يزيـده دعاؤهمـا إيـاه إلـى الحـقّ, ونصيحتهما له إلا عتوّا وتمرّدا على الله, وتماديا فـي جهلـه, يقـول اللـه جـلّ ثناؤه وَالّذِي قالَ لِوَالِدَيْهِ أن دعـواه إلـى الإيمـان بـالله, والإقـرار ببعـث اللـه خلقه من قبورهم, ومجازاته إياهم بأعمالهم أُفَ لَكُما يقول: قذرا لكما ونتنـا أتَعِدَانِنِي أنْ أُخْرَجَ يقول أتعداناني أن أخرج من قبري مـن بعـد فنـائي وبلائـي فيه حيا. كما:

24182ـ حدثنا بشر, قـال: حـدثنا يزيـد, قـال: حـدثنا سـعيد, عـن قتـادة أتَعِدَانِنِي أنْ أُخْرَجَ أن أبعَث بعد الموت.

حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمـر, عـن قتـادة, فـي قوله: أتَعِدَانِنِي أنْ أُخْرَجَ قال: يعني البعث بعد الموت.

24183ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله وَالّذِي قال لِوَالِدَيْهِ أُفَ لَكُما أتَعِـدَانِنِي...

إلى آخر الآية قال: الذي قال هذا ابن لأبي بكر رضي الله عنه, قال: أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ: أتعداننني أن أبعث بعد الموت.

24184ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا هوذة, قال: حدثنا عوف, عن الحسن, في قوله: وَالَّذِي قالَ لِوَالِدَيْهِ أُفَ لَكُما أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ قال: هو الكافر الفاجر العاقّ لوالديه, المكذب بالبعث.

24185ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قال: ثم نعت عبد سوء عاقا لوالديه فاجرا فقال: وَالَّذِي قالَ لِوَالِدَيْهِ أُفَ لَكُما... إلى قوله: أساطِيرُ الأوّلِينَ.

وقوله: وَقَدْ خَلَتِ القُرُونُ مِنْ قَبْلِي يقول: أتعداننني أن أبعث, وقد مضت قرون من الأمم قبلي, فهلكوا, فلم يبعث منهم أحدا, ولو كنت مبعوثا بعد وفاتي كما تقولان, لكان قد بُعث من هلك قبلي من القرون وهُمَا يَسْتَغِيثانِ اللَّهِ يقول تعالى ذكره: ووالداه يستصرخان الله عليه, ويستغيثانه عليه أن يؤمن بالله, ويقرّ بالبعث ويقولان له: وَيْلَكَ آمن, أي صدّق بوعد الله, وأقرّ أنك مبعوث من بعد وفاتك, إن وعد الله الذي وعد خلقه أنه باعثهم من قبورهم, ومخرجهم منها إلى موقف الحساب لمجازاتهم بأعمالهم حقّ لا شكّ فيه, فيقول عدوّ الله مجيبا لوالديه, وردّا عليهما نصيحتهما, وتكذيبا بوعد الله: ما هذا الذي تقولان لي وتدعواني إليه من التصديق بأني مبعوث من بعد وفاتي من قبري, إلا ما سطره الأوّلون من الناس من الأباطيل, فكتبوه, فأصبتماه أنتما فصدّقتما.

الآية : 18-19

القول في تأويل قوله تعالى: {أُوْلَـئِكَ الّذِينَ حَقّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِيَ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمْ مّنَ الْجِنّ وَالإِنسِ إِنّهُمْ كَانُواْ خَاسِرِينَ * وَلِكُلّ دَرَجَاتٌ مّمّا عَمِلُواْ وَلِيُوَفّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ }.

يقول تعالى ذكره: هؤلاء الذين هذه الصفة صفتهم, الذين وجب عليهم عذاب الله, وحلّت بهم عقوبته وسخطه, فيمن حلّ به عذاب الله على مثل الذي حلّ بهؤلاء من الأمم الذين مضوا قبلهم من الجنّ والإنس, الذين كذّبوا رسل الله, وعتوا عن أمر ربهم.

وقوله: إنّهُمْ كانُوا خاسِرينَ يقول تعالى ذكره: إنهم كانوا المغبونين ببيعهم الهدى بالضلال والنعيم بالعقاب.

24186ـ حدثنا محمد بن بشار, قال: حدثنا معاذ بن هشام, قال: حدثنا أبي, عن قتادة, عن الحسن, قال: الجنّ لا يموتون, قال قتادة: فقلت أُولَئِكَ الّذِينَ حَقّ عَلَيْهِمُ القَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَت... الآية.

وقوله: وَلِكُلّ دَرَجاتٌ مِمّا عَمِلُوا يقول تعالى ذكره: ولكلّ هؤلاء الفريقين: فريق الإيمان بالله واليوم الآخر, والبرّ بالوالدين, وفريق الكفر بالله واليوم الآخر, وعقوق الوالدين اللذين وصف صفتهم ربنا عزّ وجلّ في هذه الآيات منازل ومراتب عند الله يوم القيامة, مما عملوا, يعني من عملهم الذي عملوه في الدنيا من صالح وحسن وسيىء يجازيهم الله به. وقد:

24187ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَلِكُلّ دَرَجاتٌ مِمّا عَمِلُوا قال: درج أهل النار يذهب سفالاً, ودرج أهل الجنة يذهب علوّا وَلِيُوَفّيَهُمْ أعمالَهُمْ يقول جلّ ثناؤه: وليعطي جميعهم أجور أعمالهم التي عملوها في الدنيا, المحسن منهم بإحسانه ما وعد الله من الكرامة, والمسيء منهم بإساءته ما أعدّه من الجزاء وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ يقول:

وجميعهم لا يظلمون: لا يجازي المسيء منهم إلا عقوبة على ذنبه, لا على ما لـم يعمـل, ولا يحمـل عليـه ذنـب غيـره, ولا يبخـس المحسـن منهـم ثـوابَ إحسانه.

الآية : 20

القول فـي تأويــل قـوله تعـالى: {وَيَـوْمَ يُعْـرَضُ الّـذِينَ كَفَـرُواْ عَلَـى النّـارِ أَذْهَبْتُمْ طَيّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُـونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الأرْضِ بِغَيْرِ الْحَقّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ }.

يقول تعالى ذكره: وَيَوْمَ يُعْرَضُ الّذِينَ كَفَرُوا بالله عَلى النّـارِ يقـال لهـم: أذْهَبْتُمْ طَيّباتِكُمْ فِي حَياتِكُمُ الدّنْيا, وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِها فيها. كما:

24188ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَيَوْمَ يُعْرَضُ الّذِينَ كَفَرُوا على النّارِ قرأ يزيد حـتى بلـغ وَبِمَـا كُنْتُـمْ تَفْسُـقُونَ تعلمـون واللـه إن أقوامـا يَسْـترطَون حسـناتهم. اسـتبقى رجـل طيبـاته إن استطاع, ولا قوّة إلا بالله. ذُكر أن عمر بـن الخطـاب كـان يقـول: لـو شـئت كنت أطيبكم طعاما, وألينكم لباسا, ولكني أستبقي طيباتي. وذُكر لنا أنه لما قدم الشأم, صُنِع لـه طعـام لـم يـر قبلـه مثلـه, قـال: هـذا لنـا, فمـا لفقـراء المسلمين الذين ماتوا وهم لا يشبعون من خبز الشعير؟ قال خالد بن الوليد: لهم الجنة, فاغرورقت عينا عمر, وقال: لئن كان حظنا في الحُطـام, وذهبـوا قال أبو جعفر: فيما أرى أنا بالجنة, لقد باينونا بونا بعيدا.

24189ـ وذُكر لنا. أن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم دخل على أهل الصّفة مكانا يجتمع فيه فقراء المسلمين, وهم يَرْقعون ثيابهم بالأدَم, ما يجدون لهـا رقاعا, قال: «أنتم اليـوم خيـر, أو يَـوم يغـدو أحـدكم فـي حلـة, ويـروح فـي أخـرى, ويغـدي عليـه بجفنـة, ويُـراح عليـه بـأخرى, ويسـتر بيتـه كمـا تسـتر الكعبة». قالوا: نحن يومئذٍ خير, قال: «بل أنتم اليوم خير».

24190ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قال: حدثنا صاحب لنا عن أبي هريرة, قال: «إنما كان طعامنا مع النبيّ صلى اللـه عليه وسلم الأسودين: الماء, والتمر, والله ما كنـا نـرى سـمراءكم هـذه, ولا ندري ما هي».

24191ـ قال: ثنا سعيد, عن قتادة, عن أبي بردة بن عبـد اللـه بـن قيـس الأشعريّ, عن أبيه, قال: أي بنيّ لو شهدتْنا مع رسول الله صـلى اللـه عليـه وسلم ونحن مع نبينا إذا أصابتنا السماء, حسبت أن ريحنـا ريـح الضـأن, إنمـا كان لباسنا الصوف.

24192ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قول الله عزّ وجلّ أذْهَبْتُمْ طَيّباتِكُمْ فِي حَياتِكُمُ الدّنْيا... إلى آخر الآية, ثم قـرأ مَـنْ كانَ يُرِيدُ الحَياةَ الدّنْيا وَزِينَتَها نُوَفّ إلَيْهِمْ أعمالَهُمْ فِيها, وَهُمْ فِيها لا يُبْخَسُونَ, وقرأ مَنْ كانَ يُرِيدُ حَرْثَ الآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ, وَمَنْ كانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدّنْيا نُؤْتِهِ مِنْها, وقرأ مَنْ كانَ يُرِيدُ العاجِلَةَ عَجّلْنا لَهُ فِيها ما نَشاءُ لِمَنْ نُرِيدُ... إلـى آخر الآية, وقال: هؤلاء الذين أذهبوا طيّباتهم في حياتهم الدنيا.

واختلفت القرّاء في قـراءة قـوله: أذْهَبْتُـمْ طَيّبـاتِكُمْ, فقرأتـه عامـة قـرّاء الأمصـار أذْهَبْتُـمْ بغيـر اسـتفهام, سـوى أبـي جعفـر القـارىء, فـإنه قـرأه بالاستفهام, والعرب تستفهم بالتوبيخ, وتترك الاستفهام فيه, فتقول: أذهبت ففعلت كـذا وكـذا, وذهبـت ففعلـت وفعلـت. وأعجـب القراءتيـن إلـيّ تـرك الاستفهام فيه, لإجماع الحجة من القرّاء عليه, ولأنه أفصح اللغتين.

وقوله فالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الهُونِ يقول تعالى ذكره: يقال لهم: فاليوم أيها الكافرون الذين أذهبوا طيباتهم في حياتهم الدنيا تجـزون: أي تثـابون عـذاب الهون, يعني عذاب الهوان, وذلك عذاب النار الذي يهينهم. كما:

24193ـ حدثنا محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحرث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابـن أبـي نجيح, عن مجاهد عَذَابَ الهُونِ قال: الهوان بِمَا كُنْتُمْ تَسْـتَكْبِرُونَ فِـي الأرْضِ بغَيْرِ الحَقّ يقول: بما كنتم تتكبرون في الدنيا على ظهـر الأرض علـى ربكـم, فتأبون أن تخلصوا له العبادة, وأن تذعنوا لأمره ونهيه بغير الحقّ, أي بغير ما أباح لكـم ربكـم, وأذن لكـم بـه وبِمـا كُنْتُـمْ تَفْسُـقُونَ يقـول: بمـا كنتـم فيهـا تخالفون طاعته فتعصُونه.

الآية : 21

القول فـي تأويـل قوله تعالى: {وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُ بِالأحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ النّذُرُ مِن بَيْنِ يَـدَيْهِ وَمِـنْ خَلْفِـهِ أَلاّ تَعْبُـدُوَاْ إِلاّ اللّـهَ إِنّـيَ أَخَـافُ عَلَيْكُـمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ }.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى اللـه عليـه وسـلم: واذكـر يـا محمـد لقومك الرّادّين عليك ما جئتهم به من الحـقّ هـود أخـا عـاد, فـإن اللـه بعثـك إليهم كالذي بعثه إلى عاد, فخوّفهم أن يحلّ بهم من نقمة الله علـى كفرهـم مـا حـلّ بهـم إذ كـذّبوا رسـولنا هـودا إليهـم, إذ أنـذر قـومه عـادا بالأحقـاف. والأحقاف: جمع حقف وهو من الرمل ما استطال, ولـم يبلـغ أن يكـون جبلاً, وإياه عنى الأعشى:

فَباتَ إلى أرْطاةِ حِقْفٍ تَلُفّهُخَرِيقُ شَمالٍ يَتْرُكُ الوَجْهَ أقْتَما

واختلف أهل التأويل في الموضع الذي به هذه الأحقاف, فقال بعضهم: هي جبل بالشام. ذكر من قال ذلك:

24194ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس: وَاذْكُرْ أخا عادٍ إذْ أنْـذَرَ قَـوْمَهُ بالأحْقـافِ قـال: الأحقاف: جبل بالشام.

24195ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقـول: أخبرنـا عبيـد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله إذْ أنْذَرَ قَـوْمَهُ بالأحْقـافِ جبـل يسـمى الأحقاف.

وقال آخرون: بل هي واد بينُ عمان ومَهْرة. ذكر من قال ذلك:

24196ـ حدثني محمد بن سعد قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي عن أبيه, عن ابن عباس وَاذْكُـرْ أخـا عـادٍ إذْ أنْـذَرَ قَـوْمَهُ بالأحْقـافِ قـال: فقال: الأحقاف الذي أنذر هود قومه واد بين عمان ومهرة.

24197ـ حدثنا ابن حُمَيد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق, قال: كانت منازل عاد وجماعتهم, حيث بعث الله إليهم هودا الأحقاف: الرمل فيمـا بيـن عُمان إلى حَضْرَمَوْت, فاليمن كله, وكانوا مع ذلك قد فَشْوا في الأرض كلها, قهروا أهلها بفضل قوّتهم التي آتاهم الله.

وقال آخرون: هي أرض. ذكر من قال ذلك:

24198ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن منصور, عن مجاهد, قال: الأحقاف: الأرض.

24199ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد إذْ أنْذَرَ قَوْمَهُ بالأحْقاف قال: حشاف أو كلمة تشبهها, قال أبو موسى: يقولون مستحشف.

24200ـ حدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد إذْ أنْذَرَ قَوْمَهُ بالأحْقافِ حِشاف من حِسْمَى.

وقال آخرون: هي رمال مُشْرفة على البحر بالشّحْر. ذكر من قال ذلك:

24201ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَاذْكُرْ أخا عادٍ إذْ أنْذَرَ قَوْمَهُ بالأحْقافِ ذُكر لنا أن عادا كانوا حيا باليمن أهل رمل مشرفين على البحر بأرض يقال لها الشّحْر.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة, في قوله وَاذْكُرْ أخا عادٍ إذْ أنْذَرَ قَوْمَهُ بالأحْقافِ قال: بلَغَنا أنهم كانوا على أرض يقال لها الشّحر, مشرفين على البحر, وكانوا أهل رمل.

حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: أخبرنا عمرو بن الحارث, عن سعيد بن أبي هلال, عن عمرو بن عبد الله, عن قتادة, أنه قال: كان مساكن عاد بالشّحْر.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله تبارك وتعالى أخبر أن عادا أنذرهم أخوهم هود بالأحقاف, والأحقاف ما وصفت من الرمال المستطيلة المشرفة, كما قال العجّاج:

بات إلى أرْطاةِ حِقْفٍ أحْقَفا

وكما:

24202ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَاذْكُرْ أخا عادٍ إذْ أنْذَرَ قَوْمَهُ بالأحْقافِ قال: الأحقاف: الرمل الذي يكون كهيئة الجبل تدعوه العرب الحقف, ولا يكون أحقافا إلا من الرمل, قال: وأخو عاد هود. وجائز أن يكون ذلك جبلاً بالشأم. وجائز أن يكون واديا بين عمان وحضرموت. وجائز أن يكون الشحر وليس في العلم به أداء فرض, ولا في الجهل به تضييع واجب, وأين كان فصفته ما وصفنا من أنهم كانوا قوما منازلهم الرمال المستعلية المستطيلة.

وقوله: وَقَدْ خَلَتِ النّذُورُ مِنْ بَين يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ ألاّ تَعْبُدُوا إلاّ اللّـهَ يقول تعالى ذكره: وقد مضت الرسل بإنذار أممها مِنْ بَين يَدَيْهِ يعني: من قبل هود ومن خلفه, يعني: ومن بعد هود. وقد ذُكر أن ذلك في قراءة عبد الله «وَقَدْ خَلَتِ النّذُرُ مِنْ بَين يَدَيْهِ وَمِنْ بَعْدِهِ», ألاّ تَعْبُدُوا إلاّ اللّهَ يقول: لا تشركوا مع الله شيئا في عبادتكم إياه, ولكن أخلصوا له العبادة, وأفردوا له الألوهة, إنه لا إله غيره, وكانوا فيما ذُكر أهل أوثان يعبدونها من دون الله. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

24203ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: وَقَدْ خَلَتِ النّذُرُ مِنْ بَين يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ ألاّ تَعْبُدُوا إلاّ اللّهَ قال: لن يبعث الله رسولاً إلا بأن يعبد الله.

وقوله: إنّي أخافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل هود لقومه: إني أخاف عليكم أيها القوم بعبادتكم غير الله عذاب الله في يوم عظيم وذلك يوم يعظم هوله, وهو يوم القيامة.

الآية : 22

القول في تأويل قوله تعالى: {قَالُوَاْ أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ آلِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ الصّادِقِينَ }.

يقول تعالى ذكره: قالت عاد لهود, إذ قال لهم لا تعبدوا إلا الله: إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم, أجئتنا يا هود لتصرفنا عن عبادة آلهتنا إلى عبادة ما تدعونا إليه, وإلى اتباعك على قولك. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

24204ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال ابن زيد, في قوله: أجِئْتَنَا لِتَأفِكَنا عَنْ آلِهَتِنا قال: لتزيلنا, وقرأ إنْ كادَ لَيُضِلّنا عَنْ آلِهَتِنا لَوْلا أن صَبَرْنا عَلَيْها قال: تضلنا وتزيلنا وتأفكنا فَأتِنا بِمَا تَعِدُنا من العذاب على عبادتنا ما نعبد من الآلهة إنْ كُنْتَ من أهل الصدق في قوله وعدَاته.

الآية : 23

القول في تأويل قوله تعالى: {قَالَ إِنّمَا الْعِلْمُ عِندَ اللّهِ وَأُبَلّغُكُمْ مّآ أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَـَكِنّيَ أَرَاكُمْ قَوْماً تَجْهَلُونَ }.

يقول تعالى ذكره: قال هود لقومه عاد: إنّمَا العِلْمُ بوقت مجيء ما أعِدُكم به من عذاب الله على كفركم به عند الله, لا أعلم من ذلك إلا ما علمني وأُبَلّغَكُمْ ما أُرْسِلْتُ بِهِ يقول: وإنما أنا رسول إليكم من الله, مبلغ أبلغكم عنه ما أرسلني به من الرسالة وَلَكِنّي أرَاكُمْ قَوْما تَجْهَلُونَ مواضع حظوظ أنفسكم, فلا تعرفون ما عليها من المضرّة بعبادتكم غير الله, وفي استعجال عذابه.

الآية : 24

القول في تأويل قوله تعالى: {فَلَمّا رَأَوْهُ عَارِضاً مّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُواْ هَـَذَا عَارِضٌ مّمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ }.

يقول تعالى ذكره: فلما جاءهم عذاب الله الذي استعجلوه, فرأوه سحابا عارضا في ناحية من نواحي السماء مُسْتَقْبِلَ أوْدِيَتِهِمْ والعرب تسمي السحاب الذي يُرَى في بعض أقطار السماء عشيا, ثم يصبح من الغد قد استوى, وحبا بعضه إلى بعض عارضا, وذلك لعرضه في بعض أرجاء السماء حين نشأ, كما قال الأعشى:

يا مَنْ يَرَى عارِضا قَدْ بِتّ أرْمُقُهُكأنّمَا الْبَرْقُ في حافاتِهِ الشّعَلُ

قالُوا هَذَا عارِضٌ مِمْطِرُنا ظنا منهم برؤيتهم إياه أن غيثا قد أتاهم يَحيون به, فقالوا: هذا الذي كان هودٌ يعدنا, وهو الغيث. كما:

24205ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: فَلَمّا رأوْهُ عارِضا مُسْتَقْبِلَ أوْدِيَتِهِمْ... الآية, وذُكر لنا أنهم حبس عنهم المطر زمانا, فلما رأوا العذاب مقبلاً, قَالُوا هَذَا عارِضٌ مُمْطِرُنا. وذُكر لنا أنهم قالوا: كذب هود كذب هود فلما خرج نبيّ الله صلى الله عليه وسلم فشامه, قال: بَلْ هُوَ ما اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيها عَذابٌ أليمٌ.

24206ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق, قال: ساق الله السحابة السوداء التي اختار قَيْلُ ابن عنز بما فيها من النقمة إلى عاد, حتى تخرج عليهم من واد لهم يقال له المغيث, فلما رأوها استبشروا, وقَالُوا هَذَا عارِضٌ مُمْطِرُنَا: يقول الله عزّ وجلّ: بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ.

وقوله: بَلْ هُوَ ما اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل نبيه صلى الله عليه وسلم هود لقومه لما قالوا له عند رؤيتهم عارض العذاب, قد

عرض لهم في السماء هذا عارض ممطرنا نحيا به, ما هو بعارض غيث, ولكنه عارض عذاب لكم, بل هو ما استعجلتم به: أي هو العذاب الذي استعجلتم به, فقلتم: ائْتِنا بِمَا تَعِدُنا إنْ كُنْتَ مِنَ الصّادِقِينَ رِيحٌ فِيها عَذابٌ أَلِيمٌ. والريح مكرّرة على ما في قوله: هُوَ ما اسْتَعْجَلْتمْ بِهِ كأنه قيل: بل هو ريح فيها عذاب أليم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

24207ـ حدثنا محمد بن المثنى, قال: حدثنا محمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, عن أبي إسحاق, عن عمرو بن ميمون, قال: كان هود جلدا في قومه, وإنه كان قاعدا في قومه, فجاء سحاب مكفهرّ, فقالوا هذا عارض ممطرنا فقال: بَلْ هُوَ ما اسْتَعْجَلْتمْ بِهِ رِيحٌ فِيها عَذابٌ أَلِيمٌ قال: فجاءت ريح فجعلت تلقي الفسطاط, وتجيء بالرجل الغائب فتلقيه.

24208ـ حدثني يحيى بن إبراهيم المسعوديّ, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن جدّه, قال: قال سليمان, حدثنا أبو إسحاق, عن عمرو بن ميمون, قال: لقد كانت الريح تحمل الظعينة فترفعها حتى تُرى كأنها جرادة.

24209ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: فَلَمّا رأَوْهُ عارِضا مُسْتَقبِلَ أوْدِيَتِهِمْ... إلى آخر الآية, قال: هي الريح إذا أثارت سحابا, قَالُوا: هَذا عارِضٌ مُمْطِرُنا, فقال نبيهم: بل ريح فيها عذاب أليم.

الآية : 25

القول في تأويل قوله تعالى: {تُدَمّرُ كُلّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبّهَا فَأْصْبَحُواْ لاَ يُرَىَ إِلاّ مَسَاكِنُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ }.

وقوله تُدَمّرُ كُلّ شَيء بأمْرِ رَبّهَا: يقول تعالى ذكره: تخرّب كلّ شيء, وترمي بعضه على بعض فتهلكه, كما قال جرير:

وكانَ لَكُمْ كَبَكْرِ ثَمُودَ لَمّارَغا ظُهْرا فَدَمّرَهُمْ دَمارا

يعني بقوله: دمرهم: ألقى بعضهم على بعض صَرْعى هَلكَى.

وإنما عنى بقوله: تُدّمّرُ كُلّ شيْءٍ بأمْرِ رَبها مما أرسلت بهلاكه, لأنها لم تدمر هودا ومن كان آمن به.

24210ـ حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا طلق, عن زائدة, عن الأعمش, عن المنهال, عن سعيد بن جبير, عن ابن عباس, قال: ما أرسل الله على عادٍ من الريح إلا قدر خاتمي هذا, فنزع خاتمه.

وقوله: فَأصْبَحُوا لا يُرَى إلاّ مَساكِنُهُمْ يقول: فأصبح قوم هود وقد هلكوا وفنوا, فلا يُرى في بلادهم شيء إلا مساكنهم التي كانوا يسكنونها.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله فأصْبَحُوا لا يُرَى إلاّ مَساكِنُهُمْ فقرأ ذلك عامة قرّاء المدينة والبصرة «لا تُرَى إلاّ مَساكِنُهُمْ» بالتاء نصبا, بمعنى: فأصبحوا لا ترى أنت يا محمد إلا مساكنهم وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفة لا يُرَى إلاّ مَساكِنُهُمْ بالياء في يُرى, ورفع المساكن, بمعنى: ما وصفت قبل أنه لا يرى في بلادهم شيء إلا مساكنهم. وروى الحسن البصري «لا تُرَى» بالتاء, وبأيّ القراءتين اللتين ذكرت من قراءة أهل المدينة والكوفة قرأ ذلك القارىء فمصيب وهو القراءة برفع المساكن إذا قُرىء قوله يُرَى بالياء وضمها وبنصب المساكن إذا قُرىء قوله: «تَرَى» بالتاء وفتحها, وأما التي حُكيت عن الحسن, فهي قبيحة في العربية وإن كانت جائزة, وإنما قبحت لأن العرب تذكّر الأفعال التي قبل إلا, وإن كانت الأسماء التي بعدها أسماء

إناث, فتقول: ما قام إلا أختك, ما جاءني إلا جاريتك, ولا يكادون يقولون: ما جاءتني إلا جاريتك, وذلك أن المحذوف قبل إلا أحد, أو شيء واحد, وشيء يذكر فعلهما العرب, وإن عنى بهما المؤنث, فتقول: إن جاءك منهنّ أحد فأكرمه, ولا يقولون: إن جاءتك, وكان الفرّاء يجيزها على الاستكراه, ويذكر أن المفضل أنشده:

وَنارُنا لَمْ تُرَ نارا مِثْلُهاقَدْ عَلِمَتْ ذاكَ مَعَدّ أكْرَمَا

فأنث فعل مثل لأنه للنار, قال: وأجود الكلام أن تقول: ما رؤي مثلها.

وقوله: وكَذَلكَ نَجْزِي القَوْمَ المجرِمينَ يقول تعالى ذكره: كما جزينا عادا بكفرهم بالله من العقاب في عاجل الدنيا, فأهلكناهم بعذابنا, كذلك نجزي القوم الكافرين بالله من خلقنا, إذ تمادوا في غيهم وطغَوا على ربهم.

الآية : 26

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلَقَدْ مَكّنّاهُمْ فِيمَآ إِن مّكّنّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعاً وَأَبْصَاراً وَأَفْئِدَةً فَمَآ أَغْنَىَ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلاَ أَبْصَارُهُمْ وَلاَ أَفْئِدَتُهُمْ مّن شَيْءٍ إِذْ كَانُواْ يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللّهِ وَحَاقَ بِهِم مّا كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ }.

يقول تعالى ذكره لكفار قريش: ولقد مكّنا أيها القوم عادا الذين أهلكناهم بكفرهم فيما لم نمكنكم فيه من الدنيا, وأعطيناهم منها الذي لم نعطكم منهم من كثرة الأموال, وبسطة الأجسام, وشدّة الأبدان. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

24211ـ حدثني عليّ, قال: ثني أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: وَلَقَدْ مَكّنّاهُمْ فِيما إنْ مَكّنّاكُمْ فِيهِ يقول: لم نمكنكم.

24212ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَلَقَدْ مَكّنّاهُمْ فِيما إنْ مَكّنّاكُمْ فِيهِ: أنبأكم أنه أعطى القوم ما لم يعطكم.

وقوله: وَجَعَلْنا لَهُمْ سَمْعا يسمعون به مواعظ ربهم, وأبصارا يبصرون بها حجج الله, وأفئدة يعقلون بها ما يضرّهم وينفعهم فَمَا أغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلا أبْصَارُهُمْ وَلا أفْئِدَتُهُمْ منْ شَيْءٍ يقول: فلم ينفعهم ما أعطاهم من السمع والبصر والفؤاد إذ لم يستعملوها فيما أعطوها له, ولم يعملوها فيما ينجيهم من عقاب الله, ولكنهم استعملوها فيما يقرّبهم من سخطه إذْ كانُوا يَجْحَدُونَ بآياتِ اللّهِ يقول: إذ كانوا يكذّبون بحجج الله وهم رُسله, وينكرون نبوّتهم وَحاقَ بِهِمْ ما كانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئون يقول: وعاد عليهم ما استهزأوا به, ونزل بهم ما سخروا به, فاستعجلوا به من العذاب, وهذا وعيد من الله جلّ ثناؤه لقريش, يقول لهم: فاحذروا أن يحلّ بكم من العذاب على كفركم بالله وتكذيبكم رسله, ما حلّ بعاد, وبادروا بالتوبة قبل النقمة.

الآية : 27-28

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مّنَ الْقُرَىَ وَصَرّفْنَا الاَيَاتِ لَعَلّهُمْ يَرْجِعُونَ * فَلَوْلاَ نَصَرَهُمُ الّذِينَ اتّخَذُواْ مِن دُونِ اللّهِ قُرْبَاناً آلِهَةَ بَلْ ضَلّواْ عَنْهُمْ وَذَلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُواْ يَفْتَرُونَ }.

يقول تعالى ذكره لكفار قريش محذّرهم بأسه وسطوته, أن يحلّ بهم على كفرهم وَلَقَدْ أهْلَكْنا أيها القوم من القُرَى ما حول قريتكم, كحِجْرِ ثمود وأرض سدوم ومأرب ونحوها, فأنذرنا أهلها بالمَثُلات, وخرّبنا ديارها, فجعلناها خاوية على عروشها.

وقوله: وَصَرّفْنا الآياتِ يقول: ووعظناهم بأنواع العظات, وذكرناهم بضروب من الذّكْر والحجج, وبيّنا لهم ذلك. كما: 24213ـ حدثني يونس,

قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَصَرّفْنا الآيَاتِ قال بيّناها لَعَلّهُمْ يَرْجِعُونَ يقول ليرجعوا عما كانوا عليه مقيمين من الكفر بالله وآياته. وفي الكلام متروك ترك ذكره استغناء بدلالة الكلام عليه, وهو: فأبوا إلا الإقامة على كفرهم, والتمادي في غيهم, فأهلكناهم, فلن ينصرهم منا ناصر يقول جلّ ثناؤه: فلولا نصر هؤلاء الذين أهلكناهم من الأمم الخالية قبلهم أوثانهم وآلهتهم التي اتخذوا عبادتها قربانا يتقرّبون بها فيما زعموا إلى ربهم منا إذ جاءهم بأسنا, فتنقذهم من عذابنا إن كانت تشفع لهم عند ربهم كما يزعمون, وهذا احتجاج من الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم على مُشركي قومه, يقول لهم: لو كانت آلهتكم التي تعبدون من دون الله تغني عنكم شيئا, أو تنفعكم عند الله كما تزعمون أنكم إنما تعبدونها, لتقرّبكم إلى الله زلفى, لأغنت عمن كان قبلكم من الأمم التي أهلكتها بعبادتهم إياها, فدفعت عنها العذاب إذا نزل, أو لشفعت لهم عند ربهم, فقد كانوا من عبادتها على مثل الذي عليه أنتم, ولكنها ضرّتهم ولم تنفعهم: يقول تعالى ذكره: بل ضلوا عنهم يقول: بل تركتهم آلهتهم التي كانوا يعبدونها, فأخذت غير طريقهم, لأن عبدتها هلكت, وكانت هي حجارة أو نحاسا, فلم يصبها م ا أصابها ودعوها, فلم تجبهم, ولم تغثهم, وذلك ضلالها عنهم, وذلك إفكهم, يقول عزّ وجلّ هذه الآلهة التي ضلّت عن هؤلاء الذين كانوا يعبدونها من دون الله عند نزول بأس الله بهم, وفي حال طمعهم فيها أن تغيثهم, فخذلتهم, هو إفكهم: يقول: هو كذبهم الذي كانوا يكذّبون, ويقولون هؤلاء آلهتنا وما كانوا يفترون, يقول: وهو الذي كانوا يفترون, فيقولون: هي تقرّبنا إلى الله زُلفى, وهي شفعاؤنا عند الله. وأخرج الكلام مخرج الفعل, والمعنيّ المفعول به, فقيل: وذلك إفكهم, والمعنيّ فيه: المأفوك به لأن الإفك إنما هو فعل الآفك, والآلهة مأفوك بها. وقد مضى البيان عن نظائر ذلك قبل, قال: وكذلك قوله: وَما كانُوا يَفْتَرُونَ.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله وَذَلك إفْكُهُمْ فقرأته عامة قرّاء الأمصار: وذلك إفكهم بكسر الألف وسكون الفاء وضم الكاف بالمعنى الذي بيّنا. ورُوي عن ابن عباس رضي الله عنهما في ذلك ما:

24214ـ حدثني أحمد بن يوسف, قال: حدثنا القاسم, قال: حدثنا هشيم, عن عوف, عمن حدثه, عن ابن عباس, أنه كان يقرأها «وَذَلِكَ أَفْكَهُمْ» يعني بفتح الألف والكاف وقال: أضلهم. فمن قرأ القراءة الأولى التي عليها قرّاء الأمصار, فالهاء والميم في موضع خفض. ومن قرأ هذه القراءة التي ذكرناها عن ابن عباس فالهاء والميم في موضع نصب, وذلك أن معنى الكلام على ذلك, وذلك صرفهم عن الإيمان بالله.

والصواب من القراءة في ذلك عندنا, القراءة التي عليها قرأة الأمصار لإجماع الحجة عليها.

الآية : 29

القول في تأويل قوله تعالى: {وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَراً مّنَ الْجِنّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمّا حَضَرُوهُ قَالُوَاْ أَنصِتُواْ فَلَمّا قُضِيَ وَلّوْاْ إِلَىَ قَوْمِهِم مّنذِرِينَ }.

يقول تعالى ذكره مقرّعا كفار قريش بكفرهم بما آمنت به الجنّ وَإِذْ صَرَفْنا إلَيْكَ يا محمد نَفَرا مِنَ الجِنّ يَسْتَمِعُونَ القُرْآنَ ذكر أنهم صرفوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحادث الذي حدث من رَجْمهم بالشهب. ذكر من قال ذلك:

24215ـ حدثنا ابن حُمَيد, قال: حدثنا جرير, عن مغيرة, عن زياد, عن سعيد بن جُبير, قال: كانت الجنّ تستمع, فلما رُجِموا قالوا: إن هذا الذي حدث في السماء لِشيء حدث في الأرض, فذهبوا يطلبون حتى رأوا النبيّ صلى الله عليه وسلم خارجا من سوق عكاظ يصلي بأصحابه الفجر, فذهبوا إلى قومهم.

24216ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن أيوب, عن سعيد بن جُبير, قال: «لما بعث النبيّ صلى الله عليه وسلم حُرِست السماء, فقال الشيطان: ما حُرِست إلا لأمر قد حدث في الأرض فبعث سراياه في الأرض, فوجدوا النبيّ صلى الله عليه وسلم قائما يصلي صلاة الفجر بأصحابه بنَخْلة, وهو يقرأ, فاستمعوا حتى إذا فرغ وَلّوْا إلى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ... إلى قوله مُسْتَقِيمٍ».

24217ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: وَإذْ صَرَفْنا إلَيْكَ نَفَرا مِنَ الجِنّ يَسْتَمِعُونَ القُرْآنَ.... إلى آخر الآية, قال: لم تكن السماء تحرس في الفترة بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم, وكانوا يقعدون مقاعد للسمع فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم حرست السماء حرسا شديدا, ورُجمت الشياطين, فأنكروا ذلك, وقالوا: لا نَدْرِي أُشَرّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الأرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبّهُمْ رَشَدا فقال إبليس: لقد حدث في الأرض حدث, واجتمعت إليه الجنّ, فقال: تفرّقوا في الأرض, فأخبروني ما هذا الخبر الذي حدث في السماء, وكان أوّل بعث ركب من أهل نصيبين, وهي أشراف الجنّ وساداتهم, فبعثهم إلى تهامة, فاندفعوا حتى بلغوا الوادي, وادي نخلة, فوجدوا نبيّ الله صلى الله عليه وسلم يصلي صلاة الغداة ببطن نخلة, فاستمعوا فلما سمعوه يتلو القرآن, قالوا: أنصتوا, ولم يكن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم علم أنهم استمعوا إليه وهو يقرأ القرآن فلما قضي ولوا إلى قومهم منذرين.

واختلف أهل التأويل في مبلغ عدد النفر الذين قال الله وَإذْ صَرَفْنا إلَيْكَ نَفَرا مِنَ الجِنّ فقال بعضهم: كانوا سبعة نفر. ذكر من قال ذلك:

24218ـ حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا عبد الحميد, قال: حدثنا النضر بن عربيّ, عن عكرمة, عن ابن عباس وَإذْ صَرَفْنا إلَيْكَ نَفَرا مِنَ الجِنّ يَسْتَمِعُونَ القُرْآنَ... الآية, قال: كانوا سبعة نفر من أهل نصيبين, فجعلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم رسلاً إلى قومهم.

وقال آخرون: بل كانوا تسعة. نفر. ذكر من قال ذلك:

24219ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا يحيى, عن سفيان, عن عاصم, عن زِرّ وَإذْ صَرَفْنا إلَيْكَ نَفَرا مِنَ الجِنّ قال: كانوا تسعة نفر فيهم زَوْبعة.

حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا أبو أحمد, قال: حدثنا سفيان, عن عاصم, عن زرّ بن حبيش, قال: أنزل على النبيّ صلى الله عليه وسلم وهو ببطن نخلة, فَلَمّا حَضَرُوهُ قال: كانوا تسعة أحدهم زَوْبَعَة.

وقوله: فَلَمّا حَضَرُوهُ يقول: فلما حضر هؤلاء النفر من الجنّ الذين صرفهم الله إلى رسوله نبيّ الله صلى الله عليه وسلم.

واختلف أهل العلم في صفة حضورهم رسول الله صلى الله عليه وسلم, فقال بعضهم: حضروا رسول الله صلى الله عليه وسلم, يتعرّفون الأمر

الذي حدث من قبله ما حدث في السماء, ورسول الله صلى الله عليه وسلم لا يشعر بمكانهم, كما قد ذكرنا عن ابن عباس قبل. وكما:

24220ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا هوذة, قال: حدثنا عوف, عن الحسن, في قوله: وَإِذْ صَرَفْنا إِلَيْكَ نَفَرا مِنَ الجِنّ قال: ما شعر بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جاؤوا, فأوحى الله عزّ وجلّ إليهِ فيهم, وأخبر عنهم.

وقال آخرون: بل أمر نبيّ الله صلى الله عليه وسلم أن يقرأ عليهم القرآن, وأنهم جمعوا له بعد أن تقدّم الله إليه بإنذارهم, وأمره بقراءة القرآن عليهم. ذكر من قال ذلك:

24221ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَإِذْ صَرَفْنا إِلَيْكَ نَفَرا مِنَ الجِنّ يَسْتَمِعُونَ القُرْآنَ قال: ذكر لنا أنهم صرفُوا إليه من نِيْنَوَى, قال: فإن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم, قال: «إني أمرت أن أقرأ القرآن على الجنّ, فأيكم يتبعني»؟ فأطرقوا, ثم استتبعهم فأطرقوا, ثم استتبعهم الثالثة فأطرقوا, فقال رجل: يا رسول الله إنك لذو بدئه, فاتبعه عبد الله بن مسعود, فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم شعبا يقال له شعب الحجون. قال: وخطّ نبيّ الله صلى الله عليه وسلم على عبد الله خطا ليثبته به, قال: فجعلت تهوي بي وأرى أمثال النسور تمشي في دفوفها, وسمعت لغطا شديدا, حتى خفت على نبيّ الله صلى الله عليه وسلم, ثم تلا القرآن فلما رجع نبيّ الله قلت: يا نبيّ الله ما اللغط الذي سمعت؟ قال: «اجتمعوا إليّ في قتيل كان بينهم, فقُضي بينهم بالحقّ». وذُكر لنا أن ابن مسعود لما قَدِم الكوفة رأى شيوخا شُمطا من الزّط, فراعوه, قال: من هؤلاء؟ قالوا: هؤلاء نفر من الأعاجم, قال: ما رأيت للذين قرأ عليهم النبيّ صلى الله عليه وسلم الإسلام من الجنّ شبها أدنى من هؤلاء.

حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة, أن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم ذهب وابن مسعود ليلة دعا الجنّ, فخطّ النبيّ صلى الله عليه وسلم على ابن مسعود خطا, ثم قال له: «لا تخرج منه». ثم ذهب النبيّ صلى الله عليه وسلم إلى الجنّ, فقرأ عليهم القرآن, ثم رجع إلى ابن مسعود فقال: «هل رأيت شيئا»؟ قال: سمعت لغَطا شديدا, قال: إن الجنّ تدارأت في قتيل قُتل بينها, فقُضِي بينهم بالحقّ, وسألوه الزاد, فقال: «كل عظم لكم عرق, وكلّ روث لكم خُضْرة». قالوا: يا رسول الله تقذّرها الناس علينا, فنهى النبيّ صلى الله عليه وسلم أن يستنجى بأحدهما فلما قدم ابن مسعود الكوفة رأى الزّطّ, وهم قوم طوال سود, فأفزعوه, فقال: أظَهَرُوا؟ فقيل له: إن هؤلاء قوم من الزّطّ, فقال ما أشبههم بالنفر الذين صُرِفوا إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم.

24222ـ قال: ثنا ابن ثور, عن معمر. عن يحيى بن أبي كثير, عن عبد الله بن عمرو بن غَيلان الثقفيّ أنه قال لابن مسعود: حُدثت أنك كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة وفد الجنّ, قال: أجَل, قال: فكيف كان؟ فذكر الحديث كله. وذُكِر أن النبيّ صلى الله عليه وسلم خطّ عليه خطا وقال: «لا تبرح منها», فذكر أن مثل العجاجة السوداء غشيت رسول الله صلى الله عليه وسلم, فذُعِر ثلاث مرّات, حتى إذا كان قريبا من الصبح, أتاني رسول الله صلى الله عليه وسلم, فقال: «أنِمْتَ»؟ قلت: لا والله,

ولقد هممت مرارا أن أستغيث بالناس حتى سمعتك تقرعهم بعصاك تقول: «اجلسوا», قال: «لو خرجتَ لم آمن أن يختطفك بعضهم», ثم قال: «هل رأيت شيئا؟» قال: نعم رأيت رجالاً سودا مستشعري ثياب بيض, قال: «أولئك جنّ نصيبين, سألوني المتاع, والمتاع الزاد, فمتعتهم بكلّ عظم حائل أو بعرة أو روثة», فقلت: يا رسول الله, وما يغني ذلك عنهم؟ قال: «إنّهُمْ لَنْ يَجِدُوا عَظْما إلاّ وَجَدُوا عَلَيْهِ لَحْمَهُ يَوْمَ أُكِل, وَلا رَوْثَةً إلاّ وَجَدُوا فِيها حَبّها يَوْمَ أُكِلَتْ, فَلا يَسْتَنْقِيَنّ أحَدٌ مِنْكُمْ إذَا خَرَجَ مِنَ الخَلاءِ بعَظْمٍ وَلا بَعْرَةٍ وَلا رَوْثَةٍ».

24223ـ حدثني محمد بن عبد الله بن عبد الحكم, قال: أخبرنا أبو زُرْعة وهب بن راشد, قال: قال يونس, قال ابن شهاب: أخبرني أبو عثمان بن شبة الخزاعي, وكان من أهل الشام أن ابن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه وهو بمكة: «مَنْ أحَبّ منْكُمْ أنْ يَحْضُرَ أمْرَ الجنّ اللّيْلَةَ فَلْيَفْعَلْ». فلم يحضر منهم أحد غيري, قال: فانطلقنا حتى إذا كنا بأعلى مكة, خطّ لي برجله خطا, ثم أمرني أن أجلس فيه, ثم انطلق حتى قام فافتتح القرآن, فغشيته أسودة كبيرة حالت بيني وبينه حتى ما أسمع صوته, ثم طفقوا يتقطعون مثل قطع السحاب ذاهبين, حتى بقي منهم رهط, ففرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم مع الفجر, فانطلق متبرّزا, ثم أتاني فقال: «ما فَعَلَ الرّهْطُ»؟ قلت: هم أولئك يا رسول الله, فأخذ عظما أو روثا أو جمجمة فأعطاهم إياه زادا, ثم نهى أن يستطيب أحد بعظم أو روث.

حدثني أحمد بن عبد الرحمن بن وهب, قال: حدثنا عمي عبد الله بن وهب, قال: أخبرني يونس, عن ابن شهاب, عن أبي عثمان بن شبة الخزاعي, وكان من أهل الشأم, أن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم, فذكر مثله سواء, إلا أنه قال: فأعطاهم روثا أو عظما زادا, ولم يذكر الجمجمة.

24224ـ حدثني أحمد بن عبد الرحمن بن وهب, قال: ثني عمي, قال: أخبرني يونس, عن الزهريّ, عن عبيد الله بن عبد الله, أن ابن مسعود, قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «بِتّ اللّيْلَةَ أقْرأ عَلى الجِنّ رُبُعا بالحَجُونِ».

واختلفوا في الموضع الذي تلا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه القرآن, فقال عبد الله بن مسعود قرأ عليهم بالحَجون, وقد ذكرنا الرواية عنه بذلك.

وقال آخرون: قرأ عليهم بنخلة, وقد ذكرنا بعض من قال ذلك, ونذكر من لم نذكره.

24225ـ حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا خلاد, عن زهير بن معاوية, عن جابر الجعفي, عن عكرمة, عن ابن عباس أن النفر الذين أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم من جنّ نصيبين أتوه وهو بنخلة.

24226ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد وَإذْ صَرَفْنا إلَيْكَ نَفَرا مِنَ الجِنّ قال: لقيهم بنخلة ليلتئذ.

وقوله: فَلَمّا حَضَرُوهُ قالُوا أنْصِتُوا يقول تعالى ذكره: فلما حضروا القـرآن ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ, قال بعضهم لبعض: أنصتوا لنسـتمع القرآن. كما:

24227ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا يحيى, عن سفيان, عن عاصم, عـن زِرّ فَلَمّا حَضَرُوهُ قالُوا أنْصِتُوا قالوا: صَهْ.

قال: ثنا أبو أحمد, قال: حدثنا سفيان, عن عاصـم, عـن زِرّ بـن حُبَيْـش, مثله.

24228ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتـادة, فـي قوله: فَلَمّا حَضَرُوهُ قالُوا أنْصِتُوا قد علم القوم أنهم لن يعقلوا حتى ينصتوا.

وقوله: فَلَمّا قُضِيَ يقول: فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم مـن القراءة وتلاوة القرآن. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويـل. ذكـر مـن قال ذلك:

24229ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, فَلَمّا قُضِيَ يقول: فلما فرغ مـن الصـلاة وَلّـوْا إلـى قَـوْمِهِمْ مُنْـذِرِينَ. وقـوله: وَلّـوْا إلـى قَـوْمِهِمْ مُنْـذِرِينَ يقـول: انصـرفوا منذرين عذَاب الله على الكفر به.

وذُكر عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جعلهم رسلاً إلى قومهم.

24230ـ حدثنا بذلك أبو كُرَيب, قال: حدثنا عبـد الحميـد الحِمّـانيّ, قـال: حدثنا النضر, عن عكرمة, عن ابن عبـاس. وهـذا القـول خلاف القـول الـذي رُوي عنه أنه قال: لم يكن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم علم أنهم اسـتمعوا إليـه وهـو يقـرأ القـرآن, لأنـه محـال أن يرسـلهم إلـى آخريـن إلا بعـد علمـه بمكانهم, إلا أن يقال: لم يعلم بمكانهم في حال استماعهم للقرآن, ثـم علـم بعد قبل انصرافهم إلى قومهم, فأرسلهم رسلاً حينئـذٍ إلـى قـومهم, وليـس ذلك في الخبر الذي روي.

الآية : 30

القول فـي تأويـل قوله تعالى: {قَالُواْ يَقَوْمَنَآ إِنّا سَمِعْنَا كِتَاباً أُنزِلَ مِ ن بَعْـدِ مُوسَىَ مُصَدّقاً لّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِيَ إِلَى الْحَقّ وَإِلَىَ طَرِيقٍ مّسْتَقِيمٍ }.

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل هؤلاء الذين صُرفوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من الجن لقومهم لما انصرفوا إليهـم مـن عنـد رسـول اللـه صلى الله عليه وسلم: يا قَوْمَنا من الجنّ إنّا سَمِعْنا كِتابا أُنْزِلَ مِنْ بَعْـدِ كتـاب مُوسَى مُصَدّقا لِمَا بَيَنَ يَدَيْهِ يقول: يصدّق ما قبله من كتب اللـه الـتي أنزلهـا على رَسُله.

وقوله: يَهْدِي إلى الحَقّ يقول: يرشد إلى الصواب, ويدلّ على ما فيـه للـه رضا وَإلى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ يقول: وإلى طريق لا اعوجاج فيه, وهـو الإسـلام. وكان قتادة يقول في ذلك ما:

24231ـحدثنا بشر, قال: حدثنا سعيد عن قتادة أنه قرأ قالُوا يا قَوْمَنا إنّـا سَمِعْنا كِتابا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدّقا لِمَا بَيَنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إلى الحَـقّ وَإلـى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ فقال: ما أسرع ما عقل القوم, ذُكر لنا أنهم صُرِفوا إليه مـن نينوي.

الآية : 31-32

القول في تأويل قوله تعالى: {يَقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ اللّهِ وَآمِنُواْ بِهِ يَغْفِرْ لَكُمْ مّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * وَمَن لاّ يُجِبْ دَاعِيَ اللّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَوْلِيَآءُ أُوْلَـئِكَ فِي ضَلاَلٍ مّبِينٍ }.

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل هؤلاء النفر من الجنّ يا قَوْمَنا من الجنّ أجِيبُوا دَاعِيَ اللّهِ قالوا: أجيبوا رسول الله محمدا إلى ما يدعوكم إليه من طاعة الله وآمِنُوا بِهِ يقول: وصدّقوه فيما جاءكم به وقومه من أمر الله ونهيه, وغير ذلك مما دعاكم إلى التصديق به يَغْفِرْ لَكُمْ يقول: يتغمد لكم ربكم من ذنوبكم فيسترها لكم ولا يفضحكم بها في الآخرة بعقوبته إياكم عليها ويُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ إلِيمٍ يقول: وينقذكم من عذاب موجع إذا أنتم تبتم من ذنوبكم, وأنبتم من كفركم إلى الإيمان بالله وبداعيه.

وقوله: وَمَنْ لا يُجِبْ دَاعِيَ اللّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الأَرْضِ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل هؤلاء النفر لقومهم: ومن لا يجب أيّها القوم رسول الله صلى الله عليه وسلم محمدا, وداعيه إلى ما بعثه بالدعاء إليه من توحيده, والعمل بطاعته فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الأَرْضِ يقول: فليس بمعجز ربه بهربه, إذا أراد عقوبته على تكذيبه داعيه, وتركه تصديقه وإن ذهب في الأرض هاربا, لأنه حيث كان فهو في سلطانه وقبضته وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أوْلِياءُ يقول: وليس لمن لم يجب داعي الله من دون ربه نُصراء ينصرونه من الله إذا عاقبه ربه على كفره به وتكذيبه داعيه.

وقوله: أُولَئِكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ يقول: هؤلاء الذين لم يجيبوا داعي الله فيصدّقوا به, وبما دعاهم إليه من توحيد الله, والعمل بطاعته في جور عن قصد السبيل, وأخذ على غير استقامة, مبين: يقول: يبين لمن تأمله أنه ضلال, وأخذ على غير قصد.

الآية : 33

القول في تأويل قوله تعالى: {أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنّ اللّهَ الّذِي خَلَقَ السّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنّ بِقَادِرٍ عَلَىَ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىَ بَلَىَ إِنّهُ عَلَىَ كُلّ شَيْءٍ قَدِيرٌ }.

يقول تعالى ذكره: أو لم ينظر هؤلاء المنكرون إحياء الله خلقه من بعد وفاتهم, وبعثه إياهم من قبورهم بعد بلائهم, القائلون لآبائهم وأمهاتهم أفَ لكما أتعداناني أن أخرج وقد خلت القرون من قبلي فلم يبعثوا بأبصار قلوبهم, فيروا ويعلموا أن الله الذي خلق السموات السبع والأرض, فابتدعهنّ من غير شيء, ولم يعي بإنشائهنّ, فيعجز عن اختراعهنّ وإحداثهنّ بِقادِرٍ على أنْ يُحْيِي المَوْتَى فيخرجهم من بعد بلائهم في قبورهم أحياء كهيئتهم قبل وفاتهم.

واختلف أهل العربية في وجه دخول الباء في قوله: بِقادِرٍ فقال بعض نحويي البصرة: هذه الباء كالباء في قوله: كَفَى باللّهِ وهو مثل تَنْبُتُ بالدّهْنِ وقال بعض نحويي الكوفة: دخلت هذه الباء للمَ قال: والعرب تدخلها مع الجحود إذا كانت رافعة لما قبلها, وتدخلها إذا وقع عليها فعل يحتاج إلى اسمين مثل قولك: ما أظنك بقائم, وما أظنّ أنك بقائم, وما كنت بقائم, فإذا خلعت الباء نصبت الذي كانت تعمل فيه, بما تعمل فيه من الفعل, قال: ولو ألقيت الباء من قادر في هذا الموضع رفع, لأنه خبر لأن, قال: وأنشدني بعضهم:

فَمَا رَجَعَتْ بخائِبَةٍ رِكابُحَكِيمُ بنُ المُسيّبِ مُنْتَهاها

فأدخل الباء في فعل لو ألقيت منه نصب بالفعل لا بالباء, يقاس على هـذا ما أشبهه.

وقال بعض من أنكر قول البصـريّ الـذي ذكرنـا قـوله: هـذه البـاء دخلـت للجحد, لأن المجحود في المعنى وإن كان قد حال بينهما بأنّ «أوَ لَمْ يَـرَوْا أنّ اللّهَ قادِرٌ على أنْ يُحْيِي المَوْتَى» قال: فأنّ اسم يَرَوْا وما بعدها فـي صـلتها, ولا تدخل فيه الباء, ولكن معناه جحد, فدخلت للمعنى.

وحُكي عن البصريّ أنه كان يأبى إدخال إلاّ, وأن النحويين من أهل الكوفـة يجيزونه, ويقولون: ما ظننت أن زيـدا إلا قائمـا, ومـا ظننـت أن زيـدا بعـالم. وينشد:

وَلَسْتُ بِحالِفٍ لَوَلَدْتُ مِنْهُمْعَلى عَمّيّةٍ إلاّ زِيادا

قال: فأدخل إلا بعد جواب اليمين, قال: فأما «كَفَى بِاللّهِ», فهذه لم تدخل إلا لمعنى صحيح, وهي للتعجّب, كما تقـول لظَـرُفَ بزيـد. قـال: وأمـا تَنْبُـتُ بالدهن فأجمعوا على أنها صلة. وأشبه الأقوال في ذلك بالصـواب قـول مـن قال: دخلت الباء في قوله بقادِرٍ للجَحْد, لما ذكرنا لقائلي ذلك من العِلل.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله: بِقادِرٍ فقرأ ذلك عامة قرّاء الأمصار, عن أبي إسحاق والجَحْدِريّ والأعرج بِقـادِرٍ وهـي الصـحيحة عنـدنا لإجمـاع قـرّاء الأمصار عليها. وأمـا الآخـرون الـذين ذكرتهـم فـإنهم فيمـا ذُكـر عنهـم كـانوا يقرأون ذلك «يقدر» بالياء. وقد ذُكر أنه في قراءة عبد الله بن مسـعود «أنّ اللّهَ الّذِي خَلَقَ السّمَواتِ وَالأرْضَ قَادِرٌ» بغير باء, ففي ذلك حجة لمـن قـرأه «بقادِرٍ» بالباء والألف. وقوله: بَلى إنّـهُ عَلـى كُـلّ شَـيْءٍ قَـدِيرٌ يقـول تعـالى ذكره: بلى, يقدر الذي خلق السموات والأرض على إحياء الموتى: أي الــذي خلق ذلك على كلّ شيء شاء خلقـه, وأراد فعلـه, ذو قـدرة لا يعجـزه شـيء أراده, ولا يُعييه شيء أراد فعله, فيعييـه إنشـاء الخلـق بعـد الفنـاء, لأن مـن عجز عن ذلك فضعيف, فلا ينبغي أن يكون إلها من كان عما أراد ضعيفا.

الآية : 34

القول فـي تأويـل قوله تعالى: {وَيَوْمَ يُعْرَضُ الّذِينَ كَفَرُواْ عَلَىَ النّارِ أَلَيْـسَ هَـذَا بِالْحَقّ قَالُواْ بَلَىَ وَرَبّنَا قَالَ فَذُوقُواْ الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ }.

يقول تعالى ذكره: ويوم يعرض هؤلاء المكذّبون بالبعث, وثواب الله عباده على أعمالهم الصالحة, وعقابه إياهم على أعمالهم السيئة, علـى النـار, نـار جهنم, يقال لهم حينئذٍ: أليس هـذا العـذاب الـذي تعـذّبونه اليـوم, وقـد كنتـم تكذّبون به في الدنيا بالحقّ, توبيخا من الله لهم على تكـذيبهم بـه, كـان فـي الدنيا قالُوا بَلى وَرَبّنا يقول: فيجيـب هـؤلاء الكفـرة مـن فـورهم بـذلك, بـأن يقولوا بلى هو الحقّ والله قـال: فَـذُوقُوا العَـذَابَ بِمَـا كُنْتُـمْ تَكْفُـرُونَ يقـول: فقال لهم المقرّر بـذلك: فـذوقوا عـذاب النـار الآن بمـا كنتـم تجحـدونه فـي الدنيا, وتنكرونه, وتأبَون الإقرار إذا دُعيتم إلى التصديق به.

الآية : 35

القول فـي تأويـل قوله تعالى: {فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ الْعَـزْمِ مِـنَ الرّسُـلِ وَلاَ تَسْتَعْجِل لّهُمْ كَأَنّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَـمْ يَلْبَثُـوَاْ إِلاّ سَـاعَةً مّـن نّهَـارٍ بَلاَغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلاّ الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ }.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم, مثبته على المضـيّ لما قلّده من عبْءِ الرسـالة, وثقـل أحمـال النبـوّة صـلى اللـه عليـه وسـلم, وآمره بالائتساء في العزم على النفوذ لذلك بأولي العزم من قبله من رسـله

الذين صبروا على عظيم ما لَقُوا فيه من قومهم من المكاره, ونالهم فيه منهم من الأذى والشدائد فاصْبِرْ يا محمد على ما أصابك في الله من أذى مكذّبيك من قومك الذين أرسلناك إليهم بالإنذار كمَا صَبَرَ أُولُوا العَزْمِ على القيام بأمر الله, والانتهاء إلى طاعته من رسله الذين لم ينههم عن النفوذ لأمره, ما نالهم فيه من شدّة. وقيل: إن أولي العزم منهم, كانوا الذين امتُحِنوا في ذات الله في الدنيا بالمِحَن, فلم تزدهم المحن إلا جدّا في أمر الله, كنوح وإبراهيم وموسى ومن أشبههم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

24232ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: ثني ثوابة بن مسعود, عن عطاء الخُراسانيّ, أنه قال فاصْبِرْ كمَا صَبَرَ أُولُو العَزْمِ مِنَ الرّسُلِ نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم.

24233ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة فاصْبِرْ كمَا صَبَرَ أُولُو العَزْمِ مِنَ الرّسُلِ كنا نحدّث أن إبراهيم كان منهم.

وكان ابن زيد يقولَ في ذلك ما:

24234ـ حدثني به يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: فاصْبِرْ كمَا صَبَرَ أُولُو العَزْمِ مِنَ الرّسُلِ قال: كلّ الرسل كانوا أولي عزم لم يتخذ الله رسولاً إلا كان ذَا عزم, فاصبر كما صبروا.

24235ـ حدثنا ابن سنان القزّاز, قال: حدثنا عبد الله بن رجاء, قال: حدثنا إسرائيل, عن سالم, عن سعيد بن جُبير, في قوله: فاصْبِرْ كمَا صَبَرَ أُولُو العَزْمِ مِنَ الرّسُلِ قال: سماه الله من شدّته العزم.

وقوله: وَلا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ يقول: ولا تستعجل عليهم بالعذاب, يقول: لا تعجل بمسألتك ربك ذلك لهم فإن ذلك نازل بهم لا محالة كأنّهُمْ يومَ يَرَوْنَ ما يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إلاّ ساعَةً مِنْ نَهارٍ يقول: كأنهم يوم يرون عذاب الله الذي يعدهم أنه منزله بهم, لم يلبثوا في الدنيا إلا ساعة من نهار, لأنه ينسيهم شدّة ما ينزل بهم من عذابه, قدر ما كانوا في الدنيا لبثوا, ومبلغ ما فيها مكثوا من السنين والشهور, كما قال جلّ ثناؤه: قالَ لَبِثْتُمْ فِي الأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ؟ قالُوا لَبِثْنا يَوْما أوْ بَعْضَ يَوْمٍ, فاسْألِ العادّينَ.

وقوله: بَلاغٌ فِيهِ وجهان: أحدهما أن يكون معناه: لم يلبثوا إلا ساعة من نهار ذلك لبث بلاغ, بمعنى: ذلك بلاغ لهم في الدنيا إلى أجلهم, ثم حذفت ذلك لبث, وهي مرادة في الكلام اكتفاء بدلالة ما ذكر من الكلام عليها. والآخر: أن يكون معناه: هذا القرآن والتذكير بلاغ لهم وكفاية, إن فكّروا واعتبروا فتذكروا.

وقوله: فَهَلْ يُهْلَكُ إلاّ القَوْمُ الفاسِقُونَ يقول تعالى ذكره: فهل يهلك الله بعذابه إذا أنزله إلا القوم الذين خالفوا أمره, وخرجوا عن طاعته وكفروا به. ومعنى الكلام: وما يهلك الله إلا القوم الفاسقين. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

24236ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, في قوله: فَهَلْ يُهْلَكُ إلاّ القَوْمُ الفاسِقُونَ تَعَلّموا ما يهلك على الله إلا هالك ولى الإسلام ظهرَه أو منافق صدّق بلسانه وخالف بعمله. ذُكر لنا أن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم كان يقول: «أيّمَا عَبْدٍ مِنْ أُمّتِي هَمّ بِحَسَنَةٍ كُتِبَتْ لَهُ وَاحدَةٌ, وَإنْ عَمِلها كُتِبَتْ لَهُ عَشْرَ أمْثالِهَا. وأيّمَا عَبْدٍ هَمّ بسَيّئَةٍ لَمْ تُكْتَبْ

عَلَيْهِ, فإنْ عَمِلَها كُتِبَتْ سَيّئَةً وَاحِدَةً, ثُمّ كانَ يَتْبَعُها, ويَمْحُوها اللّـهُ وَلا يَهْلِـكُ إلاّ هالِكٌ».

سورة محمد

مدنية

وآياتها ثمان وثلاثون

بسم الله الرحمَن الرحيم

الآية : 1-2

القول في تأويل قوله تعالى: {الّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدّواْ عَن سَبِيلِ اللّـهِ أَضَلّ أَعْمَالَهُمْ * وَالّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصّالِحَاتِ وَآمَنُواْ بِمَا نُزّلَ عَلَىَ مُحَمّدٍ وَهُوَ الْحَقّ مِن رّبّهِمْ كَفّرَ عَنْهُمْ سَيّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ }.

قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: الذين جحدوا توحيد الله وعبدوا غيره وصدّوا من أراد عبادتَه والإقرار بوحدانيته, وتصديق نبيه محمد صلى الله عليه وسلم عن الذي أراد من الإسلام والإقرار والتصديق أضَلّ أعمالَهمْ يقول: جعل الله أعمالهم ضلالاً على غير هدى وغير رشاد, لأنها عملت في سبيل الشيطان وهي على غير استقامة وَالّذِينَ آمَنُوا وَعمِلُوا الصّالِحاتِ يقول تعالى ذكره: والذين صدّقوا الله وعملوا بطاعته, واتبعوا أمره ونهيه وآمَنُوا بِمَا نُزّلَ على مُحَمّدٍ يقول: وصدّقوا بالكتاب الذي أنزل الله على محمد وَهُوَ الحَقّ مِنْ رَبّهِمْ كَفّرَ عَنْهُمْ سَيّئاتِهِمْ يقول: محا الله عنهم بفعلهم ذلك سيىء ما عملوا من الأعمال, فلم يؤاخذهم به, ولم يعاقبهم عليه وأصْلَحَ بالَهُمْ يقول: وأصلح شأنهم وحالهم في الدنيا عند أوليائه, وفي الآخرة بأن أورثهم نعيم الأبد والخلود الدائم في جنانه.

وذُكر أنه عنى بقوله: الّذِينَ كَفَرُوا... الآية أهل مكة, وَالّذِينَ آمَنُوا وَعمِلُوا الصّالِحاتِ... الآية, أهل المدينة. ذكر من قال ذلك:

24237ـ حدثني إسحاق بن وهب الواسطي, قال: حدثنا عبيد الله بن موسى, قال: أخبرنا إسرائيل, عن أبي يحيى القتات, عن مجاهد, عن عبد الله بن عباس, في قوله: الّذِينَ كَفَرُوا وَصَدّوا عَنْ سَبِيلِ اللّهِ قال: نزلت في أهل مكة وَالّذِينَ آمَنُوا وَعمِلُوا الصّالِحاتِ قال: الأنصار.

وبنحو الذي قلنا في معنى قوله: وأصْلَحَ بالَهُمْ قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

24238ـ حدثني إسحاق بن وهب الواسطي, قال: حدثنا عبيد الله بن موسى, قال: حدثنا إسرائيل, عن أبي يحيى القتات, عن مجاهد, عن عبد الله بن عباس وأصْلَحَ بالَهُمْ قال: أمرهم.

24239ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد وأصْلَحَ بالَهُمْ قال: شأنهم.

24240ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وأصْلَحَ بالَهُمْ قال: أصلح حالهم.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة وأصْلَحَ بالَهُمْ قال: حالهم.

24241ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وأَصْلَحَ بالَهُمْ قال حالهم. والبال: كالمصدر مثل الشأن لا يعرف منه فعل, ولا تكاد العرب تجمعه إلا في ضرورة شعر, فإذا جمعوه قالوا بالات.

الآية : 3

القول في تأويل قوله تعالى: {ذَلِكَ بِأَنّ الّذِينَ كَفَرُواْ اتّبَعُواْ الْبَاطِلَ وَأَنّ الّذِينَ آمَنُواْ اتّبَعُواْ الْحَقّ مِن رّبّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللّهُ لِلنّاسِ أَمْثَالَهُمْ }.

يقول تعالى ذكره: هذا الذي فعلنا بهذين الفريقين من إضلالنا أعمال الكافرين, وتكفيرنا عن الذين آمنوا وعملوا الصالحات, جزاء منا لكلّ فريق منهم على فعله. أما الكافرون فأضللنا أعمالهم, وجعلناها على غير استقامة وهدى, بأنهم اتبعوا الشيطان فأطاعوه, وهو الباطل. كما:

24250حدثني زكريا بن يحيى بن أبي زائدة, وعباس بن محمد, قالا: حدثنا حجاج بن محمد, قال: قال ابن جُرَيج: أخبرني خالد أنه سمع مجاهدا يقول ذلكَ بأنّ الّذِينَ كَفَرُوا اتّبَعُوا الباطِلَ قال: الباطل: الشيطان. وأما المؤمنون فكفّرنا عنهم سيئاتهم, وأصلحنا لهم حالهم بأنهم اتبعوا الحقّ الذي جاءهم من ربهم, وهو محمد صلى الله عليه وسلم, وما جاءهم به من عند ربه من النور والبرهان كَذَلكَ يَضْرِبُ اللّهُ للنّاسِ أمْثالَهُمْ يقول عزّ وجلّ: كما بينت لكم أيها الناس فعلي بفريق الكفر والإيمان, كذلك نمثل للناس الأمثال, ونشبه لهم الأشباه, فنلحق بكلّ قوم من الأمثال أشكالاً.

الآية : 4

القول في تأويل قوله تعالى: {فَإِذَا لَقِيتُمُ الّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرْبَ الرّقَابِ حَتّىَ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدّواْ الْوَثَاقَ فَإِمّا مَنّا بَعْدُ وَإِمّا فِدَآءً حَتّىَ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ اللّهُ لاَنْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِن لّيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ وَالّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَلَن يُضِلّ أَعْمَالَهُمْ }.

يقول تعالى ذكره لفريق الإيمان به وبرسوله: فَإذَا لَقِيُتمُ الّذِينَ كَفَرُوا بالله ورسوله من أهل الحرب, فاضربوا رقابهم.

وقوله: حتى إذَا أثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدّوا الوَثاقَ يقول: حتى إذا غلبتموهم وقهرتم من لم تضربوا رقبته منهم, فصاروا في أيديكم أسرى فَشُدّوا الوَثاقَ يقول: فشدّوهم في الوثاق كيلا يقتلوكم, فيهربوا منكم.

وقوله: فإمّا مَنّا بَعْدُ وإمّا فِدَاءً يقول: فإذا أسرتموهم بعد الإثخان, فإما أن تمنوا عليهم بعد ذلك بإطلاقكم إياهم من الأسر, وتحرروهم بغير عوض ولا فدية, وإما أن يفادوكم فداء بأن يعطوكم من أنفسهم عوضا حتى تطلقوهم, وتخلوا لهم السبيل.

واختلف أهل العلم في قوله: حتى إذَا أثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدّوا الوَثاقَ, فإمّا مَنّا بَعْدُ وَإمّا فِداءً فقال بعضهم: هو منسوخ نسخه قوله: فاقْتُلُوا المُشْرِكينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُم وقوله فإمّا تَثْقَفَنّهُمْ في الحَرْب فَشَرّدْ بِهِمْ مِنْ خَلْفِهُمْ. ذكر من قال ذلك:

24242ـ حدثنا ابن حُمَيد وابن عيسى الدامغانيّ, قالا: حدثنا ابن المبارك, عن ابن جُرَيج أنه كان يقول, في قوله: فإمّا مَنّا بَعْدُ وَإمّا فِداءً نسخها قوله: فاقْتُلوا المشْرِكِينَ حَيْثُ وَجدْتُمُوهُمْ.

24243ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن السديّ فإمّا مَنّا بَعْدُ وَإمّا فِداءً قال: نسخها فاقْتُلُوا المُشْرِكينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ.

24244ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة فإمّا مَنّا بَعْدُ وَإمّا فِداءً نسخها قوله: فإمّا تَثْقَفَنّهُمْ فِي الحَرْبِ فَشَرّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ.

حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: فإذَا لَقِيُتمُ الّذينَ كَفَرُوا إلى قوله: وَإمّا فِدَاءً كان المسلمون إذا لقوا المشركين قاتلوهم, فإذا أسروا منهم أسيرا, فليس لهم إلا أن يُفادوه, أو يمنوا عليه, ثم يرسلوه, فنسخ ذلك بعد قوله: فإمّا تَثْقَفَنّهُمْ فِي الحَرْبِ فَشَرّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ: أي عظ بهم من سواهم من الناس لعلهم يذّكرون.

24245ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن عبد الكريم الجزري, قال: كتب إلى أبي بكر رضي الله عنه في أسير أُسر, فذكر أنهم التمسوه بفداء كذا وكذا, فقال أبو بكر: اقتلوه, لقتلُ رجل من المشركين, أحبّ إليّ من كذا وكذا.

24246ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: فإذَا لَقِيُتمُ الّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرّقابِ... إلى آخر الآية, قال: الفداء منسوخ, نسختها: فإذَا انْسَلَخَ الأشْهُرُ الحُرُمُ... إلى كُلّ مَرْصَدٍ قال: فلم يبق لأحد من المشركين عهد ولا حرمة بعد براءة, وانسلاخ الأشهر الحَرم.

24247ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: فإمّا مَنّا بَعْدُ وَإمّا فِداءً هذا منسوخ, نسخه قوله: فإذَا انْسَلَخَ الأشْهُرُ الحُرُمُ فاقْتُلُوا المُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ فلم يبق لأحد من المشركين عهد ولا ذمة بعد براءة.

وقال آخرون: هي محكمة وليست بمنسوخة, وقالوا: لا يجوز قتل الأسير, وإنما يجوز المنّ عليه والفداء. ذكر من قال ذلك:

24248ـ حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا أبو عتاب سهل بن حماد, قال: حدثنا خالد بن جعفر, عن الحسن, قال: أتى الحجاج بأسارى, فدفع إلى ابن عمر رجلاً يقتله, فقال ابن عمر: ليس بهذا أُمرنا, قال الله عزّ وجلّ حتى إذَا أثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدّوا الوَثاقَ, فإمّا مَنّا بَعْدُ وَإمّا فِداءً قال: البكا بين يديه فقال الحسن: لو كان هذا وأصحابه لابتدروا إليهم.

24249ـ حدثنا ابن حميد وابن عيسى الدامغانيّ, قالا: حدثنا ابن المبارك, عن ابن جُرَيج, عن عطاء أنه كان يكره قتل المشرك صبرا, قال: ويتلو هذه الآية فإمّا مَنّا بَعْدُ وَإمّا فِداءً.

24250ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن الحسن, قال: لا تقتل الأسارى إلا في الحرب يهيب بهم العدوّ.

24251ـ قال: ثنا ابن ثور, عن معمر, قال: كان عمر بن عبد العزيز يفديهم الرجل بالرجل, وكان الحسن يكره أن يفادي بالمال.

24252ـ قال: ثنا ابن ثور, عن معمر, عن رجل من أهل الشأم ممن كان يحرس عمر بن عبد العزيز, وهو من بني أسد, قال: ما رأيت عمر رحمه الله قتل أسيرا إلا واحدا من الترك كان جيء بأسارى من الترك, فأمر بهم أن يُسترقوا, فقال رجل ممن جاء بهم: يا أمير المؤمنين, لو كنت رأيت هذا لأحدهم وهو يقتل المسلمين لكثر بكاؤك عليهم, فقال عمر: فدونك فاقتله, فقام إليه فقتله.

والصواب من القول عندنا في ذلك أن هذه الآية محكمة غير منسوخة, وذلك أن صفة الناسخ والمنسوخ ما قد بيّنا في غير موضع في كتابنا إنه ما لم يجز اجتماع حكميهما في حال واحدة, أو ما قامت الحجة بأن أحدهما ناسخ الآخر, وغير مستنكر أن يكون جعل الخيار في المنّ والفداء والقتل إلى الرسول صلى الله عليه وسلم, وإلى القائمين بعده بأمر الأمة, وإن لم يكن القتل مذكورا في هذه الآية, لأنه قد أذن بقتلهم في آية أخرى, وذلك قوله: فَاقْتُلُوا المُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ.... الآية, بل ذلك كذلك, لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كذلك كان يفعل فيمن صار أسيرا في يده من أهل الحرب, فيقتل بعضا ويفادي ببعض, ويمنّ على بعض, مثل يوم بدر قتل عقبة بن أبي مُعَيْط وقد أُتي به أسيرا, وقتل بني قُرَيظة, وقد نزلوا على حكم سعد, وصاروا في يده سلِما, وهو على فدائهم, والمنّ عليهم قادر, وفادى بجماعة أسارى المشركين الذين أُسروا ببدر, ومنّ على ثمامة بن أثال الحنفيّ, وهو أسير في يده, ولم يزل ذلك ثابتا من سيره في أهل الحرب من لدن أذن الله له بحربهم, إلى أن قبضه إليه صلى الله عليه وسلم دائما ذلك فيهم, وإنما ذكر جلّ ثناؤه في هذه الآية المنّ والفداء في الأسارى, فخصّ ذكرهما فيها, لأن الأمر بقتلهم ا والإذن منه بذلك قد كان تقدم في سائر آي تنزيله مكرّرا, فأعلم نبيه صلى الله عليه وسلم بما ذكر في هذه الآية من المنّ والفداء ماله فيهم مع القتل.

وقوله: حتى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَها يقول تعالى ذكره: فإذا لقيتم الذين كفروا فاضربوا رقابهم, وافعلوا بأسراهم ما بيّنت لكم, حتى تضع الحرب آثامها وأثقال أهلها, المشركين بالله بأن يتوبوا إلى الله من شركهم, فيؤمنوا به وبرسوله, ويطيعوه في أمره ونهيه, فذلك وضع الحرب أوزارها, وقيل: حتى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَها والمعنى: حتى تلقي الحرب أوزار أهلها. وقيل: معنى ذلك: حتى يضع المحارب أوزاره. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

24253ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى: وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: حتى تَضَعَ الحَرْبُ أَوْزَارَها قال: حتى يخرج عيسى ابن مريم, فيسلم كلّ يهوديّ ونصرانيّ وصاحب ملة, وتأمن الشاة من الذئب, ولا تقرض فأرة جِرابا, وتذهب العداوة من الأشياء كلها, ذلك ظهور الإسلام على الدين كله, وينعم الرجل المسلم حتى تقطر رجله دما إذا وضعها.

24254ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: حتى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَها حتى لا يكون شرك.

حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة حتى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَها قال: حتى لا يكون شرك.

ذكر من قال: عُنِي بالحرب في هذا الموضع: المحاربون.

24255ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور عن معمر, عن قتادة حتى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَها قال الحرب: من كان يقاتلهم سماهم حربا.

وقوله: ذلكَ وَلَوْ يَشاءُ اللّـهُ لانْتَصَرَ مِنْهُمْ يقول تعالى ذكره: هذا الذي أمرتكم به أيها المؤمنون من قتل المشركين إذا لقيتموهم في حرب, وشدّهم وثاقا بعد قهرهم, وأسرهم, والمنّ والفداء حتى تَضَعَ الْحَرْبُ

أوْزَارَها هو الحقّ الذي ألزمكم ربكم ولو يشاء ربكم, ويريد لانتصر من هؤلاء المشركين الذين بين هذا الحكم فيهم بعقوبة منه لهم عاجلة, وكفاكم ذلك كله, ولكنه تعالى ذكره كره الانتصار منهم, وعقوبتهم عاجلاً إلا بأيديكم أيها المؤمنون لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ يقول: ليختبركم بهم, فيعلم المجاهدين منكم والصابرين, ويبلوهم بكم, فيعاقب بأيديكم من شاء منهم, ويتعظ من شاء منهم بمن أهلك بأيديكم من شاء منهم حتى ينيب إلى الحقّ. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

24256ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وَلَوْ يَشاءُ اللّهُ لانْتَصَرَ مِنْهُمْ إي والله بجنوده الكثيرة كلّ خلقه له جند, ولو سلط أضعف خلقه لكان جندا.

وقوله: «وَالّذِينَ قاتَلُوا فِي سَبِيلِ اللّهِ» اختلفت القرّاء في قراءة ذلك, فقرأته عامة قرّاء الحجاز والكوفة «وَالّذِينَ قاتَلُوا» بمعنى: حاربوا المشركين, وجاهدوهم, بالألف وكان الحسن البصري فيما ذُكر عنه يقرأه قُتّلُوا بضم القاف وتشديد التاء, بمعنى: أنه قتلهم المشركون بعضهم بعد بعض, غير أنه لم يسمّ الفاعلون. وذُكر عن الجحدريّ عاصم أنه كان يقرأه «وَالّذِينَ قَتَلُوا» بفتح القاف وتخفيف التاء, بمعنى: والذين قتلوا المشركون بالله. وكان أبو عمرو يقرأه قُتِلُوا بضم القاف وتخفيف التاء بمعنى: والذين قتلهم المشركون, ثم أسقط الفاعلين, فجعلهم لم يسمّ فاعل ذلك بهم.

وأولى القراءات بالصواب قراءة من قرأه «وَالّذِينَ قاتَلُوا» لاتفاق الحجة من القرّاء, وإن كان لجميعها وجوه مفهومة.

وإذ كان ذلك أولى القراءات عندنا بالصواب, فتأويل الكلام: والذين قاتلوا منكم أيها المؤمنون أعداء الله من الكفار في دين الله, وفي نصرة ما بعث به رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم من الهدى, فجاهدوهم في ذلك فَلَنْ يُضِلّ أعمالَهُمْ فلن يجعل الله أعمالهم التي عملوها في الدنيا ضلالاً عليهم كما أضلّ أعمال الكافرين. وذُكر أن هذه الآية عُنِي بها أهل أحد. ذكر من قال ذلك:

24257ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وَالّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللّهِ فَلَنْ يُضِلّ أعمالَهُمْ ذُكر لنا أن هذه الآية أنزلت يوم أحد ورسول الله صلى الله عليه وسلم في الشّعْب, وقد فَشَت فيهم الجراحات والقتل, وقد نادى المشركون يومئذٍ: أُعْلُ هُبَلْ, فنادى المسلمون: الله أعلى وأجلّ, فنادى المشركون: يوم بيوم, إن الحرب سجال, إن لنا عُزّى, ولا عُزّى لكم, قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اللّهُ مَوْلانا وَلا مَوْلَى لَكُمْ. إنّ القَتْلَى مُخْتَلِفَةٌ, أمّا قَتْلانا فأحْياءٌ يُرْزَقُونَ, وأمّا قَتْلاكُمْ فَفِي النّارِ يُعَذّبُونَ».

حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة وَالّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللّهِ فَلَنْ يُضِلّ أعمالَهُمْ قال: الذين قُتلوا يوم أحد.

الآية : 5-7

القول في تأويل قوله تعالى: {سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ * وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنّةَ عَرّفَهَا لَهُمْ * يَأَيّهَا الّذِينَ آمَنُوَاْ إِن تَنصُرُواْ اللّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبّتْ أَقْدَامَكُمْ }.

يقول تعالى ذكره: سيوفق الله تعالى ذكره للعمل بما يرضي ويحبّ, هؤلاء الذين قاتلوا في سبيله, وَيُصْلِحُ بالَهُمْ: ويصلح أمرهم وحالهم في الدنيا والآخرة وَيُدْخِلُهُمُ الجَنّةَ عَرّفَها لَهُمْ يقول: ويُدخلهم الله جنته عرّفها, يقول:

عرّفها وبيّنها لهم, حتى إن الرجل ليأتي منزله منها إذا دخلها كما كان يأتي منزله في الدنيا, لا يُشْكِلُ عليه ذلك. كما:

24258ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة, عن أبي سعيد الخُدْرِيّ, قال: إذا نجّى الله المؤمنين من النار حُبسوا على قنطرة بين الجنة والنار, فاقتصّ بعضهم من بعض مظالم كثيرة كانت بينهم في الدنيا, ثم يُؤذن لهم بالدخول في الجنة, قال: فما كان المؤمن بأدلّ بمنزله في الدنيا منه بمنزله في الجنة حين يدخلها.

حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله وَيُدْخِلُهُمُ الجَنّةَ عَرّفَها لَهُمْ قال: أي منازلهم فيها.

24259ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قوله: وَيُدْخِلُهُمُ الجَنّةَ عَرّفَها لَهُمْ قال: يهتدي أهلها إلى بيوتهم ومساكنهم, وحيث قسم الله لهم لا يخطئون, كأنهم سكانها منذ خلقوا لا يستدلون عليها أحدا.

24260ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَيُدْخِلُهُمُ الجَنّةَ عَرّفَها لَهُمْ قال: بلغنا عن غير واحد قال: يدخل أهل الجنة الجنة, ولهم أعرف بمنازلهم فيها من منازلهم في الدنيا التي يختلفون إليها في عمر الدنيا قال: فتلك قول الله جلّ ثناؤه وَيُدْخِلُهُمُ الجَنّةَ عَرّفَها لَهُمْ.

وقوله: يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا إنْ تَنْصُرُوا اللّهَ يَنْصُرْكُمْ يقول تعالى ذكره: يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله, إن تنصروا الله ينصركم بنصركم رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم على أعدائه من أهل الكفر به وجهادكم إياهم معه لتكون كلمته العُليا ينصركم عليهم, ويظفركم بهم, فإنه ناصر دينه وأولياءه. كما:

24261ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: إنْ تَنْصُرُوا اللّهَ يَنْصُرْكُمْ لأنه حقّ على الله أن يعطي من سأله, وينصر من نصره.

وقوله: وَيُثَبّتْ أقْدَامَكُمْ يقول: ويقوّكم عليهم, ويجرّئكم, حتى لا تولوا عنهم, وإن كثر عددهم, وقلّ عددكم.

الآية : 8-9

القول في تأويل قوله تعالى: {وَالّذِينَ كَفَرُواْ فَتَعْساً لّهُمْ وَأَضَلّ أَعْمَالَهُمْ * ذَلِكَ بِأَنّهُمْ كَرِهُواْ مَآ أَنزَلَ اللّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ }.

يقول تعالى ذكره: وَالّذِينَ كَفَرُوا بالله, فجحدوا توحيده فَتَعْسا لَهُمْ يقول: فخزيا لهم وشقاء وبلاء. كما:

24262ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب قال: قال ابن زيد, في قوله: وَالّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسا لَهُمْ قال: شقاء لهم.

وقوله: وأضَلّ أعمالَهُمْ يقول وجعل أعمالهم معمولة على غير هدى ولا استقامة, لأنها عملت في طاعة الشيطان, لا في طاعة الرحمن. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

24263ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وأضَلّ أعمالَهُمْ قال: الضلالة التي أضلهم الله لم يهدهم كما هَدى الآخرين, فإن الضلالة التي أخبرك الله: يضلّ من يشاء, ويهدي من يشاء

قال: وهؤلاء ممن جعل عمله ضلالاً, وردّ قوله: وأضَلّ أعمالَهُمْ على قوله: فَتَعْسا لَهُمْ وهو فعل ماض, والتعس اسم, لأن التعس وإن كان اسما ففي معنى الفعل لما فيه من معنى الدعاء, فهو بمعنى: أتعسهم الله, فلذلك صلح ردّ أضلّ عليه, لأن الدعاء يجري مجرى الأمر والنهي, وكذلك قوله: حتى إذَا أثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدّوا الوَثاقَ مردودة على أمر مضمر ناصب لضرب.

وقوله: ذلكَ بأنّهُم كَرِهُوا ما أنْزَلَ اللّهُ يقول تعالى ذكره: هذا الذي فعلنا بهم من الإتعاس وإضلال الأعمال من أجل أنهم كرهوا كتابنا الذي أنزلناه إلى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وسخطوه, فكذّبوا به, وقالوا: هو سحر مبين.

وقوله: فَأَحْبَطَ أعمالَهُمْ يقول: فأبطل أعمالهم التي عملوها في الدنيا, وذلك عبادتهم الآلهة, لم ينفعهم الله بها في الدنيا ولا في الآخرة, بل أوبقهم بها, فأصلاهم سعيرا, وهذا حكم الله جلّ جلاله في جميع من كفر به من أجناس الأمم, كما قال قتادة.

24264ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة في قوله: فَتَعْسا لَهُمْ قال: هي عامة للكفار.

الآية : 10

القول في تأويل قوله تعالى: {أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي الأرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ دَمّرَ اللّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا }.

يقول تعالى ذكره: أفَلم يَسِر هؤلاء المكذّبون محمدا صلى الله عليه وسلم, المنكرو ما أنزلنا عليه من الكتاب في الأرض سفرا, وإنما هذا توبيخ من الله لهم, لأنهم قد كانوا يسافرون إلى الشام, فيرون نقمة الله التي أحلّها بأهل حَجْرِ ثمود, ويرون في سفرهم إلى اليمن ما أحلّ الله بسَبَأ, فقال لنبيه عليه الصلاة والسلام وللمؤمنين به: أفلم يسِر هؤلاء المشركون سفرا في البلاد فينظروا كيف كان عاقبة تكذيب الذين من قبلهم من الأمم المكذّبة رسلها الرّادّة نصائحها ألم نهلكها فندمّر عليها منازلها ونخرّبها, فيتعظوا بذلك, ويحذروا أن يفعل الله ذلك بهم في تكذيبهم إياه, فينيبوا إلى طاعة الله في تصديقك, ثم توعّدهم جلّ ثناؤه, وأخبرهم إن هم أقاموا على تكذيبهم رسوله, أنه مُحِلّ بهم من العذاب ما أحلّ بالذين كانوا من قبلهم من الأمم, فقال: وللْكافِرِين أمْثالهَا يقول: وللكافرين من قريش المكذبي رسول الله صلى الله عليه وسلم من العذاب العاجل, أمثال عاقبة تكذيب الأمم الذين كانوا من قبلهم رسلهم على تكذيبهم رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

24265ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قوله: وللْكافِرِين أمْثالهَا قال: مثل ما دُمّرت به القرون الأولى وعيد من الله لهم.

الآية : 11-12

القول في تأويل قوله تعالى: {ذَلِكَ بِأَنّ اللّهَ مَوْلَى الّذِينَ آمَنُواْ وَأَنّ الْكَافِرِينَ لاَ مَوْلَىَ لَهُمْ * إِنّ اللّهَ يُدْخِلُ الّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصّالِحَاتِ جَنّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأنْهَارُ وَالّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتّعُونَ وَيَأكُلُونَ كَمَا تَأكُلُ الأنْعَامُ وَالنّارُ مَثْوًى لّهُمْ }.

يقول تعالى ذكره: هذا الفعل الذي فعلنا بهذين الفريقين: فريق الإيمان, وفريق الكفر, من نُصرتنا فريق الإيمان بالله, وتثبيتنا أقدامِهم, وتدميرنا على فريق الكفر بأنّ الله مَوْلى الّذِين آمَنُوا يقول: من أجل أن الله وليّ من آمن به, وأطاع رسوله. كما:

24266ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قوله: ذلك بأنّ الله مَوْلى الّذِين آمَنُوا قال: وليهم.

وقد ذُكر لنا أن ذلك في قراءة عبد الله «ذلك بأنّ الله وليّ الّذِين آمَنُوا» و«أن» التي في المائدة التي هي في مصاحفنا إنّمَا وليّكُمُ اللّهُ ورسُولُهُ: «إنّمَا مَوْلاكُمُ اللّهُ» في قراءته.

وقوله: وأنّ الكافِرِين لا مَوْلى لهُمْ يقول: وبأن الكافرين بالله لا وليّ لهم, ولا ناصر.

وقوله: إنّ الله يُدْخِلُ الّذِين آمَنُوا وعمِلُوا الصّالِحاتِ جَنّاتٍ تَجْرِي مِنْ تحْتِها الأنهَارُ يقول تعالى ذكره: إن الله له الألوهة التي لا تنبغي لغيره, يُدخل الذين آمنوا بالله وبرسوله بساتين تجري من تحت أشجارها الأنهار, يفعل ذلك بهم تكرمة على إيمانهم به وبرسوله.

وقوله: والّذِين كَفَرُوا يَتَمَتّعُونَ وَيأْكُلُونَ كمَا تَأْكُلُ الأنْعامُ يقول جل ثناؤه: والذين جحدوا توحيد الله, وكذّبوا رسوله صلى الله عليه وسلم يتمتعون في هذه الدنيا بحطامها ورياشها وزينتها الفانية الدارسة, ويأكلون فيها غير مفكّرين في المعاد, ولا معتبرين بما وضع الله لخلقه من الحجج المؤدّية لهم إلى علم توحيد الله ومعرفة صدق رسله, فمثلهم في أكلهم ما يأكلون فيها من غير علم منهم بذلك, وغير معرفة, مثل الأنعام من البهائم المسخرة التي لا همة لها إلا في الاعتلاف دون غيره والنّارُ مَثْوًى لَهُمْ يقول جلّ ثناؤه: والنار نار جهنم مسكن لهم, ومأوى, إليها يصيرون من بعد مماتهم.

الآية : 13

القول في تأويل قوله تعالى: {وَكَأَيّن مّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدّ قُوّةً مّن قَرْيَتِكَ الّتِيَ أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلاَ نَاصِرَ لَهُمْ }.

يقول تعالى ذكره: وكم يا محمد من قرية هي أشدّ قوّة من قريتك, يقول أهلها أشدّ بأسا, وأكثر جمعا, وأعدّ عديدا من أهل قريتك, وهي مكة, وأخرج الخبر عن القرية, والمراد به أهلها. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

24267ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وكأيّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أشَدّ قُوّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الّتي أخْرَجَتْكَ أهْلَكْناهُمْ قال: هي مكة.

حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة في قوله وكأيّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أشَدّ قُوّةً مِنْ قَرْيَتِكَ قال: قريته مكة.

24268ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا المعتمر بن سليمان, عن أبيه, عن حبيش, عن عكرمة, عن ابن عباس أن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم, لما خرج من مكة إلى الغار, أراه قال: التفت إلى مكة, فقال: «أنْتِ أحَبّ بِلادِ اللّهِ إلى اللّهِ, وأنْتِ أحَبّ بِلادِ اللّهِ إليّ, فَلَوْ أنّ المُشْرِكِينَ لَمْ يُخْرِجُوني لَمْ أخْرُجْ مِنْكِ, فَأعْتَى الأعْداءِ مَنْ عَتا على اللّهِ في حَرَمِهِ, أوْ قَتَلَ غيرَ قاتِلِهِ, أوْ قَتَلَ بذُحُولِ الجاهِلِيّةِ», فأنزل الله تبارك وتعالى: وكأيّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ

أشَدّ قُوّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الّتي أخْرَجَتْكَ أهْلَكْناهُمْ فَلا ناصِرَ لَهُمْ وقال جلّ ثناؤه: أخرجتك, فأخرج الخبر عن القرية, فلذلك أنّث, ثم قال: أهلكناهم, لأن المعنى في قوله أخرجتك, ما وصفت من أنه أريد به أهل القرية, فأخرج الخبر مرّة على اللفظ, ومرّة على المعنى.

وقوله: فَلا ناصِرَ لَهُمْ فيه وجهان من التأويل: أحدهما أن يكون معناه, وإن كان قد نصب الناصر بالتبرئة, فلم يكن لهم ناصر, وذلك أن العرب قد تضمر كان أحيانا في مثل هذا. والآخر أن يكون معناه: فلا ناصر لهم الآن من عذاب الله ينصرهم.

الآية : 14

القول في تأويل قوله تعالى: {أَفَمَن كَانَ عَلَىَ بَيّنَةٍ مّن رّبّهِ كَمَن زُيّنَ لَهُ سُوَءُ عَمَلِهِ وَاتّبَعُوَاْ أَهْوَاءَهُمْ }.

يقول تعالى ذكره: أفَمَنْ كَانَ على برهان وحجة وبيان مِنْ أمر رَبّهِ والعلم بوحدانيته, فهو يعبده على بصيرة منه, بأن له ربّا يجازيه على طاعته إياه الجنة, وعلى إساءته ومعصيته إياه النار, كمَنْ زُيّنَ لَهِ سُوءُ عَمَلِهِ يقول: كمن حسّن له الشيطان قبيح عمله وسيئته, فأراه جميلاً, فهو على العمل به مقيم, واتّبَعُوا أهْوَاءَهُمْ واتبعوا ما دعتهم إليه أنفسهم من معصية الله, وعبادة الأوثان من غير أن يكون عندهم بما يعملون من ذلك برهان وحجة. وقيل: إن الذي عُني بقوله: أفمَنْ كانَ على بَيّنَةٍ مِنْ رَبّهِ نبينا عليه الصلاة والسلام, وإن الذي عُنِي بقوله: كمَنْ زُيّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ هم المشركون.

الآية : 15

القول في تأويل قوله تعالى: {مّثَلُ الْجَنّةِ الّتِي وُعِدَ الْمُتّقُونَ فِيهَآ أَنْهَارٌ مّن مّآءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مّن لّبَنٍ لّمْ يَتَغَيّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مّنْ خَمْرٍ لّذّةٍ لّلشّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مّنْ عَسَلٍ مّصَفّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلّ الثّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مّن رّبّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُواْ مَآءً حَمِيماً فَقَطّعَ أَمْعَآءَهُمْ }.

يقول تعالى ذكره: صفة الجنة التي وعدها المتقون, وهم الذين اتقوا في الدنيا عقابه بأداء فرائضه, واجتناب معاصيه فِيهَا أنهَارٌ مِنْ ماءٍ غَيرِ آسِنٍ يقول تعالى ذكره في هذه الجنة التي: ذكرها أنهار من ماء غير متغير الريح, يقال منه: قد أسِنَ ماء هذه البئر: إذا تغيرت ريح مائها فأنتنت, فهو يأسَن أسَنا, وكذلك يُقال للرجل إذا أصابته ريح منتنة: قد أسِن فهو يأسَن. وأما إذا أجَن الماء وتغير, فإنه يقال له: أسِن فهو يأسَن, ويأسِن أسونا, وماء آسن. وبنحو الذي قلنا في معنى قوله مِنْ ماءٍ غَيرِ آسِنٍ قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

24269ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, في قوله: فِيها أنهارٌ مِنْ ماءٍ غيرِ آسِنٍ يقول: غير متغير.

24270ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة, في قوله: أنهارٌ مِنْ ماءٍ غيرِ آسِنٍ قال: من ماء غير مُنْتن.

24271ـ حدثني عيسى بن عمرو, قال: أخبرنا إبراهيم بن محمد, قال: حدثنا مصعب بن سلام, عن سعد بن طريف, قال: سألت أبا إسحاق عن ماءٍ غيرِ آسِنٍ قال: سألت عنها الحارث, فحدثني أن الماء الذي غير آسن تسنيم, قال: بلغني أنه لا تمسه يد, وأنه يجيء الماء هكذا حتى يدخل في فيه.

وقوله: وأنهارٌ مِنْ لَبنٍ لَمْ يَتَغَيّرْ طَعْمُهُ يقول تعالى ذكره: وفيها أنهار من لبن لم يتغير طعمه لأنه لم يحلب من حيوان فيتغير طعمه بالخروج من

الضروع, ولكنه خلقه الله ابتداء في الأنهار, فهو بهيئته لم يتغير عما خلقه عليه.

وقوله: وأنهارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذّةٍ للشّارِبِينَ يقول: وفيها أنهار من خمر لذة للشاربين يلتذّون بشربها. كما:

24272ـ حدثني عيسى, قال: حدثنا إبراهيم بن محمد, قال: حدثنا مصعب, عن سعد بن طريف, قال: سألت عنها الحارث, فقال: لم تدسه المجوس, ولم ينفخ فيه الشيطان, ولم تؤذها شمس, ولكنها فَوْحاء, قال: قلت لعكرِمة: ما الفوحاء: قال: الصفراء. وكما:

24273ـ حدثني سعد بن عبد الله بن عبد الحكم, قال: حدثنا حفص بن عمر, قال: حدثنا الحكم بن أبان, عن عكرِمة, في قوله: مِنْ لَبن لَمْ يَتَغَيّرْ طَعْمُهُ قال: لم يحلب, وخُفِضت اللذّة على النعت للخمر, ولو جاءت رفعا على النعت للأنهار جاز, أو نصبا على يتلذّذ بها لذّة, كما يقال: هذا لك هبة. كان جائزا فأما القراءة فلا أستجيزها فيها إلا خفضا لإجماع الحجة من القرّاء عليها.

وقوله: وأنهارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفّى يقول: وفيها أنهار من عسل قد صُفّي من القَذى, وما يكون في عسل أهل الدنيا قبل التصفية, وإنما أعلم تعالى ذكره عباده بوصفه ذلك العسل بأنه مصفى أنه خلق في الأنهار ابتداء سائلاً جاريا سيل الماء واللبن المخلوقين فيها, فهو من أجل ذلك مصّفى, قد صفاه الله من الأقذاء التي تكون في عسل أهل الدنيا الذي لا يصفو من الأقذاء إلا بعد التصفية, لأنه كان في شمع فصُفي منه.

وقوله: ولَهُمْ فِيها مِنْ كُلّ الثّمَرَاتِ يقول تعالى ذكره: ولهؤلاء المتقين في هذه الجنة من هذه الأنهار التي ذكرنا من جميع الثمرات التي تكون على الأشجار وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبّهِمْ يقول: وعفو من الله لهم عن ذنوبهم التي أذنبوها في الدنيا, ثم تابوا منها, وصَفْحٌ منه لهم عن العقوبة عليها.

وقوله: كمَنْ هُوَ خالِدٌ في النّارِ يقول تعالى ذكره: أمّن هو في هذه الجنة التي صفتها ما وصفنا, كمن هو خالد في النار. وابُتدىء الكلام بصفة الجنة, فقيل: مثل الجنة التي وُعد المتقون, ولم يقل: أمّن هو في الجنة. ثم قيل بعد انقضاء الخبر عن الجنة وصفتها كمَنْ هُوَ خالِدٌ في النّارِ. وإنما قيل ذلك كذلك, استغناء بمعرفة السامع معنى الكلام, ولدلالة قوله: كمَنْ هُوَ خالِدٌ في النّارِ على معنى قوله: مَثَلُ الجَنّةِ التي وُعِدَ المُتّقُونَ.

وقوله: وَسُقُوا ماءً حَمِيما يقول تعالى ذكره: وسُقي هؤلاء الذين هم خلود في النار ماء قد انتهى حرّه فقطع ذلك الماء من شدّة حرّه أمعاءهم. كما:

24274ـ حدثني محمد بن خلف العَسْقلانيّ, قال: حدثنا حَيْوة بن شُريح الحِمصِيّ, قال: حدثنا بقية, عن صفوان بن عمرو, قال: ثني عبيد الله بن بشر, عن أبي أُمامة الباهلي, عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله: وَيُسْقَى مِنْ ماءٍ صَدِيدٍ يَتَجَرّعُهُ قال: «يُقَرّبُ إلَيْهِ فَيَتَكَرّهُهُ, فإذَا أدْنَى مِنْهُ شَوَى وَجْهَهُ, وَوَقَعَتْ فَرْوَةُ رأسِهِ, فإذا شَرِبَ قَطّعَ أمْعاءَهُ حتى يَخْرُجَ مِنْ دُبُرِهِ». قال: يقول الله وَسُقُوا ماءً حَمِيما, فَقَطّعَ أمْعاءَهُمْ يقول الله عزّ وجلّ يَشْوِي الوُجُوهَ, بِئْسَ الشّرَابُ وَساءَتْ مُرْتَفَقا.

الآية : 16

القول في تأويل قوله تعالى: {وَمِنْهُمْ مّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتّىَ إِذَا خَرَجُواْ مِنْ عِندِكَ قَالُواْ لِلّذِينَ أُوتُواْ الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفاً أُوْلَـئِكَ الّذِينَ طَبَعَ اللّهُ عَلَىَ قُلُوبِهِمْ وَاتّبَعُواَ أَهْوَآءَهُمْ }.

يقول تعالى ذكره: ومن هؤلاء الكفار يا محمد من يَسْتَمِع إِلَيْكَ وهو المنافِق, فيستمع ما تقول فلا يعيه ولا يفهمه, تهاونا منه بما تتلو عليه من كتاب ربك, وتغافلاً عما تقوله, وتدعو إليه من الإيمان, حَتّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قالوا إعلاما منهم لمن حضر معهم مجلسك من أهل العلم بكتاب الله, وتلاوتك عليهم ما تلوت, وقِيلك لهم ما قلت إنهم لن يُصْغوا أسماعهم لقولك وتلاوتك ماذَا قالَ لنا محمد آنِفا؟ وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

24275ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِك هؤلاء المنافقون, دخل رجلان: رجل ممن عقل عن الله وانتفع بما سمع ورجل لم يعقل عن الله, فلم ينتفع بما سمع, كان يقال: الناس ثلاثة: فسامع عامل, وسامع غافل, وسامع تارك.

حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ قال: هم المنافقون. وكان يقال: الناس ثلاثة: سامع فعامل, وسامع فغافل, وسامع فتارك.

24276ـ حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا يحيى بن آدم, قال: حدثنا شريك, عن عثمان أبي اليقظان, عن يحيى بن الجزّار, أو سعيد بن جُبَير, عن ابن عباس, في قوله: حَتّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قالُوا لِلّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ ماذَا قالَ آنِفا قال ابن عباس: أنا منهم, وقد سُئِلت فيمن سُئِل.

24277ـ حدثنا يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد في قوله: وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ... إلى آخر الآية, قال: هؤلاء المنافقون, والذين أُوتُوا العلم: الصحابة رضي الله عنهم.

وقوله: أُولَئِكَ الّذِينَ طَبَعَ اللّهُ على قُلُوبِهِمْ يقول تعالى ذكره: هؤلاء الذين هذه صفتهم هم القوم الذين ختم الله على قلوبهم, فهم لا يهتدون للحقّ الذي بعث الله به رسوله عليه الصلاة والسلام, واتّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ يقول: ورفضوا أمر الله, واتبعوا ما دعتهم إليه أنفسهم, فهم لا يرجعون مما هم عليه إلى حقيقة ولا برهان, وسوّى جلّ ثناؤه بين صفة هؤلاء المنافقين وبين المشركين, في أن جميعهم إنما يتبعون فيما هم عليه من فراقهم دين الله, الذي ابتعث به محمدا صلى الله عليه وسلم أهواءهم, فقال في هؤلاء المنافقين: أُولَئِكَ الّذِينَ طَبَعَ اللّهُ على قُلُوبِهِمْ وَاتّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وقال في أهل الكفر به من أهل الشرك, كَمَنْ زُيّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ, واتّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ.

الآية : 17-18

القول في تأويل قوله تعالى: {وَالّذِينَ اهْتَدَوْاْ زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ * فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلاّ السّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنّىَ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ }.

يقول تعالى ذكره: وأما الذين وفّقهم الله لاتباع الحقّ, وشرح صدورهم للإيمان به وبرسوله من الذين استمعوا إليك يا محمد, فإن ما تلوته عليهم, وسمعوه منك زَادَهُمْ هُدىً يقول: زادهم الله بذلك إيمانا إلى إيمانهم, وبيانا لحقيقة ما جئتهم به من عند الله إلى البيان الذي كان عندهم. وقد ذُكر أن

الذي تلا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من القرآن, فقال أهل النفاق منهم لأهل الإيمان, ماذا قال آنفا, وزاد الله أهل الهدى منهم هدىً, كان بعض ما أنزل الله من القرآن ينسخ بعض ما قد كان الحكم مضى به قبل. ذكر من قال ذلك:

24278ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: وَالَّذِينَ اهْتَدوْا زَادَهُمْ هُدىً وآتاهُمْ تَقْوَاهُمْ قال: لما أنزل الله القرآن آمنوا به, فكان هدى, فلما تبين الناسخ والمنسوخ زادهم هدى.

وقوله: وآتاهُمْ تَقْوَاهُمْ يقول تعالى ذكره: وأعطى الله هؤلاء المهتدين تقواهم, وذلك استعماله إياهم تقواهم إياه.

وقوله: فَهَلْ يَنْظُرُونَ إلاّ السّاعَةَ أنْ تَأتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جاءَ أشْرَاطُها يقول تعالى ذكره: فهل ينظر هؤلاء المكذّبون بآيات الله من أهل الكفر والنفاق إلا الساعة التي وعد الله خلقه بعثهم فيها من قبورهم أحياء, أن تجيئهم فجأة لا يشعرون بمجيئها. والمعنى: هل ينظرون إلا الساعة, هل ينظرون إلا أن تأتيهم بغتة. وأنْ من قوله: إلاّ أنْ في موضع نصب بالردّ على الساعة, وعلى فتح الألف من أنْ تَأتِيَهُمْ ونصب تأتِيَهم بها قراءة أهل الكوفة. وقد:

24279ـ حُدثت عن الفرّاء, قال: حدثني أبو جعفر الرّؤاسيّ, قال: قلت لأبي عمرو بن العلاء: ما هذه الفاء التي في قوله: فَقَدْ جاءَ أشْرَاطُها قال: جواب الجزاء, قال: قلت: إنها إن تأتيهم, قال: فقال: معاذ الله, إنما هي «إنْ تَأتِهِمْ» قال الفرّاء: فظننت أنه أخذها عن أهل مكة, لأنه عليهم قرأ, قال الفرَّاء: وهي أيضا في بعض مصاحف الكوفيين بسنة واحدة «تَأتِهِمْ» ولم يقرأ بها أحد منهم.

وتأويل الكلام على قراءة من قرأ ذلك بكسر ألف «إن» وجزم «تأتهم» فهل ينظرون إلا الساعة؟ فيجعل الخبر عن انتظار هؤلاء الكفار الساعة متناهيا عند قوله: إلاّ السّاعَةَ, ثم يُبْتدأ الكلام فيقال: إن تأتهم الساعة بغتة فقد جاء أشراطها, فتكون الفاء من قوله: فَقَدْ جاءَ بجواب الجزاء.

وقوله: فَقَدْ جاءَ أشْرَاطُها يقول: فقد جاء هؤلاء الكافرين بالله الساعة وأدلتها ومقدّماتها, وواحد الأشراط: شَرَط, كما قال جرير:

تَرَى شَرَطَ المِعْزَى مُهورَ نِسائِهِمْوفي شُرَطِ المِعْزَى لهُنّ مُهُورُا

ويُرَوى: «ترى قَزَم المِعْزَى», يقال منه: أشرط فلان نفسَه: إذا علمها بعلامة, كما قال أوس بن حجر:

فأشْرَطَ فِيها نَفْسَهُ وَهْوَ مُعْصِمُوألْقَى بأسْبابٍ لَهُ وَتَوَكّلا

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

24280ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, فَقَدْ جاءَ أشْرَاطُها يعني: أشراط الساعة.

24281ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: فَهَلْ يَنْظُرُونَ إلاّ السّاعَةَ أنْ تَأتِيَهُمْ بَغْتَةً قد دنت الساعة ودنا من الله فراغ العباد.

24282ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: فَقَدْ جاءَ أشْرَاطُها قال: أشراطها: آياتها.

وقوله: فأنى لَهُمْ إذَا جاءَتْهُمْ ذِكْراهُمْ يقول تعالى ذكره: فمن أيّ وجه لهؤلاء المكذّبين بآيات الله ذكرى ما قد ضيّعوا وفرّطوا فيه من طاعة الله إذا

جاءتهم الساعة, يقول: ليس ذلك بوقت ينفعهم التذكر والندم, لأنه وقت مجازاة لا وقت استعتاب ولا استعمال. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

24283ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: فأنّى لَهُمْ إذَا جاءَتْهُم ذِكْراهُمْ يقول: إذا جاءتهم الساعة أنى لهم أن يتذكروا ويعرفوا ويعقلوا؟

حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة فأنى لَهُمْ إذَا جاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ قال: أنى لهم أن يتذكروا أو يتوبوا إذا جاءتهم الساعة.

24284ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: فأنّى لَهُمْ إذَا جاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ قال: الساعة, لا ينفعهم عند الساعة ذكراهم, والذكرى في موضع رفع بقوله: فأنّى لَهُمْ لأن تأويل الكلام: فأنى لهم ذكراهم إذا جاءتهم الساعة.

الآية : 19

القول في تأويل قوله تعالى: {فَاعْلَمْ أَنّهُ لاَ إِلَـهَ إلا اللّـهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ }.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: فاعلم يا محمد أنه لا معبود تنبغي أو تصلح له الألوهة, ويجوز لك وللخلق عبادته, إلا الله الذي هو خالق الخلق, ومالك كلّ شيء, يدين له بالربوبية كلّ ما دونه وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وسل ربك غفران سالف ذنوبك وحادثها, وذنوب أهل الإيمان بك من الرجال والنساء وَاللّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلّبَكُمْ وَمَثْوَاكُم يقول: فإن الله يعلم متصرّفكم فيما تتصرّفون فيه في يقظتكم من الأعمال, ومثواكم إذا ثويتم في مضاجعكم للنوم ليلاً, لا يخفى عليه شيء من ذلك, وهو مجازيكم على جميع ذلك. وقد:

24285ـ حدثنا أبو كُريب, قال: حدثنا عثمان بن سعيد, قال: حدثنا إبراهيم بن سليمان, عن عاصم الأحول, عن عبد الله بن سرجس, قال: أكلت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم, فقلت: غفر الله لك يا رسول الله, فقال رجل من القوم: أستغفر لك يا رسول الله, قال: «نَعَمْ وَلَكَ», ثم قرأ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وللْمُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِناتِ.

الآية : 20-21

القول في تأويل قوله تعالى: {وَيَقُولُ الّذِينَ آمَنُواْ لَوْلاَ نُزّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأَوْلَىَ لَهُمْ * طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مّعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الأمْرُ فَلَوْ صَدَقُواْ اللّهَ لَكَانَ خَيْراً لّهُمْ }.

يقول تعالى ذكره: ويقول الذين صدّقوا الله ورسوله: هلا نزلت سورة من الله تأمرنا بجهاد أعداء الله من الكفار فإذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ يعني: أنها محكمة بالبيان والفرائض. وذُكر أن ذلك في قراءة عبد الله «فإذَا أُنْزِلَتْ سُورةٌ مُحْدَثَةٌ».

وقوله: وَذُكِرَ فِيها القِتالُ يقول: وذُكر فيها الأمر بقتال المشركين. وكان قتادة يقول في ذلك ما:

24286ـ حدثني بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَيَقُولُ الّذِينَ آمَنُوا لَوْلا نُزّلَتْ سُورَةٌ فإذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ

فِيها القِتالُ قال: كلّ سورة ذُكر فيها الجهاد فهي محكمة, وهي أشدّ القــرآن على المنافقين.
حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتـادة: وَذُكِـرَ فِيها القِتالُ قال: كل سورة ذُكر فيها القتال فهي محكمة.
وقوله: رأيْتَ الّذِينَ في قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يقول: رأيت الذين في قلوبهم شك في دين الله وضعف يَنْظُرُونَ إلَيْكَ يا محمد, نَظَرَ المَغْشِيّ عَلَيْهِ مِنَ المَـوْتِ, خوفا أن تغزيهم وتأمرهم بالجهاد مع المسلمين, فهم خوفا مـن ذلـك وتجبنـا عن لقاء العدوّ ينظرون إليك نظر المغشيّ عليه الذي قد صـرع. وإنمـا عنـى بقوله: مِنَ المَوْتِ من خوف الموت, وكان هذا فعل أهل النفاق. كالذي:
24287ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قـال ابـن زيـد, فـي قوله: يَنْظُرُونَ إلَيْكَ نَظَرَ المَغْشِيّ عَلَيْهِ مِنَ المَـوْتِ قـال: هـؤلاء المنـافقون طبع الله على قلوبهم, فلا يفقهون ما يقول النبيّ صلى الله عليه وسلم.
وقوله: فَأَوْلَى لَهُمْ يقول تعالى ذكـره: فـأولى لهـؤلاء الـذين فـي قلـوبهم مرض.
وقوله: فأوْلَى لَهُمْ وعيد توعّد الله به هؤلاء المنافقين. كما:
24288ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة فَأَوْلَى لَهُمْ قال: هذه وعيد, فأولى لهم, ثم انقطع الكلام فقال: طَاعَـةٌ وقَوْلٌ مَعْرُوفٌ.
حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: فَأَوْلَى لَهُمْ قال: وعيد كما تسمعون.
وقوله: طاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن قيل هؤلاء المنافقين من قبل أن تنزل سورة محكمة, ويذكر فيها القتال, وأنهم إذا قيل لهم: إن الله مفترض عليكم الجهاد, قالوا: سمع وطاعة, فقال الله عزّ وجلّ لهم إذَا أنْزِلَتْ سُورَةٌ وفُرض القتال فيها عليهم, فشقّ ذلك عليهـم, وكرهـوه طاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ قبل وجوب الفرض عليكم, فـإذا عـزم الأمـر كرهتمـوه وشقّ عليكم.
وقوله: طاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ مرفوع بمضمر, وهو قولكم قبل نزول فرض القتال طاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ.
24289ـ ورُوي عن ابن عباس بإسـناد غيـر مرتضـى أنـه قـال: قـال اللـه تعالى: فَأَوْلَى لَهُمْ ثم قال للذين آمنوا منهم طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ فعلـى هـذا القول تمام الوعيد فأولى, ثم يستأنف بعد, فيقال لهم طاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْـرُوفٌ فتكون الطاعة مرفوعة بقوله: لهم.
وكان مجاهد يقول في ذلك كما:
24290ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبـي نجيح, عن مجاهد طاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ قال: أمر الله بذلك المنافقين.
وقوله: فإذَا عَزَمَ الأمْرُ يقول: فإذا وجب القتال وجاء أمر الله بفرض ذلـك كرهتموه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
24291ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبـي نجيح, عن مجاهد فإذَا عَزَمَ الأمْرُ قال: إذا جدّ الأمر, هكذا.

قال: محمد بن عمرو في حديثه, عن أبي عاصم, وقال الحارث في حديثه, عن الحسن يقول: جدّ الأمر.

وقوله: فَلَوْ صَدَقُوا اللّهَ لَكانَ خَيْرا لَهُمْ يقول تعالى ذكره: فلو صدقوا الله ما وعدوه قبل نزول السورة بالقتال بقولهم: إذ قيل لهم: إن الله سيأمركم بالقتال طاعة, فَوَفّوا له بذلك, لكان خيرا لهم في عاجل دنياهم, وآجل معادهم. كما:

24292ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة فإذَا عَزَمَ الأمْرُ يقول: طواعية الله ورسوله, وقول معروف عند حقائق الأمور خير لهم.

حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة يقول: طاعة الله وقول بالمعروف عند حقائق الأمور خير لهم.

الآية : 22-23

القول في تأويل قوله تعالى: {فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلّيْتُمْ أَن تُفْسِدُواْ فِي الأرْضِ وَتُقَطّعُوَاْ أَرْحَامَكُمْ * أَوْلَـئِكَ الّذِينَ لَعَنَهُمُ اللّهُ فَأَصَمّهُمْ وَأَعْمَىَ أَبْصَارَهُمْ }.

يقول تعالى ذكره لهؤلاء الذين وصف أنهم إذا نزلت سورة محكمة, وذُكر فيها القتال نظروا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم نظر المغشيّ عليه فَهَلْ عَسَيْتُمْ أيها القوم, يقول: فلعلكم إن توليتم عن تنزيل الله جلّ ثناؤه, وفارقتم أحكام كتابه, وأدبرتم عن محمد صلى الله عليه وسلم وعما جاءكم به أنْ تُفْسِدُوا فِي الأرْضِ يقول: أن تعصوا الله في الأرض, فتكفروا به, وتسفكوا فيها الدماء وَتُقَطّعُوا أرْحامَكُمْ وتعودوا لما كنتم عليه في جاهليتكم من التشتت والتفرّق بعد ما قد جمعكم الله بالإسلام, وألّف به بين قلوبكم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

24293ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: فَهَلْ عَسَيْتُمْ إنْ تَوَلّيْتُمْ... الآية. يقول: فهل عسيتم كيف رأيتم القوم حين تولوا عن كتاب الله, ألم يسفكوا الدم الحرام, وقطّعوا الأرحام, وعَصَوا الرحمن.

24294ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة فَهَلْ عَسَيْتُمْ إنْ تَوَلّيْتُمْ أنْ تُفْسِدُوا فِي الأرْضِ وَتُقَطّعُوا أرْحامَكُمْ قال: فعلوا.

24295ـ حدثني محمد بن عبد الرحيم البرَقي, قال: حدثنا ابن أبي مريم, قال: أخبرنا محمد بن جعفر وسليمان بن بلال, قالا: حدثنا معاوية بن أبي المزرّد المديني, عن سعيد بن يسار, عن أبي هريرة, عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «خَلَقَ اللّهُ الخَلْقَ, فَلَمّا فَرغ مِنْهُمْ تَعَلّقَتِ الرّحِمُ بِحَقْوِ الرّحْمَنِ» فَقالَ مَهْ: فَقالَتْ: هَذَا مَقامُ العائِذِ بِكَ مِنَ القَطِيعَةِ, قالَ: أفمَا تَرْضَيْنَ أنْ أقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ, وأصِلَ مَنْ وَصَلَكِ؟ قالَتْ: نَعَمْ, قالَ: فَذلكِ لَكِ.

قال سليمان في حديثه: قال أبو هريرة: اقرأوا إن شئتم فَهَلْ عَسَيْتُمْ إنْ تَوَلّيْتُمْ أنْ تُفْسِدُوا فِي الأرْضِ وتُقَطّعُوا أرْحامَكُمْ وقد تأوّله بعضهم: فهل عسيتم إن توليتم أمور النّاس أن تفسدوا في الأرض بمعنى الولاية, وأجمعت القرّاء غير نافعٍ على فتح السين من عَسَيتم, وكان نافع يكسرها «عَسِيتم».

والصواب عندنا قراءة ذلك بفتح السين لإجماع الحجة من القرّاء عليها, وأنه لم يسمع في الكلام: عَسِيَ أخوك يقوم, بكسر السين وفتح الياء ولو كان صوابا كسرها إذا اتصل بها مكنيّ, جاءت بالكسر مع غير المكنيّ, وفي إجماعهم على فتحها مع الاسم الظاهر, الدليل الواضح على أنها كذلك مع المكنيّ, وإن التي تَلِي عسيتم مكسورة, وهي حرف جزاء, و«أن» التي مع تفسدوا في موضع نصيب بعسيتم.

وقوله: أُولَئِكَ الّذِينَ لَعَنَهُمُ اللّهُ يقول تعالى ذكره: هؤلاء الذين يفعلون هذا, يعني الذين يفسدون ويقطعون الأرحام الذين لعنهم الله, فأبعدهم من رحمته فأصمهم, يقول: فسلبهم فَهْمَ ما يسمعون بآذانهم من مواعظ الله في تنزيله وأعْمَى أبْصَارَهُمْ يقول: وسلبهم عقولهم, فلا يتبيّنون حُجج الله, ولا يتذكّرون ما يرون من عبره وأدلته.

الآية : 24-25

القول في تأويل قوله تعالى: {أَفَلاَ يَتَدَبّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىَ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ * إِنّ الّذِينَ ارْتَدّواْ عَلَىَ أَدْبَارِهِمْ مّن بَعْدِ مَا تَبَيّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشّيْطَانُ سَوّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىَ لَهُمْ }.

يقول تعالى ذكره: أفلا يتدبر هؤلاء المنافقون مواعظ الله التي يعظهم بها في آي القرآن الذي أنزله على نبيه عليه الصلاة والسلام, ويتفكّرون في حُججه التي بيّنها لهم في تنزيله فيعلموا بها خطأ ما هم عليه مقيمون أمْ عَلى قُلُوبٍ أقْفالُهَا يقول: أم أقفل الله على قلوبهم فلا يعقلون ما أنزل الله في كتابه من المواعظ والعِبَر. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك: 24296ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: أفَلا يَتَدَبّرُونَ القُرآنَ أمْ عَلى قُلُوبٍ أقْفالُهَا إذا والله يجدون في القرآن زاجرا عن معصية الله, لو تدبره القوم فعقلوه, ولكنهم أخذوا بالمتشابه فهلكوا عند ذلك.

24297ـ حدثنا إسماعيل بن حفص الأيلي, قال: حدثنا الوليد بن مسلم, عن ثور بن يزيد, عن خالد بن مَعدان, قال: ما من آدميّ إلا وله أربع أعين: عينان في رأسه لدنياه, وما يصلحه من معيشته, وعينان في قلبه لدينه, وما وعد الله من الغيب, فإذا أراد الله بعبدٍ خيرا أبصرت عيناه اللتان في قلبه, وإذا أراد الله به غير ذلك طَمَس عليهما, فذلك قوله: أمْ عَلى قُلُوبٍ أقْفالُهَا.

حدثنا ابن حُمَيد, قال: حدثنا يحيى بن واضح, قال: حدثنا ثور بن يزيد, قال: حدثنا خالد بن معدان, قال: ما من الناس أحد إلا وله أربع أعين, عينان في وجهه لمعيشته, وعينان في قلبه, وما من أحد إلا وله شيطان متبطن فقار ظهره, عاطف عنقه على عنقه, فاغر فاه إلى ثمرة قلبه, فإذا أراد الله بعبدٍ خيرا أبصرت عيناه اللتان في قلبه ما وعد الله من الغيب, فعمل به, وهما غيب, فعمل بالغيب, وإذا أراد الله بعبد شرّا تركه, ثم قرأ أمْ عَلى قُلُوبٍ أقْفالُهَا.

حدثنا ابن حُميد, قال: حدثنا الحكم, قال: حدثنا عمرو, عن ثور, عن خالد بن مَعَدان بنحوه, إلا أنه قال: ترك القلب على ما فيه.

24298ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, قال: حدثنا حماد بن زيد, قال: حدثنا هشام بن عروة, عن أبيه قال: تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما أفَلا يَتَدَبّرُونَ القُرْآن أمْ عَلى قُلُوبٍ أقْفالُها فقال شاب من

أهل اليمن: بل عليها أقفالها, حتى يكون الله عزّ وجلّ يفتحها أو يفرجها, فما زال الشاب في نفس عمر رضي الله عنه حتى ولي فاستعان به.

وقوله: إنّ الّذِينَ ارْتَدّوا عَلى أدْبارِهِمْ مِنْ بَعْدِ ما تَبَيّنَ لَهُمُ الهُدَى يقول الله عزّ وجلّ إن الذين رجعوا القهقرى على أعقابهم كفارا بالله من بعد ما تبين لهم الحقّ وقصد السبيل, فعرفوا واضح الحجة, ثم آثروا الضلال على الهدى عنادا لأمر الله تعالى ذكره من بعد العلم. كما:

24299ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: إنّ الّذِينَ ارْتَدّوا عَلى أدْبارِهِمْ مِنْ بَعْدِ ما تَبَيّنَ لَهُمُ الهُدَى هم أعداء الله أهل الكتاب, يعرفون بعث محمد نبيّ الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه عندهم, ثم يكفرون به.

24300ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة مِنْ بَعْدِ ما تَبَيّنَ لَهُمُ الهُدَى إنهم يجدونه مكتوبا عندهم.

وقال آخرون: عنى بذلك أهل النفاق. ذكر من قال ذلك:

24301ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله إنّ الّذِينَ ارْتَدّوا على أدْبارِهِمْ... إلى قوله فأحْبَطَ أعمالَهُمْ هم أهل النفاق.

24302ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: إنّ الّذِينَ ارْتَدّوا على أدْبارِهِمْ... إلى إسْرَارَهُمْ هم أهل النفاق. وهذه الصفة بصفة أهل النفاق عندنا, أشبه منها بصفة أهل الكتاب, وذلك أن الله عزّ وجلّ أخبر أن ردّتهم كانت بقيلهم لِلّذِينَ كَرِهُوا, ما نَزّلَ اللّهُ سَنُطِيعُكُم في بَعْضِ الأمْرِ ولو كانت من صفة أهل الكتاب, لكان في وصفهم بتكذيب محمد صلى الله عليه وسلم الكفاية من الخبر عنهم بأنهم إنما ارتدّوا من أجل قيلهم ما قالوا.

وقوله: الشّيْطانُ سَوّلَ لَهُمْ يقول تعالى ذكره: الشيطان زين لهم ارتدادهم على أدبارهم, من بعد ما تبين لهم الهدى. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

24303ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة الشّيْطانُ سَوّلَ لَهُمْ وأمْلَى لَهُمْ يقول: زين لهم.

حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة سَوّلَ لَهُمْ يقول: زين لهم.

وقوله: وأمْلَى لَهُمْ يقول: ومدّ الله لهم في آجالهم مُلاوة من الدهر, ومعنى الكلام: الشيطان سوّل لهم, والله أملى لهم.

واختلفت القرّاء في قراءة ذلك, فقرأته عامة قرّاء الحجاز والكوفة وأمْلَى لَهُمْ بفتح الألف منها بمعنى: وأملى الله لهم. وقرأ ذلك بعض أهل المدينة والبصرة «وأُمْلِيَ لَهُمْ» على وجه ما لم يسمّ فاعله. وقرأ مجاهد فيما ذُكر عنه «وأُمْلِي» بضم الألف وإرسال الياء على وجه الخبر من الله جلّ ثناؤه عن نفسه أنه يفعل ذلك بهم.

وأولى هذه القراءات بالصواب, التي عليها عامة قرّاء الحجاز والكوفة من فتح الألف في ذلك, لأنها القراءة المستفيضة في قَرَأةَ الأمصار, وإن كان يجمعها مذهب تتقارب معانيها فيه.

الآية : 26

القول في تأويل قوله تعالى: {ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لِلَّذِينَ كَرِهُواْ مَا نَزَّلَ اللّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الأمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ }.

يقول تعالى ذكره: أملى الله لهؤلاء المنافقين وتركهم, والشيطان سول لهم, فلم يوفقهم للهدى من أجل أنهم قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ من الأمر بقتال أهل الشرك به من المنافقين: سَنُطِيعُكُمْ في بَعْضِ الأمْرِ الذي هو خلاف لأمر الله تبارك وتعالى, وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم. كما:

24304ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة ذلكَ بأنّهُمْ قالُوا للّذِينَ كَرِهُوا ما نَزّلَ اللّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الأمْرِ فهؤلاء المنافقون وَاللّهُ يَعْلَمُ إسْرَارَهُمْ يقول تعالى ذكره: والله يعلم إسرار هذين الحزبين المتظاهرين من أهل النفاق, على خلاف أمر الله وأمر رسوله, إذ يتسارّون فيما بينهم بالكفر بالله ومعصية الرسول, ولا يخفى عليه ذلك ولا غيره من الأمور كلها.

واختلفت القرّاء في قراءة ذلك, فقرأته عامة قرّاء أهل المدينة والبصرة «أسْرَارُهُمْ» بفتح الألف من أسرارهم على وجه جماع سرّ. وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفة إسْرَارَهُمْ بكسر الألف على أنه مصدر من أسررت إسرارا.

والصواب من القول في ذلك عندنا أنهما قراءتان معروفتان صحيحتا المعنى, فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب.

الآية : 27-28

القول في تأويل قوله تعالى: {فَكَيْفَ إِذَا تَوَفّتْهُمُ الْمَلاَئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ * ذَلِكَ بِأَنّهُمُ اتّبَعُواْ مَآ أَسْخَطَ اللّهَ وَكَرِهُواْ رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ }.

يقول تعالى ذكره: والله يعلم إسرار هؤلاء المنافقين, فكيف لا يعلم حالهم إذا توفتهم الملائكة, وهم يضربون وجوههم وأدبارهم, يقول: فحالهم أيضا لا يخفى عليه في ذلك الوقت ويعني بالأدبار: الأعجاز, وقد ذكرنا الرواية في ذلك فيما مضى قبل.

وقوله: ذَلكَ بأنّهُمْ اتّبَعُوا ما أسْخَطَ اللّهُ يقول تعالى ذكره: تفعل الملائكة هذا الذي وصفت بهؤلاء المنافقين من أجل أنهم اتبعوا ما أسخط الله, فأغضبه عليهم من طاعة الشيطان وكَرِهُوا رِضْوَانَهُ يقول: وكرهوا ما يرضيه عنهم من قتال الكفار به, بعد ما افترضه عليهم.

وقوله: فأحْبَطَ أعمالَهُمْ يقول: فأبطل الله ثواب أعمالهم وأذهبه, لأنها عملت في غير رضاه ولا محبته, فبطلت, ولم تنفع عاملها.

الآية : 29-30

القول في تأويل قوله تعالى: {أَمْ حَسِبَ الّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مّرَضٌ أَن لّن يُخْرِجَ اللّهُ أَضْغَانَهُمْ * وَلَوْ نَشَآءُ لأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ }.

يقول تعالى ذكره: أحسب هؤلاء المنافقون الذين في قلوبهم شكّ في دينهم, وضعف في يقينهم, فهم حيارَى في معرفة الحقّ أن لن يُخرج الله ما في قلوبهم من الأضغان على المؤمنين, فيبديه لهم ويظهره, حتى يعرفوا نفاقهم, وحيرتهم في دينهم وَلَوْ نَشاءُ لأَرَيْناكَهُمْ يقول تعالى ذكره: ولو نشاء يا محمد لعرّفناك هؤلاء المنافقين حتى تعرفهم من قول القائل: سأريك ما أصنع, بمعنى سأعلمك.

وقوله: فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيماهُمْ يقول: فلتعرفنهم بعلامات النفاق الظاهرة منهم في فحوى كلامهم, وظاهر أفعالهم, ثم إن الله تعالى ذكره عرّفه إياهم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

24305ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغانَهُمْ... إلى آخر الآية, قال: هم أهل النفاق, وقد عرّفه إياهم في براءة, فقال: وَلا تُصَلِّ عَلى أَحَدٍ مِنْهُمْ مات أَبَدا, وَلا تَقُمْ على قَبْرِهِ, وقال: قُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعي أَبَدا وَلَنْ تُقاتِلُوا مَعي عَدُوّا.

24306ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ... الآية, هم أهل النفاق فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيماهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ فعرّفه الله إياهم في سورة براءة, فقال: وَلا تُصَلِّ عَلى أَحَدٍ مِنْهُمْ ماتَ أَبَدا, وقال قُلْ لَنْ تَنْفُرُوا مَعيَ أَبَدا وَلَنْ تُقاتِلُوا مَعي عَدُوّا.

24307ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغانَهُمْ قال: هؤلاء المنافقون, قال: والذي أسروا من النفاق هو الكفر.

24308ـ قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَلَوْ نَشاءُ لأَرَيْناكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسيماهُمْ قال: هؤلاء المنافقون, قال: وقد أراه الله إياهم, وأمر بهم أن يخرجوا من المسجد, قال: فأبَوا إلا أن تَمَسّكُوا بلا إله إلا الله فلما أبوا إلا أن تمسكوا بلا إله إلا الله حُقِنت دماؤهم, ونكحوا ونوكحوا بها.

وقوله: وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ القَوْلِ يقول: ولتعرفنّ هؤلاء المنافقين في معنى قولهم ونحوه.

24309ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: فِي لَحْنِ القَوْلِ قال قولهم: واللَّهُ يَعْلَمُ أعمالَكُمْ لا يخفى عليه العامل منكم بطاعته, والمخالف ذلك, وهو مجازي جميعكم عليها.

الآية : 31-32

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلَنَبْلُوَنّكُمْ حَتّىَ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ * إِنّ الّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدّواْ عَن سَبِيلِ اللّهِ وَشَآقّواْ الرّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيّنَ لَهُمُ الْهُدَىَ لَن يَضُرّواْ اللّهَ شَيْئاً وَسَيُحْبِطُ أَعْمَالَهُمْ}.

يقول تعالى ذكره لأهل الإيمان به من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وَلَنَبْلُوَنّكُمْ أيها المؤمنون بالقتل, وجهاد أعداء الله حتى نَعْلَمَ المُجاهِدِينَ مِنْكُمْ يقول: حتى يعلم حزبي وأوليائي أهل الجهاد في الله منكم, وأهل الصبر على قتال أعدائه, فيظهر ذلك لهم, ويعرف ذوو البصائر منكم في دينه من ذوي الشكّ والحَيرة فيه وأهل الإيمان من أهل النفاق ونبلو أخباركم, فنعرف الصادق منكم من الكاذب. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

24310ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن علي, عن ابن عباس, قوله: حتى نَعْلَمَ المُجاهِدينَ مِنْكُمْ وَالصّابِرِينَ, وقوله: وَلَنَبْلُوَنّكُمْ بِشَيْءٍ مِنْ الخَوْف والجُوعِ ونحو هذا قال: أخبر الله سبحانه المؤمنين أن الدنيا دار بلاء, وأنه مبتليهم فيها, وأمرهم بالصبر, وبشّرهم

فقال: وَبَشِّر الصّابِرِينَ, ثم أخبرهم أنه هكذا فعل بأنبيائه, وصفوته لتطيب أنفسهم, فقال: مَسّتْهُمُ البأساءُ وَالضّرّاءُ وَزُلْزِلُوا, فالبأساء: الفقر, والضرّاء: السقم, وزُلزلوا بالفتن وأذى الناس إياهم.

24311ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد في قوله: وَلَنَبْلُوَنّكُمْ حتى نَعْلَمَ المُجاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصّابِرِينَ قال: نختبركم, البلوى: الاختبار. وقرأ الم أحَسِبَ النّاسُ أنْ يُتْرَكُوا أنْ يَقُولُوا آمَنّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ قال: لا يختبرون وَلَقَدْ فَتَنّا الّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ... الآية.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله: وَلَنَبْلُوَنّكُمْ حتى نَعْلَمَ المُجاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أخْبارَكُمْ, فقرأ ذلك عامة قرّاء الأمصار بالنون نبلو ونعلم, ونبلو على وجه الخبر من الله جلّ جلاله عن نفسه, سوى عاصم فإنه قرأ جميع ذلك بالياء والنون هي القراءة عندنا لإجماع الحجة من القرّاء عليها, وإن كان للأخرى وجه صحيح.

وقوله: إنّ الّذِينَ كَفَرُوا وَصَدّوا عَنْ سَبِيلِ اللّهِ يقول تعالى ذكره: إن الذين جحدوا توحيد الله, وصدّوا الناس عن دينه الذي ابتعث به رسله وَشاقّوا الرّسُولَ مِنْ بَعْدِ ما تَبَيّنَ لَهُمُ الهُدَى يقول: وخالفوا رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم, فحاربوه وآذَوه من بعد ما علموا أنه نبيّ مبعوث, ورسول مرسل, وعرفوا الطريق الواضح بمعرفته, وأنه لله رسول.

وقوله: لَنْ يَضُرّوا اللّهَ شَيْئا لأن الله بالغ أمره, وناصر رسوله, ومُظهره على من عاداه وخالفه وسَيُحْبِطُ أعمالَهُمْ يقول: وسيذهب أعمالهم التي عملوها في الدنيا فلا ينفعهم بها في الدنيا ولا الآخرة, ويبطلها إلا مما يضرّهم.

الآية : 33-34

القول في تأويل قوله تعالى: {يَأَيّهَا الّذِينَ آمَنُوَاْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرّسُولَ وَلاَ تُبْطِلُوَاْ أَعْمَالَكُمْ * إِنّ الّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدّواْ عَن سَبِيلِ اللّهِ ثُمّ مَاتُواْ وَهُمْ كُفّارٌ فَلَن يَغْفِرَ اللّهُ لَهُمْ }.

يقول تعالى ذكره: يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا بالله ورسوله أطِيعُوا اللّهَ وأطِيعُوا الرّسُولَ في أمرهما ونهيهما وَلا تَبْطِلُوا أعمالَكُمْ يقول: ولا تبطلوا بمعصيتكم إياهما, وكفركم بربكم ثواب أعمالكم فإن الكفر بالله يحبط السالف من العمل الصالح. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

24312ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا أطِيعُوا الله وأطِيعُوا الرّسُولَ وَلا تُبْطِلُوا أعمالَكُمْ.... الآية, من استطاع منكم أن لا يبطل عملاً صالحا عمله بعمل سيىء فليفعل, ولا قوّة إلا بالله, فإن الخير ينسخ الشرّ, وإن الشرّ ينسخ الخير, وإن ملاك الأعمال خواتيمها.

وقوله: إنّ الّذِينَ كَفَرُوا وَصَدّوا عَنْ سَبِيلِ اللّهِ ثُمّ ماتُوا وَهُمْ كُفّارٌ يقول تعالى ذكره: إن الذين أنكروا توحيد الله, وصدّوا من أراد الإيمان بالله وبرسوله عن ذلك, ففتنوهم عنه, وحالوا بينهم وبين ما أرادوا من ذلك, ثم ماتوا وهم كفار: يقول: ثم ماتوا وهم على ذلك من كفرهم فَلَنْ يَغْفِرَ اللّهُ لَهُمْ يقول: فلن يعفو الله عما صنع من ذلك, ولكنه يعاقبه عليه, ويفضحه به على رؤوس الأشهاد.

الآية : 35

القـول فــي تأويــل قـوله تعـالى: {فَلاَ تَهِنُـواْ وَتَـدْعُوَاْ إِلَـى السّـلْمِ وَأَنتُـمُ الأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ }.

يقول تعالى ذكره: فلا تضعفوا أيها المؤمنون بالله عن جهـاد المشـركين وتجبُنوا عن قتالهم. كما:

24313ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابـن أبـي نجيح, عن مجاهد فَلا تَهِنُوا قال: لا تضعفوا.

24314ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قـال ابـن زيـد, فـي قوله: فَلا تَهِنُوا لا تضعف أنت.

وقوله: وَتَدْعُوا إلى السّلْمِ وأنْتُمُ الأعْلَوْنَ يقول: لا تضعفوا عنهم وتدعوهم إلى الصلح والمسالمة, وأنتم القـاهرون لهـم والعـالون عليهـم وَاللّـهُ مَعَكُـمْ يقول: والله معكم بالنصر لكم عليهم.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل, غيـر أنهـم اختلفـوا فـي معنـى قوله: وأنْتُمُ الأعْلَوْنَ فقال بعضـهم: معنـاه: وأنتـم أولـى بـالله منهـم. وقـال بعضهم: مثل الذي قلنا فيه. ذكر مـن قـال ذلـك, وقـال معنـى قـوله: وأنْتُـمُ الأعْلَوْنَ أنتم أولى بالله منهم.

24315ـ حدثني أحمد بن المقدام, قال: حدثنا المعتمر, قال: سمعت أبي يحدّث, عن قتادة, في قوله: فَلا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إلى السّلْمِ قـال: أي لا تكونـوا أولى الطائفتين تصرع.

حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة فَلا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إلى السّلَمِ قال: لا تكونوا أولى الطـائفتين صـرعت لصـاحبتها, ودعتهـا إلـى الموادعة, وأنتم أولى بالله منهم والله معكم.

حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة فَلا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إلى السّلَمِ قال: لا تكونوا أولى الطائفتين صرعت إلى صاحبتها وأنْتُمُ الأعْلَوْنَ قال: يقول: وأنتم أولى بالله منهم ذكر من قال معنـى قـوله: وأنْتُـمُ الأعْلَوْنَ: أنتم الغالبون الأعزّ منهم.

24316ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبـي نجيح, عن مجاهد, قوله: وأنْتُمُ الأعْلَوْنَ قال: الغالبون مثل يـوم أُحـد, تكـون عليهم الدائرة.

24317ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قـال ابـن زيـد, فـي قوله فَلا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إلى السّـلَمِ وأنْتـمُ الأعْلَـوْنَ قـال: هـذا منسـوخ, قـال: نسخه القتال والجهاد, يقول: لا تضعف أنت وتدعوهم أنت إلى السـلم وأنـت الأعلى, قال: وهذا حين كانت العهود والهدنة فيما بينه وبين المشركين قبـل أن يكون القتال, يقول: لا تهن فتضعف, فيرى أنك تدعوه إلى السـلم وأنـت فوقه, وأعزّ منه وأنْتُمُ الأعْلَوْنَ أنتم أعزّ منهم, ثم جاء القتال بعد فنسـخ هـذا أجمع, فأمره بجهادهم والغلظة عليهم. وقد قيل: عني بقوله: وأنْتُمُ الأعْلَـوْنَ وأنتم الغالبون آخر الأمـر, وإن غلبـوكم فـي بعـض الأوقـات, وقهروكـم فـي بعض الحروب.

وقوله: فَلا تَهِنُوا جزم بالنهي, وفي قوله وَتَـدْعُوا وجهـان: أحـدهما الجـزم على العطف على تهنوا, فيكون معنى الكلام: فلا تهنوا ولا تدعوا إلى السلم, والآخر النصب على الصرف.

وقوله: وَلَنْ يَتِرَكُمْ أعمالَكُمْ يقول: ولن يظلمكم أجور أعمالكم فينقصكم ثوابها, من قولهم: وترت الرجل إذا قتلت له قتيلاً, فأخذت له مالاً غصبا. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

24318ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله يقول: وَلَنْ يَتِرَكُمْ أعمالَكُمْ يقول: لن يظلمكم أجور أعمالكم.

24319ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قوله: وَلَنْ يَتِرَكُمْ أعمالَكُمْ قال: لن ينقصكم.

24320ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وَلَنْ يَتِرَكُمْ أعمالَكُمْ: أي لن يظلمكم أعمالكم.

حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة, مثله.

24321ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد في قوله: وَلَنْ يَتِرَكُمْ أعمالَكُمْ قال: لن يظلمكم, أعمالكم ذلك يتركم.

24322ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: وَلَنْ يَتِرَكُمْ أعمالَكُمْ قال: لن يظلمكم أعمالكم.

الآية : 36-37

القول في تأويل قوله تعالى: {إِنّمَا الْحَيَاةُ الدّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَإِن تُؤْمِنُواْ وَتَتّقُواْ يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلاَ يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ * إِن يَسْأَلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُواْ وَيُخْرِجْ أَضْغَانَكُمْ }.

يقول تعالى ذكره: حاضا عباده المؤمنين على جهاد أعدائه, والنفقة في سبيله, وبذل مهجتهم في قتال أهل الكفر به: قاتلوا أيها المؤمنون أعداء الله وأعداءكم من أهل الكفر, ولا تدعكم الرغبة في الحياة إلى ترك قتالهم, فإنما الحياة الدنيا لعب ولهو, إلا ما كان منها لله من عمل في سبيله, وطلب رضاه. فأما ما عدا ذلك فإنما هو لعب ولهو, يضمحلّ فيذهب ويندرس فيمرّ, أو إثم يبقى على صاحبه عاره وخزيه وَإِنْ تُؤْمِنوا وَتَتّقُوا يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ يقول: وإن تعملوا في هذه الدنيا التي ما كان فيها مما هو لها, فلعب ولهو, فتؤمنوا به وتتقوه بأداء فرائضه, واجتناب معاصيه, وهو الذي يبقى لكم منها, ولا يبطل بطول اللهو واللعب, ثم يؤتكم ربكم عليه أجوركم, فيعوّضكم منه ما هو خير لكم منه يوم فقركم, وحاجتكم إلى أعمالكم وَلا يَسأَلْكُمْ أمْوَالَكُمْ يقول: ولا يسألكم ربكم أموالكم, ولكنه يكلفكم توحيده, وخلع ما سواه من الأنداد, وإفراد الألوهة والطاعة له إن يسألكموها: يقول جلّ ثناؤه: إن يسألكم ربكم أموالكم فيحفكم يقول: فيجهدكم بالمسألة, ويلحّ عليكم بطلبها منكم فيلحف, تبخلوا: يقول: تبخلوا بها وتمنعوها إياه, ضنا منكم بها, ولكنه علم ذلك منكم, ومن ضيق أنفسكم فلم يسألكموها.

وقوله: ويُخْرِجْ أضْغانَكُمْ يقول: ويخرج جلّ ثناؤه لو سألكم أموالكم بمسألته ذلك منكم أضغانكم قال: قد علم الله أن في مسألته المال خروج الأضغان.

24323ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا قال: الإحفاء: أن تأخذ كلّ شيء بيديك.

الآية : 38

القول في تأويل قوله تعالى: {هَا أَنتُمْ هَـؤُلاَءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَمِنكُم مّن يَبْخَلُ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنّمَا يَبْخَلُ عَن نّفْسِهِ وَاللّهُ الْغَنِيّ وَأَنتُمُ الْفُقَرَآءُ وَإِن تَتَوَلّوْاْ يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ ثُمّ لاَ يَكُونُوَاْ أَمْثَالَكُم }.

يقول تعالى ذكره للمؤمنين: ها أنْتُمْ أيها الناس هَؤُلاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللّهِ يقول: تدعون إلى النفقة في جهاد أعداء الله ونُصرة دينه فمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُ بالنفقة فيه, وأدخلت «ها» في موضعين, لأن العرب إذا أرادت التقريب جعلت المكنيّ بين «ها» وبين «ذا», فقالت: ها أنت ذا قائما, لأن التقريب جواب الكلام, فربما أعادت «ها» مع «ذا», وربما اجتزأت بالأولى, وقد حُذفت الثانية, ولا يقدّمون أنتم قبل «ها», لأن ها جواب فلا تقرب بها بعد الكلمة.

وقال بعض نحويي البصرة: جعل التنبيه في موضعين للتوكيد.

وقوله: وَمَنْ يَبْخَلْ فإنّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ يقول تعالى ذكره: ومن يبخل بالنفقة في سبيل الله, فإنما يبخل عن بخل نفسه, لأن نفسه لو كانت جوادا لم تبخل بالنفقة في سبيل الله, ولكن كانت تجود بها وَاللّهُ الغَنِيّ وأنْتُمُ الفُقَرَاءُ يقول تعالى ذكره: ولا حاجة لله أيها الناس إلى أموالكم ولا نفقاتكم, لأنه الغنيّ عن خلقه والخلق الفقراء إليه, وأنتم من خلقه, فأنتم الفقراء إليه, وإنما حضكم على النفقة في سبيله, ليُكسبكم بذلك الجزيل من ثوابه.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

24324ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: ها أنْتُمْ هَؤُلاءِ تُدْعَوْنَ لَتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُ وَمَنْ يَبْخَلْ فإنّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ وَاللّهُ الغَنِيّ وأنْتُمُ الفُقَرَاءُ قال: ليس بالله تعالى ذكره إليكم حاجة وأنتم أحوج إليه.

وقوله تعالى ذكره: وَإنْ تَتَوَلّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْما غَيْرَكُمْ يقول تعالى ذكره: وإن تتولوا أيها الناس عن هذا الدين الذي جاءكم به محمد صلى الله عليه وسلم, فترتدّوا راجعين عنه يَسْتَبْدِلْ قَوْما غَيْرَكُمْ يقول: يهلككم ثم يجيء بقوم آخرين غيركم بدلاً منكم يصدّقون به, ويعملون بشرائعه ثُمّ لا يكُونُوا أمْثالَكُمْ يقول: ثم لا يبخلوا بما أمروا به من النفقة في سبيل الله, ولا يضيعون شيئا من حدود دينهم, ولكنهم يقومون بذلك كله على ما يُؤمرون به. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

24325ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وَإنْ تَتَوَلّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْما غَيْرَكُمْ يقول: إن توليتم عن كتابي وطاعتي أستبدل قوما غيركم. قادر والله ربنا على ذلك على أن يهلكهم, ويأتي من بعدهم من هو خير منهم.

حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة وَإنْ تَتَوَلّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْما غَيْرَكُمْ قال: إن تولوا عن طاعة الله.

24326ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَإنْ تَتَوَلّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْما غَيْرَكُمْ.

وذُكر أنه عنى بقوله: يَسْتَبْدِلْ قَوْما غَيرَكُمْ: العجم من عجم فارس. ذكر من قال ذلك:

24327ـ حدثنا ابن بَزِيع البغدادي أبو سعيد, قال: حدثنا إسحاق بن منصور, عن مسلم بن خالد, عن العلاء بن عبد الرحمن, عن أبيه, عن أبي هريرة, قال: لما نزلت وَإنْ تَتَوَلّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْما غَيْرَكُمْ ثُمّ لا يكُونُوا أمْثالَكُمْ كان

سَلْمان إلى جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم, فقالوا: يا رسول الله من هؤلاء القوم الذين إن تولينا استُبدِلوا بنا, قال: فضرب النبيّ صلى الله عليه وسلم على منكب سلمان, فقال: «مِنْ هَذَا وَقَوْمِهِ, وَالّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أنّ الدّينَ تَعَلّقَ بالثّرَيّا لَنالَتْهُ رِجالٌ مِنْ أهْل فارِسِ».

حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: أخبرني مسلم بن خالد, عن العلاء بن عبد الرحمن, عن أبيه, عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا هذه الآية وَإنْ تَتَوَلّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْما غَيْرَكُمْ, ثُمّ لا يكُونُوا أمْثالَكُمْ قالُوا: يا رسول الله من هؤلاء الذين إن تولّينا استبدلوا بنا, ثم لا يكونوا أمثالنا, فضرب على فخذ سلمان قال: «هَذَا وَقَوْمُهُ, وَلَوْ كانَ الدّينُ عِنْدَ الثّرَيّا لَتَناوَلَهُ رِجالٌ مِنَ الفُرْسِ».

حدثنا أحمد بن الحسن الترمذيّ, قال: حدثنا عبد الله بن الوليد العَدَني, قال: حدثنا مسلم بن خالد, عن العلاء, عن أبيه, عن أبي هريرة, قال: نزلت هذه الآية وسلمان الفارسيّ إلى جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم تحكّ ركبته ركبته وَإنْ تَتَوَلّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْما غَيْرَكُمْ ثُمّ لا يَكُونُوا أمْثالَكُم قالوا: يا رسول الله ومن الذين إن تولينا استبدلوا بنا ثم لا يكونوا أمثالنا, قال: فضرب فخذ سلمان ثم قال: «هَذَا وَقَوْمُهُ».

24328ـ وقال: مجاهد في ذلك ما حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد يَسْتَبْدِلْ قَوْما غَيرَكُمْ من شاء.

وقال آخرون: هم أهل اليمن. ذكر من قال ذلك:

24329ـ حدثني محمد بن عوف الطائيّ, قال: حدثنا أبو المغيرة, قال: حدثنا صفوان بن عمرو, قال: حدثنا راشد بن سعد وعبد الرحمن بن جُبير وشريح بن عبيد, في قوله: وَإنْ تَتَوَلّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْما غَيْرَكُمْ ثُمّ لا يكُونُوا أمْثالَكُمْ قال: أهل اليمن.

سورة الفتح

مدنية

وآياتها تسع وعشرون

بسم الله الرحمَن الرحيم

الآية : 1-3

القول في تأويل قوله تعالى: {إنّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مّبِيناً * لّيَغْفِرَ لَكَ اللّهُ مَا تَقَدّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأخّرَ وَيُتِمّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطاً مّسْتَقِيماً * وَيَنصُرَكَ اللّهُ نَصْراً عَزِيزاً }.

يعني بقوله تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم إنّا فَتَحْنا لَكَ فَتْحا مُبِينا يقول: إنا حكمنا لك يا محمد حكما لمن سمعه أو بلغه على من خالفك وناصبك من كفار قومك, وقضينا لك عليهم بالنصر والظفر, لتشكر ربك, وتحمده على نعمته بقضائه لك عليهم, وفتحه ما فتح لك, ولتسبحه وتستغفره, فيغفر لك بفعالك ذلك ربك, ما تقدّم من ذنبك قبل فتحه لك ما فتح, وما تأخّر بعد فتحه لك ذلك ما شكرته واستغفرته.

وإنما اخترنا هذا القول في تأويل هذه الآية لدلالة قول الله عزّ وجلّ إذَا جاءَ نَصْرُ اللّهِ وَالفَتْح, ورأيْتَ النّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللّهِ أفْوَاجا, فَسَبّحْ

بِحَمْدِ رَبّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إنّهُ كانَ تَوّابا على صحته, إذ أمره تعالى ذكره أن يسبح بحمد ربه إذا جاءه نصر الله وفتح مكة, وأن يستغفره, وأعلمه أنه توّاب على من فعل ذلك, ففي ذلك بيان واضح أن قوله تعالى ذكره: لَيَغْفِرَ لَكَ اللـه مـا تَقَدّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَما تَأخّرَ إنما هو خبر مـن اللـه جـلّ ثنـاؤه نـبيه عليـه الصـلاة والسلام عن جزائه له على شكره له, على النعمة الـتي أنعـم بهـا عليـه مـن إظهاره له ما فتح, لأن جزاء الله تعالى عباده على أعمالهم دون غيرها.

وبعد ففي صحة الخبر عنه صلى الله عليه وسلم أنه كان يقـوم حـتى تـرِم قدماه, فقيل له: يا رسول الله تفعل هذا وقد غفر لك ما تقدّم من ذنبك ومـا تأخر؟ فقال: «أفَلا أكُونُ عَبْدا شَكُورا؟», الدلالة الواضحة على أن الذي قلنـا من ذلك هو الصحيح من القول, وأن الله تبارك وتعالى, إنما وعد نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم غفران ذنوبه المتقدمة, فتح ما فتح عليه, وبعـده علـى شكره له, على نعمه التي أنعمها عليه. وكذلك كـان يقـول صـلى اللـه عليـه وسلم: «إنّي لأَسْتَغْفِرُ اللّهَ وأتُوبُ إلَيْهِ فِي كُلّ يَوْمٍ مِئَةَ مَرّةٍ» ولو كان القول في ذلك أنه من خبر الله تعالى نبيه أنه قد غفر له ما تقدّم من ذنبه وما تـأخر على غير الوجه الذي ذكرنا, لم يكن لأمره إياه بالاستغفار بعد هذه الآيــة, ولا لاستغفار نبيّ الله صلى الله عليه وسلم ربه جلّ جلاله من ذنوبه بعدها معنى يعقل, إذ الاستغفار معناه: طلب العبد من ربه عزّ وجلّ غفـران ذنـوبه, فـإذا لم يكن ذنوب تغفر لم يكن لمسألته إياه غفرانها معنى, لأنه مـن المحـال أن يقال: اللهمّ اغفر لي ذنبا لم أعمله. وقد تأوّل ذلك بعضهم بمعنى: ليغفر لـك ما تقدّم من ذنبك قبل الرسالة, وما تأخر إلى الوقت الذي قال: إنّا فَتَحْنا لَـكَ فَتْحا مُبِينا لِيَغْفِرَ لَكَ اللّهُ ما تَقَدّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَما تَأخّرَ. وأمـا الفتـح الـذي وعـد الله جلّ ثناؤه نبيه صلى الله عليه وسلم هذه العدة علـى شـكره إيـاه عليـه, فإنه فيما ذُكر الهدنة التي جرت بين رسول الله صلى الله عليه وسـلم وبيـن مشركي قريش بالحديبية.

وذُكر أن هذه السورة أنزلـت علـى رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم منصرفة عن الحديبية بعد الهدنة التي جرَت بينه وبين قومه. وبنحو الذي قلنا في معنى قوله: إنّا فَتَحْنا لَكَ فَتْحا مُبِينا قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

24330ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة, قوله: إنّا فَتَحْنا لَكَ فَتْحا مُبِينا قال: قضينا لك قضاءً مبينا.

حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: إنّا فَتَحْنا لَكَ فَتْحا مُبِينا والفتح: القضاء.

ذكر الرواية عمن قال: هذه السورة نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في الوقت الذي ذكرت:

24331ـ حدثنا حميد بن مسعدة, قال: حدثنا بشر بن المفضل, قال: حدثنا داود, عن عامر إنّا فَتَحْنا لَكَ فَتْحا مُبِينا قال: الحديبية.

24332ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبـي نجيح, عن مجاهد, في قول الله: إنّا فَتَحْنا لَكَ فَتْحا مُبِينا قال: نحرُه بالحديبية وحَلْقُه.

24333ـ حدثنا محمد بن عبد الله بن بزيع, قال: حدثنا أبو بحر, قال: حدثنا شعبة, قال: حدثنا جامع بن شدّاد, عن عبد الرحمـن بـن أبـي علقمـة, قـال: سمعت عبد الله بن مسعود يقول: لما أقبلنا من الحُديبية أعرسنا فنمنا, فلم

نستيقظ إلا بالشمس قد طلعت, فاستيقظنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم نائم, قال: فقلنا أيقظوه, فاستيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «افْعَلُوا كمَا كُنْتُمْ تَفْعَلُونَ, فكذلك من نام أو نسي» قال: وفقدنا ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم, فوجدناها قد تعلّق خطامها بشجرة, فأتيته بها, فركب فبينا نحن نسير, إذ أتاه الوحي, قال: وكان إذا أتاه اشتدّ عليه فلما سري عنه أخبرنا أنه أنزل عليه: إنّا فَتَحْنا لَكَ فَتْحا مُبِينا.

24334ـ حدثنا أحمد بن المقدام, قال: حدثنا المعتمر, قال: سمعت أبي يحدّث عن قتادة, عن أنس بن مالك, قال: لما رجعنا من غزوة الحديبية, وقد حيل بيننا وبين نسكنا, قال: فنحن بين الحزن والكآبة, قال: فأنزل الله عزّ وجلّ: إنّا فَتَحْنا لَكَ فَتْحا مُبِينا لِيَغْفِرَ لَكَ اللّهُ ما تَقَدّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَما تَأخّرَ, وَيُتِمّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ, ويَهْدِيَكَ صِرَاطا مُسْتَقِيما, أو كما شاء الله, فقال نبيّ الله صلى الله عليه وسلم: «لَقَدْ أُنْزِلَتْ عَليّ آيَةٌ أَحَبّ إليّ مِنَ الدّنْيا جَمِيعا».

حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا ابن أبي عديّ, عن سعيد بن أبي عروبة, عن قتادة, عن أنس بن مالك, في قوله: إنّا فَتَحْنا لَكَ فَتْحا مُبِينا قال: نزلت على النبيّ صلى الله عليه وسلم مرجعه من الحديبية, وقد حيل بينهم وبين نسكهم, فنحر الهدي بالحديبية, وأصحابه مخالطو الكآبة والحزن, فقال: «لَقَدْ أُنْزِلَتْ عَليّ آيَةٌ أَحَبّ إليّ مِنَ الدّنْيا جَمِيعا», فَقَرأ إنّا فَتَحْنا لَكَ فَتْحا مُبِينا. لِيَغْفِرَ لَكَ اللّهُ ما تَقَدّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَما تَأخّرَ... إلى قوله: عَزِيزا فقال أصحابه هنيئا لك يا رسول الله قد بين الله لنا ماذا يفعل بك, فماذا يفعل بنا, فأنزل الله هذه الآية بعدها لِيُدْخِلَ المُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِناتِ جَنّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِها الأنهارَ خالِدِينَ فِيها... إلى قوله: وكانَ ذلكَ عِنْدَ اللّهِ فَوْزا عَظِيما.

حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا أبو داود, قال: حدثنا همام, قال: حدثنا قتادة, عن أنس, قال: أنزلت هذه الآية, فذكر نحوه.

حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, عن أنس بنحوه, غير أنه قال في حديثه: فَقال رجل من القوم: هنيئا لك مريئا يا رسول الله, وقال أيضا: فبين الله ماذا يفعل بنبيه عليه الصلاة والسلام, وماذا يفعل بهم.

24335ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة, قال: «نزلت على النبيّ صلى الله عليه وسلم لِيَغْفِرَ لَكَ اللّهُ ما تَقَدّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَما تَأخّرَ مرجعه من الحديبية, فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم: «لَقَدْ نَزَلَتْ عَليّ آيَةٌ أَحَبّ إليّ مِمّا عَلى الأرْضِ», ثم قرأها عليهم, فقالوا: هنيئا مريئا يا نبيّ الله, قد بين الله تعالى ذكره لك ماذا يفعل بك, فماذا يفعل بنا؟ فنزلت عليه: لِيُدْخِلَ المُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِناتِ جَنّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِها الأنهارُ... إلى قوله: فَوْزا عَظِيما».

24336ـ حدثنا ابن بشار وابن المثنى, قالا: حدثنا محمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, عن قتادة, عن عكرمة, قال: لما نزلت هذه الآية إنّا فَتَحْنا لَكَ فَتْحا مُبِينا لِيَغْفِرَ لَكَ اللّهُ ما تَقَدّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَما تَأخّرَ, وَيُتِمّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ, ويَهْدِيَكَ صِرَاطا مُسْتَقِيما قالوا: هنيئا مريئا لك يا رسول الله, فماذا لنا؟ فنزلت لِيُدْخِلَ المُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِناتِ جَنّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِها الأنهارُ خالِدِينَ فِيها, وَيُكَفّرَ عَنْهُمْ سَيّئاتِهِمْ.

حدثنا محمد بن المثنى, قال: حدثنا محمد بن جعفر, قال: حـدثنا شـعبة, قال: سمعت قتادة يحدّث عن أنس في هذه الآيـة إنّـا فَتَحْنـا لَـكَ فَتْحـا مُبِينـا قال: الحديبية.

24337ـ حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا يحيى بـن حمـاد, قـال: حـدثنا أبـو عوانة, عن الأعمش, عن أبي سفيان, عن جابر قال: ما كنا نعدّ فتح مكــة إلا يوم الحديبية.

24338ـ حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا يعلى بن عبيد, عن عبـد العزيـز بـن سياه, عن حبيب بن أبي ثابت, عن أبي وائل, قال: تكلم سهل بن حنيف يوم صفّين, فقال: يا أيها الناس اتهموا أنفسكم, لقد رأيتنـا يـوم الحديبيـة, يعنـي الصلح الذي كان بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين المشركين, ولو نرى قتالاً لقاتلنا, فجاء عمر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم, فقال: يا رسول الله, ألسنا على حقّ وهم على باطل؟ أليس قتلانا في الجنة وقتلاهـم في النار؟ قال: «بَلى», قال: ففيم نُعطَى الدنية في ديننا, ونرجع ولمّا يحكم الله بيننا وبينهم؟ فقال: «يا بْـنَ الخَطّـابِ, إنّـي رَسُـولُ اللـه, وَلَـنْ يُضَـيّعَنِي أبَدا», قال: فرجع وهو متغيظ, فلم يصبر حتى أتى أبا بكر, فقال: يا أبـا بكـر ألسنا على حقّ وهم على باطل؟ أليس قتلانا في الجنة, وقتلاهم فـي النـار؟ قال: بلى, قال: ففيم نعطَى الدنية في ديننـا, ونرجـع ولمّـا يحكـم اللـه بيننـا وبينهم؟ فقال: يا بن الخطاب إنه رسـول اللـه, لـن يضـيعه اللـه أبـدا, قـال: فنزلت سورة الفتح, فأرسل رسول الله صلى اللـه عليـه وسـلم إلـى عمـر, فأقرأه إياها, فقال: يا رسول الله, أوَ فَتْح هو؟ قال: «نَعَمْ».

حدثني يحيى بن إبراهيم المسعوديّ, قال: حدثنا أبي, عن أبيه, عن جدّه, عن الأعمش, عن أبـي سـفيان عـن جـابر, قـال: مـا كنـا نعـد الفتـح إلا يـوم الحديبية.

24339ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن إسرائيل, عن أبي إسحاق, عن البراء, قال: تعدّون أنتم الفتح فتح مكة, وقد كان فتح مكة فتحـا, ونحـن نعدّ الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية, كنا مـع رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسلم خمس عشرة مِئة, والحديبية: بئر.

24340ـ حدثني موسى بن سهل الرملي, حدثنا محمد بن عيسـى, قـال: حدثنا مُجَمع بن يعقوب الأنصاريّ, قال: سـمعت أبـي يحـدّث عـن عمـه عبـد الرحمن بن يزيد, عن عمـه مجمّـع بـن جاريـة الأنصـاريّ, وكـان أحـد القـرّاء الذين قرأوا القرآن, قال: شهدنا الحديبية مـع رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسلم, فلما انصـرفنا عنهـا, إذا النـاس يهـزّون الأبـاعر, فقـال بع ض النـاس لبعض: ما للناس, قالوا: أُوحِي إلى رسول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم إنّـا فَتَحْنا لَكَ فَتْحا مُبِينا, لَيَغْفِرَ لَكَ اللّهُ فقال رجل: أوَ فتـحٌ هـو يـا رسـول اللـه؟ قال: «نَعَمْ», «وَالّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إنّهُ لَفَتْحٌ», قال: فقُسّمَت خيبر على أهــل الحديبية, لم يدخل معهم فيها أحد إلا من شهد الحديبية, وكـان الجيـش ألفـا وخمس مئة, فيهم ثلاث مئة فارس, فقسـمها رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسلم على ثمانية عشر سهما, فأعطى الفـارس سـهمين, وأعطـى الراجـل سهما.

24341ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا جرير, عن مغيرة, عن الشعبيّ, قال: نزلت إنّا فَتَحْنا لَكَ فَتْحا مُبِينا بالحديبية, وأصاب في تلك الغزوة مـا لـم يصـبه في غزوة, أصاب أن بُويع بيعة الرضوان, وغُفـر لـه مـا تقـدّم مـن ذنبـه ومـا

تأخر, وظهرت الروم على فارس, وبلغ الهَدْىُ مَحِلـه, وأُطعمـوا نخـل خيـبر, وفرح المؤمنون بتصديق النبيّ صلى الله عليه وسلم, وبظهـور الـروم علـى فارس.

وقوله تعالى: وَيُتِمّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ بإظهاره إياك على عدوّك, ورفعه ذكرك في الدنيا, وغفرانه ذنوبك في الآخرة وَيَهْدِيَكَ صِرَاطا مُسْتَقِيما يقـول: ويرشـدك طريقك من الدين لا اعوجاج فيه, يستقيم بك إلـى رضـا ربـك وَيَنْصُـرَكَ اللّـهُ نَصْرا عَزِيزا يقول: وينصرك على سائر أعدائك, ومـن نـاوأك نصـرا, لا يغلبـه غالب, ولا يدفعه دافع, للبأس الذي يؤيدك الله به, وبالظفر الذي يمدّك به.

الآية : 4

القـول فـي تأويـل قـوله تعـالى: {هُـوَ الّـذِيَ أَنـزَلَ السّـكِينَةَ فِـي قُلُـوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوَاْ إِيمَاناً مّعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلّهِ جُنُودُ السّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَكَانَ اللّهُ عَلِيماً حَكِيماً }.

يعني جلّ ذكره بقوله: هُوَ الّذِي أنْزَلَ السّكِينَةَ فِي قُلُـوبِ المُـؤْمِنِينَ اللـه أنزل السكون والطمأنينة في قلوب المـؤمنين بـالله ورسـوله إلـى الإيمـان, والحقّ الذي بعثك الله به يا محمد. وقد مضى ذكر اختلاف أهـل التأويـل فـي معنى السكينة قبل, والصحيح من القول فـي ذلـك بالشـواهد المغنيـة, عـن إعادتها في هذا الموضع.

لِيَزْدَادُوا إيمانا مَعَ إيمانِهِمْ يقـول: ليـزدادوا بتصـديقهم بمـا جـدّد اللـه مـن الفرائض التي ألزمهموها, التي لم تكن لهم لازمة إيمانا مع إيمـانهم, يقـول: ليزدادوا إلى أيمانهم بالفرائض التي كانت لهم لازمة قبل ذلـك. وبنحـو الـذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

24342ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن علـيّ, عن ابن عباس, في قوله: هُوَ الّذِي أنْزَلَ السّكِينَةَ فِي قُلُوبِ المُـؤْمِنِينَ قـال: السكينة: الرحمة لِيَزْدَادُوا إيمَانا مَعَ إيمانِهِمْ قال: إن الله جلّ ثناؤه بعث نـبيه محمدا صلى الله عليـه وسـلم بشـهادة أن لا إلـه إلا اللـه, فلمـا صـدّقوا بهـا زادهم الصلاة, فلما صدّقوا بها زادهم الصيام, فلما صدّقوا به زادهم الزكـاة, فلما صدّقوا بها زادهم الحجّ, ثم أكمل لهم دينهم, فقـال اليَـوْمَ أكمَلْـتُ لَكُـمْ دِينَكُمْ وأتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي قال ابن عباس: فأوثق إيمان أهل الأرض وأهل السموات وأصدقه وأكمله شهادة أن لا إله إلا الله.

وقـوله: وللّـهِ جُنُـودُ السّـمَوَاتِ والأرْضِ يقـول تعـالى ذكـره: وللـه جنـود السموات والأرض أنصار ينتقم بهم ممن يَشاء من أعـدائه وكـانَ اللّـهُ عَلِيمـا حَكِيما يقول تعالى ذكره: ولم يزل الله ذا علم بما هو كـائن قبـل كـونه, ومـا خلقه عاملوه, حكيما في تدبيره.

الآية : 5

القول فـي تأويـل قوله تعالى: {لّيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنّـاتٍ تَجْـرِي مِن تَحْتِهَا الأنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفّرَ عَنْهُمْ سَيّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ عِندَ اللّـهِ فَـوْزاً عَظِيماً }.

يقول تعالى ذكره: إنا فتحنا لك فتحا مبينا, لتشكر ربك, وتحمده على ذلك, فيغفر لـك مـا تقـدّم مـن ذنبـك ومـا تـأخر, وليحمـد ربهـم المؤمنـون بـالله, ويشكروه على إنعامه عليهم بما أنعم به عليهم من الفتح الذي فتحه, وقضاه بينهم وبين أعدائهم من المشركين, بإظهاره إيـاهم عليهـم, فيـدخلهم بـذلك جنات تجري من تحتها الأنهار, ماكثين فيها إلى غير نهاية وليكفر عنهم سيىء

أعمالهم بالحسنات التي يعملونها شكرا منهم لربهم على ما قضى لهم, وأنعم عليهم به وكانَ ذلكَ عِنْدَ اللّهِ فَوْزا عَظِيما يقول تعالى ذكره: وكان ما وعدهم الله به من هذه العدة, وذلك إدخالهم جنات تجري من تحتها الأنهار, وتكفيره سيئاتهم بحسنات أعمالهم التي يعملونها عند الله لهم فَوْزا عَظِيما يقول: ظفرا منهم بما كانوا تأمّلوه ويسعون له, ونجاة مما كانوا يحذرونه من عذاب الله عظيما. وقد تقدّم ذكر الرواية أن هذه الآية نزلت لما قال المؤمنون لرسول الله صلى الله عليه وسلم, أو تلا عليهم قول الله عزّ وجلّ إنّا فَتَحْنا لَكَ فَتْحا مُبِينا. لِيَغْفِرَ لَكَ اللّهُ ما تَقَدّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَما تَأخّرَ هذا لك يا رسول الله, فماذا لنا؟ تبيينا من الله لهم ما هو فاعل بهم.

24343ـ حدثنا عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, في قوله: لِيُدخِلَ المُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِناتِ جَنّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِها الأنهارُ... إلى قوله: وَيُكَفّرَ عَنُهُمْ سَيّئاتِهِمْ فأعلم الله سبحانه نبيه عليه الصلاة والسلام.

وقوله: لِيُدْخِلَ المُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِناتِ على اللام من قوله: لِيَغْفِرَ لَكَ اللّهُ ما تَقَدّمَ مِنْ ذَنْبِكَ بتأويل تكرير الكلام إنّا فَتَحْنا لَكَ فَتْحا مُبِينا لِيَغْفِرَ لَكَ اللّهُ, إنا فتحنا لك ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار, ولذلك لم تدخل الواو التي تدخل في الكلام للعطف, فلم يقل: وليدخل المؤمنين.

الآية : 6-7

القول في تأويل قوله تعالى: {وَيُعَذّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظّآنّينَ بِاللّهِ ظَنّ السّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السّوْءِ وَغَضِبَ اللّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدّ لَهُمْ جَهَنّمَ وَسَآءَتْ مَصِيراً * وَلِلّهِ جُنُودُ السّمَاوَاتِ وَالأرْضِ وَكَانَ اللّهُ عَزِيزاً حَكِيماً }.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: إنا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله, وليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار, وليعذّب المنافقين والمنافقات, بفتح الله لك يا محمد, ما فتح لك من نصرك على مشركي قريش, فيكبتوا لذلك ويحزنوا, ويخيب رجاؤهم الذي كانوا يرجون من رؤيتهم في أهل الإيمان بك من الضعف والوهن والتولي عنك في عاجل الدنيا, وصليّ النار والخلود فيها في آجل الآخرة وَالمُشْرِكِينَ وَالمُشْرِكاتِ يقول: وليعذّب كذلك أيضا المشركين والمشركات الظّانّينَ باللّهِ أنه لن ينصرك, وأهل الإيمان بك على أعدائك, ولن يظهر كلمته فيجعلها العليا على كلمة الكافرين به, وذلك كان السوء من ظنونهم التي ذكرها الله في هذا الموضع, يقول تعالى ذكره: على المنافقين والمنافقات, والمشركين والمشركات الذين ظنوا هذا الظنّ دائرة السوء, يعني دائرة العذاب تدور عليهم به.

واختلفت القرّاء في قراءة ذلك, فقرأته عامة قرّاء الكوفة دائِرَةُ السّوْءِ بفتح السين. وقرأ بعض قرّاء البصرة «دائِرَةُ السّوءِ» بضم السين. وكان الفرّاء يقول: الفتح أفشى في السين قال: وقلما تقول العرب دائرة السّوء بضم السين, والفتح في السين أعجب إليّ من الضم, لأن العرب تقول: هو رجل سَوْء, بفتح السين ولا تقول: هو رجل سُوء.

وقوله: وَغَضِبَ اللّهُ عَلَيْهِمْ يقول: ونالهم الله بغضب منه, ولعنهم: يقول: وأبعدهم فأقصاهم من رحمته وأعَدّ لَهُمْ جَهَنّمَ يقول: وأعدّ لهم جهنم

يصلونها يوم القيامة وَسَاءَتْ مَصِيرا يقول: وساءت جهنم منزلاً يصير إليه هؤلاء المنافقون والمنافقات, والمشركون والمشركات.
وقوله: وَلِلَّهِ جُنُودُ السّمَوَاتِ والأرْضِ يقول جلّ ثناؤه: ولله جنود السموات والأرض أنصارا على أعدائه, إن أمرهم بإهلاكهم أهلكوهم, وسارعوا إلى ذلك بالطاعة منهم له وكانَ اللَّهُ عَزيزا حَكِيما يقول تعالى ذكره: ولم يزل الله ذا عزّة, لا يغلبه غالب, ولا يمتنع عليه مما أراده به ممتنع, لعظم سلطانه وقدرته, حكيم في تدبيره خلقه.

الآية : 8-9

القول في تأويل قوله تعالى: {إِنّآ أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشّراً وَنَذِيراً * لّتُؤْمِنُواْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزّرُوهُ وَتُوَقّرُوهُ وَتُسَبّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً }.
يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: إنّا أرْسَلْناكَ يا محمد شاهِدا على أمتك بما أجابوك فيما دعوَتهم إليه, مما أرسلتك به إليهم من الرسالة, ومُبَشّرا لهم بالجنة إن أجابوك إلى ما دعوتهم إليه من الدين القيّم, ونذيرا لهم عذاب الله إن هم تولّوْا عما جئتهم به من عند ربك.
ثم اختلفت القرّاء في قراءة قوله: لِتُؤْمِنُوا باللّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزّرُوهُ وَتُوَقّرُوهُ وَتُسَبّحُوهِ فقرأ جميع ذلك عامة قرّاء الأمصار خلا أبي جعفر المدني وأبي عمرو بن العلاء, بالتاء لِتُؤْمِنُوا, وتُعَزّرُوهُ, وَتُوَقّرُوهُ, وَتُسَبّحُوهُ بمعنى: لتؤمنوا بالله ورسوله أنتم أيها الناس. وقرأ ذلك أبو جعفر وأبو عمرو كله بالياء «لِيُؤْمِنُوا, ويُعَزّرُوهُ, ويُوَقّرُوهُ, ويُسَبّحُوهُ» بمعنى: إنا أرسلناك شاهدا إلى الخلق ليؤمنوا بالله ورسوله ويعزّروه.
والصواب من القول في ذلك: إن يقال: إنهما قراءتان معروفتان صحيحتا المعنى, فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
24344ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: إنّا أرْسَلْناكَ شاهِدا وَمُبَشّرا وَنَذِيرا يقول: شاهدا على أمته على أنه قد بلغهم ومبشرا بالجنة لمن أطاع الله, ونذيرا من النار.
وقوله: وَتُعَزّرُوهُ وَتُوَقّرُوهُ اختلف أهل التأويل في تأويله, فقال بعضهم: تجلّوه, وتعظموه. ذكر من قال ذلك:
24345ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس وَيُعَزّرُوهُ يعني: الإجلال وَيُوَقّرُوهُ يعني: التعظيم.
24346ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: وَيُعَزّرُوهُ وَيُوَقّرُوهُ كل هذا تعظيم وإجلال.
وقال آخرون: معنى قوله: وَيُعَزّرُوهُ: وينصروه, ومعنى وَيُوَقّرُوهُ ويفخموه. ذكر من قال ذلك:
24347ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وَيُعَزّرُوهُ: ينصروه وَيُوَقّرُوهُ أمر الله بتسويده وتفخيمه.
حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة, في قوله: وَيُعَزّرُوهُ قال: ينصروه, ويوقروه: أي ليعظموه.

24348ـ حدثني أبو هريرة الضّبَعيّ, قال: حدثنا حرميّ, عـن شـعبة, عـن أبي بشر, جعفر بن أبي وحشية, عن عكرِمـة وَيُعَـزّرُوهُ قـال: يقـاتلون معـه بالسيف.

حدثني يعقوب بن إبراهيم, قال: ثني هشيم, عن أبي بشر, عن عكرِمـة, مثله.

حدثني أحمد بن الوليد, قال: حدثنا عثمان بن عمر, عن سعيد, عن أبـي بشر, عن عكرِمة, بنحوه.

حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا يحيى ومحمد بن جعفر, قالا: حدثنا شعبة, عن أبي بشر, عن عكرِمة, مثله.

وقال آخرون: معنى ذلك: ويعظموه. ذكر من قال ذلك:

24349ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قـال ابـن زيـد, فـي قوله: وَيُعَزّرُوهُ وَيُوَقّرُوهُ قال: الطاعة لله.

وهذه الأقوال متقاربات المعنـى, وإن اختلفـت ألفـاظ أهلهـا بهـا. ومعنـى التعزيـر فـي هـذا الموضـع: التقويـة بالنّصـرة والمعونـة, ولا يكـون ذلـك إلا بالطاعة والتعظيم والإجلال.

وقد بيّنا معنى ذلك بشواهده فيما مضـى بمـا أغنـى عـن إعـادته فـي هـذا الموضع.

فأما التوقير: فهو التعظيم والإجلال والتفخيم.

وقوله: وَتُسَبّحُوهُ بُكْـرَةً وأَصِـيلاً يقـول: وتصـلوا لـه يعنـي للـه بالغـدوات والعشيات. والهاء في قوله: وَتُسَبّحُوهُ مـن ذكـر اللـه وحـده دون الرسـول. وقد ذُكر أن ذلك في بعض القراءات: «وَيُسَبّحُوا اللّهَ بُكْـرَةً وأَصِـيلاً». وبنحـو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

24350ـ حدثنا بشر, قـال: حـدثنا يزيـد, قـال: حـدثنا سـعيد, عـن قتـادة «وَيُسَبّحُوهُ بُكْرَةً وأَصِيلاً» في بعض القراءة «ويسبّحوا الله بكرة وأصيلاً».

حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة في بعض الحروف «وَيُسَبّحُوا اللّهَ بُكْرَةً وَأَصِيلاً».

24351ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقـول: أخبرنـا عبيـد, قال: سمعت الضحاك يقول فـي قـوله: «وَيُسَـبّحُوهُ بُكْـرَةً وأَصِـيلاً» يقـول: يسبحون الله رجع إلى نفسه.

الآية : 10

القول في تأويـل قوله تعالى: {إِنّ الّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنّمَا يُبَايِعُونَ اللّهَ يَدُ اللّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نّكَثَ فَإِنّمَا يَنكُثُ عَلَىَ نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَىَ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً }.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: إنّ الّـذِينَ يُبايِعُونَـكَ بالحديبية من أصحابك على أن لا يفرّوا عنـد لقـاء العـدوّ, ولا يولّـوهم الأدبـار إنّمَا يُبايِعُونَ اللّهَ يقول: إنما يبايعون ببيعتهم إياك اللـه, لأن اللـه ضـمن لهـم الجنة بوفائهم له بذلك. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكـر مـن قال ذلك:

24352ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبـي نجيح, عن مجاهد قوله: إنّ الّذِينَ يُبايِعُونَكَ قال: يوم الحديبية.

24353ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: إِنّ الّذِينَ يُبايِعُونَكَ إنّمَا يُبايِعُونَ اللّهَ يَدُ اللّـهِ فَـوْقَ أيْـدِيهِمْ فَمَـنْ نَكَـثَ فإنّمَـا يَنْكُثُ عَلى نَفْسِهِ وهم الذين بايعوا يوم الحديبية.

وفي قوله: يَدُ اللّهِ فَوْقَ أيْدِيهِمْ وجهان من التأويل: أحدهما: يد اللـه فـوق أيديهم عند البيعة, لأنهم كانوا يبايعون الله ببيعتهم نبيه صلى الله عليه وسلم والآخر: قوّة الله فوق قوّتهم في نُصرة رسوله صلى الله عليه وسلم, لأنهـم إنما بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على نُصرته على العدوّ.

وقوله: فَمَنْ نَكَثَ فإنّمَا يَنْكُثُ على نَفْسِهِ يقول تعالى ذكـره: فمن نكـث بيعته إياك يا محمد, ونقضها فلم ينصرك على أعدائك, وخـالف مـا وعـد ربـه فإنّمَا يَنْكُثُ عَلى نَفْسِهِ يقول: فإنما ينقض بيعته, لأنه بفعله ذلك يخرج ممـن وعده الله الجنة بوفائه بالبيعة, فلـم يضـرّ بنكثـه غيـر نفسـه, ولـم ينكـث إلا عليها, فأما رسول الله صلى الله عليه وسلم, فإن الله تبارك وتعالى ناصـره على أعدائه, نكث الناكث منهم, أو وفى ببيعته.

وقوله: وَمَنْ أوْفَى بِمَا عاهَدَ عَلَيْهُ اللّهَ... الآية, يقـول تعـالى ذكـره: ومـن أوفى بما عاهد الله عليه من الصبر عند لقاء العـدوّ فـي سـبيل اللـه ونُصـرة نـبيه صـلى اللـه عليـه وسـلم علـى أعـدائه فَسَـيُؤْتِيهِ أجْـرا عَظِيمـا يقـول: فسيعطيه الله ثوابا عظيما, وذلك أن يُدخله الجنة جـزاءً لـه علـى وفـائه بمـا عاهد عليه الله, ووثق لرسوله على الصـبر معـه عنـد البـأس بالمؤكـدة مـن الأيمان. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

24354ـ حدثنا بشر, قـال: حـدثنا يزيـد, قـال: حـدثنا سـعيد, عـن قتـادة فَسَيؤْتِيهِ أجْرا عَظِيما وهي الجنة.

الآية : 11

القول فـي تأويـل قوله تعالى: {سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلّفُونَ مِنَ الأعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مّا لَيْسَ فِي قُلُـوبِهِمْ قُـلْ فَمَـن يَمْلِكُ لَكُمْ مّنَ اللّهِ شَيْئاً إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرّاً أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعاً بَلْ كَـانَ اللّـهُ بِمَـا تَعْمَلُونَ خَبِيراً }.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: سيقول لك يا محمد الذين خلفهم الله في أهليهم عن صحبتك, والخروج معك فـي سـفرك الـذي سافرت, ومسيرك الذي سرت إلى مكة معتمرا, زائرا بيـت اللـه الحـرام إذا انصرفت إليهـم, فعـاتبتهم علـى التخلـف عنـك, شـغلتنا عـن الخـروج معـك معالجة أموالنا, وإصلاح معايشنا وأهلونا, فاستغفر لنا ربنا لتخلّفنا عنك, قـال الله جلّ ثناؤه مكذّبهم في قيلهم ذلك: يقول هؤلاء الأعراب المخلّفـون عنـك بألسنتهم ما ليس في قلوبهم, وذلك مسألتهم رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسلم الاستغفار لهم, يقول: يسألونه بغير توبة منهم ولا ندم على مـا سـلف منهم من معصية الله في تخلفهم عـن صـحبة رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسلم والمسير معه قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُـمْ مِـنَ اللّـهِ شَـيْئا يقـول تعالى ذكـره لنبيه: قل لهؤلاء الأعراب الذين يسألونك أن تستغفر لهم لتخلفهـم عنـك: إن أنا استغفرت لكم أيها القوم, ثم أراد الله هلاككم أو هلاك أموالكم وأهليكـم, أو أراد بكم نفعا بتثميره أموالكم وإصلاحه لكم أهليكـم, فمـن ذا الـذي يقـدر على دفع ما أراد الله بكـم مـن خيـر أو شـرّ, واللـه لا يعـازّه أحـد, ولا يغـالبه غالب.

وقوله: بلَ كانَ اللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبيرا يقول تعالى ذكره: ما الأمر كما يظنّ هؤلاء المنافقون من الأعـراب أن اللـه لا يعلـم مـا هـم عليهـا منطـوون مـن النفاق, بل لم يزل الله بما يعملون من خير وشرّ خبيرا, لا يخفى عليه شـيء من أعمال خلقه, سرّها وعلانيتها, وهـو محصـيها عليهـم حـتى يجـازيهم بهـا, وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما ذُكر عنه حين أراد المسـير إلـى مكة عام الحُديبية معتمرا استنفر العرب ومن حول مدينته من أهـل البـوادي والأعراب ليخرجوا معه حذرا مـن قـومه قريـش أن يعرضـوا لـه الحـرب, أو يصدّوه عن البيت, وأحرم هو صلى اللـه عليـه وسـلم بـالعمرة, وسـاق معـه الهدي, ليعلم الناس أنه لا يريد حربا, فتثاقل عنه كثير من الأعراب, وتخلّفـوا خلافه فهم الذين عَنَى الله تبارك وتعالى بقوله: سَيَقُول لَـكَ المُخَلّفُـونَ مِـنَ الأعْرَابِ شَغَلَتْنا أمْوَالُنا وأهْلُونا... الآية.

وكالذي قلنا في ذلك قال أهل العلم بسِيَر رسول الله صلى الله عليه وسلم ومغازيه, منهم ابن إسحاق.

24355ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة عن ابن إسحاق بذلك.

24356ـ حدثنا محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبـي نجيح, عن مجاهد, في قـوله: سَـيَقُولُ لَـكَ المُخَلّفُـونَ مِـنَ الأعْـرَاب شَـغَلَتْنا أمْوَالُنا وأهْلُونا قال: أعراب المدينة: جهينة ومزينة, اسـتتبعهم لخروجـه إلـى مكة, قالوا: نذهب معه إلى قوم قد جاؤوه, فقتلوا أصحابه فنقاتلهم فـاعتلوا بالشغل.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله: إنْ أرَادَ بِكُمْ ضَرّا فقرأتـه قـرّاء المدينـة والبصرة وبعض قرّاء الكوفة ضَرّا بفتح الضاد, بمعنى: الضرّ الـذي هـو خلاف النفع. وقرأ ذلك عامة قرّاء الكـوفيين «ضُـرّا» بضـم الضـاد, بمعنـى البـؤس والسّقم.

وأعجب القراءتين إليّ الفتح في الضاد في هذا الموضع بقوله: أوْ أرَادَ بِكُمْ نَفْعا, فمعلوم أن خلاف النفع الضرّ, وإن كانت الأخرى صحيحا معناها.

الآية : 12

القـول فـي تأويـل قـوله تعـالى: {بَـلْ ظَنَنْتُـمْ أَن لّـن يَنقَلِـبَ الرّسُـولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَىَ أَهْلِيهِمْ أَبَداً وَزُيّنَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنّ السّوْءِ وَكُنتُـمْ قَوْماً بُوراً }.

يقول تعالى ذكره لهؤلاء الأعراب المعتذرين إلى رسول اللـه صـلى اللـه عليه وسلم عند منصرَفه من سفره إليهم بقولهم: شَغَلَتْنا أمْوَالُنا وأهْلُونـا مـا تخلفتم خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم حين شخص عنكم, وقعـدتم عـن صـحبته مـن أجـل شـغلكم بـأموالكم وأهليكـم, بـل تخلفتـم بعـده فـي منازلكم, ظنا منكم أن رسول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم ومـن معـه مـن أصحابه سيهلكون, فلا يرجعون إليكم أبدا باستئصال العدوّ إياهم وزيّـن ذلـك في قلوبكم, وحسّن الشيطان ذلك في قلوبكم, وصححه عندكم حتى حسُـن عندكم التخلف عنه, فقعدتم عن صحبته وَظَنَنْتُمْ ظَنّ السّوْءِ يقـول: وظننتـم أن الله لن ينصر محمـدا صـلى اللـه عليـه وسـلم وأصـحابه المـؤمنين علـى أعدائهم, وأن العدوّ سيقهرونهم ويغلبونهم فيقتلونهم. وبنحو الـذي قلنـا فـي ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

24357ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: سَيَقُولُ لَكَ المُخَلّفُونَ مِنَ الأَعْرَابِ... إلى قوله: وكُنْتُمْ قَوْما بُورا قال: ظنوا بنبيّ الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه أنهم لن يرجعوا من وجههم ذلك, وأنهم سيهلكون, فذلك الذي خلفهم عن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم.

وقوله: وكُنْتُمْ قَوْما بُورا يقول: وكنتم قوما هَلْكى لا يصلحون لشيء من الخير. وقيل: إن البور في لغة أذرعات: الفاسد فأما عند العرب فإنه لا شيء. ومنه قول أبي الدرداء: فأصبح ما جمعوا بُورا أي ذاهبا قد صار باطلاً لا شيء منه ومنه قول حسّان بن ثابت:

لا يَنْفَعُ الطّولُ مِن نُوك القُلوب وقدْيَهْدِي الإلَهُ سَبِيلَ المَعْشَرِ البُورِ

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وكُنْتُمْ قَوْما بُورا قال: فاسدين.

24358ـ وحدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وكُنْتُمْ قَوْما بُورا قال: البور الذي ليس فيه من الخير شيء.

24359ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: وكُنْتُمْ قَوْما بُورا قال: هالكين.

الآية : 13-14

القول في تأويل قوله تعالى: {وَمَن لّمْ يُؤْمِن بِاللّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيراً * وَلِلّهِ مُلْكُ السّمَاوَتِ وَالأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذّبُ مَن يَشَآءُ وَكَانَ اللّهُ غَفُوراً رّحِيماً }.

يقول تعالى ذكره لهؤلاء المنافقين من الأعراب, ومن لم يؤمن أيها الأعراب بالله ورسوله منكم ومن غيركم, فيصدّقه على ما أخبر به, ويقرّ بما جاء به من الحقّ من عند ربه, فإنا أعددنا لهم جميعا سعيرا من النار تستعر عليهم في جهنم إذا وردوها يوم القيامة يقال من ذلك: سعرت النار: إذا أوقدتها, فأنا أسعرها سعرا ويقال: سعرتها أيضا إذا حرّكتها. وإنما قيل للمِسْعر مِسْعر, لأنه يحرّك به النار, ومنه قولهم: إنه لمِسْعر حرب: يراد به موقدها ومهيجها.

وقوله: وَلِلّهِ مُلْكُ السّمَوَاتِ والأرْضِ يقول تعالى ذكره: ولله سلطان السموات والأرض, فلا أحد يقدر أيها المنافقون على دفعه عما أراد بكم من تعذيب على نفاقكم إن أصررتم عليه أو منعه من عفوه عنكم إن عفا, إن أنتم تبتم من نفاقكم وكفركم, وهذا من الله جلّ ثناؤه حثّ لهؤلاء الأعراب المتخلفين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم على التوبة والمراجعة إلى أمر الله في طاعة رسوله صلى الله عليه وسلم, يقول لهم: بادروا بالتوبة من تخلفكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم, فإن الله يغفر للتائبين وكانَ اللّهُ غَفُورا رَحِيما يقول: ولم يزل الله ذا عفو عن عقوبة التائبين إليه من ذنوبهم ومعاصيهم من عباده, وذا رحمة بهم أن يعاقبهم على ذنوبهم بعد توبتهم منها.

الآية : 15

القول في تأويل قوله تعالى: {سَيَقُولُ الْمُخَلّفُونَ إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَىَ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَن يُبَدّلُواْ كَلاَمَ اللّهِ قُل لّن تَتّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللّهُ مِن قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُواْ لاَ يَفْقَهُونَ إِلاّ قَلِيلاً }.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: سيقول يا محمد المخلفون في أهليهم عن صحبتك إذا سرت معتمرا تريد بيت الله الحرام, إذا انطلقت أنت ومن صحبك في سفرك ذلك إلى ما أفاء الله عليك وعليهم من الغنيمة لِتَأْخُذُوها وذلك ما كان الله وعد أهل الحديبية من غنائم خيبر ذَرُونا نَتّبِعْكُم إلى خيبر, فشهد معك قتال أهلها يُرِيدُونَ أنْ يُبَدّلُوا كَلامَ اللّهِ يقول: يريدون أن يغيروا وعد الله الذي وعد أهل الحديبية, وذلك أن الله جعل غنائم خيبر لهم, ووعدهم ذلك عوضا من غنائم أهل مكة إذا انصرفوا عنهم على صلح, ولم يصيبوا منهم شيئا. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

24360ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قال: رجع, يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مكة, فوعده الله مغانم كثيرة, فعجلت له خيبر, فقال المخلّفون ذَرُونا نَتّبِعْكُم يُرِيُدونَ أن يُبَدّلُوا كَلامَ اللّهِ وهي المغانم ليأخذوها, التي قال الله جلّ ثناؤه: إذَا انْطَلَقْتُمْ إلى مَغانِمَ لِتأْخُذُوها وعرض عليهم قتال قوم أولي بأس شديد.

24361ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن رجل من أصحابه, عن مقسم قال: لما وعدهم الله أن يفتح عليهم خيبر, وكان الله قد وعدها من شهد الحديبية لم يعط أحدا غيرهم منها شيئا, فلما علم المنافقون أنها الغنيمة قالوا: ذَرُونا نَتّبِعْكُم يُرِيُدونَ أن يُبَدّلُوا كَلامَ اللّهِ يقول: ما وعدهم.

24362ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة سَيَقُولُ المُخَلّفُونَ إذَا انْطَلَقْتُمْ.... الآية, وهم الذين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحديبية. ذُكر لنا أن المشركين لما صدّوا رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحديبية عن المسجد الحرام والهدي, قال المقداد: يا نبيّ الله, إنا والله لا نقول كالملأ من بني إسرائيل إذ قالوا لنبيهم: اذْهَبْ أنْتَ وَرَبّكَ فَقاتِلا إنّا هاهُنا قاعِدُونَ ولكن نقول: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون فلما سمع ذلك أصحاب نبيّ الله صلى الله عليه وسلم تبايعوا على ما قال فلما رأى ذلك نبيّ الله صلى الله عليه وسلم صالح قريشا, ورجع من عامة ذلك.

وقال آخرون: بل عنى بقوله: يُرِيدُونَ أنْ يُبَدّلُوا كَلامَ اللّهِ إرادتهم الخروج مع نبيّ الله صلى الله عليه وسلم في غزوه, وقد قال الله تبارك وتعالى فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أبَدا وَلَنْ تُقاتِلُوا مَعِي عَدُوّا. ذكر من قال ذلك:

24363ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: سَيَقُولُ المُخَلّفُونَ إذَا انْطَلَقْتُمْ إلى مَغانِمَ لِتأْخُذُوها ذَرُونا نَتّبِعْكُمْ... الآية, قال الله عزّ وجلّ حين رجع من غزوه, فَاسْتَأذَنُوكَ للْخُرُوج فقل لَنْ تَخْرُجُوا مَعيَ أبَدا وَلَنْ تُقاتِلُوا مَعِيَ عَدُوّا... الآية يريدون أن يبدّلوا كلام الله: أرادوا أن يغيروا كلام الله الذي قال لنبيه صلى الله عليه وسلم ويخرجوا معه, وأبى الله ذلك عليهم ونبيه صلى الله عليه وسلم.

وهذا الذي قاله ابن زيد قول لا وجه له, لأن قول الله عزّ وجلّ فاسْتأْذَنُوكَ للْخُرُوج, فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أبَدا ولَنْ تُقاتِلُوا مَعيَ عَدُوّا إنما نزَل على رسول الله صلى الله عليه وسلم مُنْصَرَفَه من تَبوك, وعُنِي به الذين تخلّفوا

عنه حين توجه إلى تبوك لغزو الروم, ولا اختلاف بين أهل العلم بمغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تبوك كانت بعد فتح خيبر وبعد فتح مكة أيضا, فكيف يجوز أن يكون الأمر على ما وصفنا معنيا بقول الله: يُرِيُدونَ أن يُبَدّلُوا كَلامَ اللّهِ وهو خبر عن المتخلفين عن المسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم, إذ شخص معتمرا يريد البيت, فصدّه المشركون عن البيت, الذين تخلّفوا عنه في غزوة تبوك, وغزوة تبوك لم تكن كانت يوم نزلت هذه الآية, ولا كان أُوحِيَ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله: فاسْتأذَنُوكَ للْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعي أبَدا وَلَنْ تُقاتِلُوا مَعِيَ عَدُوّا.

فإذ كان ذلك كذلك, فالصواب من القول في ذلك: ما قاله مجاهد وقتادة على ما قد بيّنا.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله: يُرِيُدونَ أن يُبَدّلُوا كَلامَ اللّهِ فقرأ ذلك عامة قرّاء المدينة والبصرة, وبعض قرّاء الكوفة كَلاَمَ اللّه على وجه المصدر, بإثبات الألف. وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفة «كَلِمَ اللّهِ» بغير ألف, بمعنى جمع كلمة, وهما عندنا قراءتان مستفيضتان في قراءة الأمصار, متقاربتا المعنى, فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب, وإن كنتُ إلى قراءته بالألف أمْيل.

وقوله: قُلْ لَنْ تَتّبِعُونا كَذَلِكُمْ قالَ اللّهُ مِنْ قَبْلُ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل لهؤلاء المخلفين عن المسير معك يا محمد: لن تتبعونا إلى خيبر إذا أردنا السير إليهم لقتالهم كَذَلِكُمْ قالَ اللّهُ مِنْ قَبلُ يقول: هكذا قال الله لنا من قبل مَرْجِعنا إليكم, إن غنيمة خيبر لمن شهد الحديبية معنا, ولستم ممن شهدها, فليس لكم أن تَتّبعونا إلى خيبر, لأن غنيمتها لغيركم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

24364ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: كَذَلِكُمْ قالَ اللّهُ مِنْ قَبْلُ أي إنما جعلت الغنيمة لأهل الجهاد, وإنما كانت غنيمة خيبر لمن شهد الحديبية ليس لغيرهم فيها نصيب.

وقوله: فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنا أن نصيب معكم مغنما إن نحن شهدنا معكم, فلذلك تمنعوننا من الخروج معكم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

24365ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدونَنا أن نصيب معكم غنائم.

وقوله: بَلْ كانُوا لا يَفْقَهُونَ إلاّ قَلِيلاً يقول تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم وأصحابه: ما الأمر كما يقول هؤلاء المنافقون من الأعراب من أنكم إنما تمنعونهم من اتباعكم حسدا منكم لهم على أن يصيبوا معكم من العدوّ مغنما, بل كانوا لا يفقهون عن الله ما لهم وعليهم من أمر الدين إلا قليلاً يسيرا, ولو عقلوا ذلك ما قالوا لرسول الله والمؤمنين به, وقد أخبروهم عن الله تعالى ذكره أنه حرمهم غنائم خيبر, إنما تمنعوننا من صحبتكم إليها لأنكم تحسدوننا.

الآية : 16

القول في تأويل قوله تعالى: {قُل لّلْمُخَلّفِينَ مِنَ الأعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىَ قَوْمٍ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِن تُطِيعُواْ يُؤْتِكُمُ اللّهُ أَجْراً حَسَناً وَإِن تَتَوَلّوْاْ كَمَا تَوَلّيْتُمْ مّن قَبْلُ يُعَذّبْكُمْ عَذَاباً أَلِيماً }.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قُلْ يا محمد لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الأعْرَابِ عن المسير معك, سَتُدْعَوْنَ إلَى قتال قَوْمٍ أُولي بَأسٍ في القتال شَدِيدٍ.

واختلف أهل التأويل في هؤلاء الذين أخبر الله عزّ وجلّ عنهم أن هؤلاء المخلفين من الأعراب يُدْعَوْن إلى قتالهم, فقال بعضهم: هم أهل فارس. ذكر من قال ذلك:

24366ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن محمد بن إسحاق, عن عبد الله بن أبي نجيح, عن عطاء بن أبي رباح, عن ابن عباس أُولي بأسٍ شَدِيدٍ أهل فارس.

24367ـ حدثنا إسماعيل بن موسى الفزاريّ, قال: أخبرنا داود بن الزبرقان, عن ثابت البُنَانيّ, عن عبد الرحمن بن أبي ليلى, في قوله: سَتُدْعَوْنَ إلى قَوْمٍ أُولي بَأسٍ شَدِيدٍ قال: فارس والروم.

24368ـ قال: أخبرنا داود, عن سعيد, عن الحسن, مثله.

حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة, قال: قال الحسن, في قوله: سَتُدْعَوْنَ إلى قَوْمٍ أُولي بَأسٍ شَدِيدٍ قال: هم فارس والروم.

24369ـ حدثنا محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: أُولي بَأسٍ شَدِيدٍ قال: هم فارس.

حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة سَتُدْعَوْنَ إلى قَوْمٍ أُولي بَأسٍ شَدِيدٍ قال: قال الحسن: دُعُوا إلى فارس والروم.

24370ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: سَتُدْعَوْنَ إلى قَوْمٍ أُولي بَأسٍ شَدِيدٍ قال: فارس والروم.

وقال آخرون: هم هَوازن بحُنين. ذكر من قال ذلك:

24371ـ حدثني يعقوب بن إبراهيم, قال: حدثنا هشيم, قال: أخبرنا أبو بشر, عن سعيد بن جبير وعكرمة, في قوله: سَتُدْعَوْنَ إلى قَوْمٍ أُولي بَأسٍ شَدِيدٍ قال: هوازن.

حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا محمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, عن أبي بشر, عن سعيد بن جُبَير وعكرِمة في هذه الآية سَتُدْعَوْنَ إلى قَوْمٍ أُولي بَأسٍ شَدِيدٍ قال: هوازن وثقيف.

24372ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة أُولي بَأسٍ شَدِيدٍ تُقاتِلُونَهُمْ أوْ يُسْلِمُونَ قال: هي هَوازن وغَطَفان يوم حُنين.

حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الأعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إلى قَوْمٍ أُولي بَأسٍ شَدِيدٍ فدُعُوا يوم حُنين إلى هوازن وثقيف فمنهم من أحسن الإجابة ورغب في الجهاد.

وقال آخرون: بل هم بنو حنيفة. ذكر من قال ذلك:

24373ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق, عن الزهري أُولي بَأسٍ شَدِيدٍ قال بنو حنيفة مع مُسَيلمة الكذّاب.

24374ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا محمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, عن هشيم, عن أبي بشر, عن سعيد بن جُبير وعكرِمة أنهما كانا فيه هوازن وبني حنيفة.

وقال آخرون: لم تأت هذه الآية بعد. ذكر من قال ذلك:

24375ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن الزهري, عن أبي هريرة سَتُدْعَوْنَ إلى قَوْمٍ أُولي بَأْسٍ شَدِيدٍ لم تأت هذه الآية.

وقال آخرون: هم الروم. ذكر من قال ذلك:

24376ـ حدثني محمد بن عوف, قال: حدثنا أبو المغيرة, قال: حدثنا صفوان بن عمرو, قال: حدثنا الفرج بن محمد الكلاعي, عن كعب, قال: أُولي بَأْسٍ شَدِيدٍ قال: الروم.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبر عن هؤلاء المخلّفين من الأعراب أنهم سيدعون إلى قتال قوم أولي بأس في القتال, ونجدة في الحروب, ولم يوضع لنا الدليل من خبر ولا عقل على أن المعنيّ بذلك هوازن, ولا بنو حنيفة ولا فارس ولا الروم, ولا أعيان بأعيانهم, وجائز أن يكون عنى بذلك بعض هذه الأجناس, وجائز أن يكون عُنِي بهم غيرهم, ولا قول فيه أصحّ من أن يُقال كما قال الله جلّ ثناؤه: إنهم سيدعون إلى قوم أولي بأس شديد.

وقوله: تُقاتِلُونَهُمْ أوْ يُسْلِمُونَ يقول تعالى ذكره للمخلّفين من الأعراب: تقاتلون هؤلاء الذين تُدعون إلى قتالهم, أو يسلمون من غير حرب ولا قتال.

وقد ذُكر أن ذلك في بعض القراءات «تُقاتِلُونَهُمْ أوْ يُسْلمُوا», وعلى هذه القراءة وإن كانت على خلاف مصاحف أهل الأمصار, وخلافا لما عليه الحجة من القرّاء, وغير جائز عندي القراءة بها لذلك تأويل ذلك: تقاتلونهم أبدا إلا أن يسلموا, أو حتى يسلموا.

وقوله: فإنْ تُطِيعُوا يُؤْتِكُم اللّهُ أجْرا حَسَنا يقول تعالى ذكره فإن تطيعوا الله في إجابتكم إياه إذا دعاكم إلى قتال هؤلاء القوم الأولي البأس الشديد, فتجيبوا إلى قتالهم والجهاد مع المؤمنين يُؤْتِكُم اللّهُ أجْرا حَسَنا يقول: يعطكم الله على إجابتكم إياه إلى حربهم الجنة, وهي الأجر الحسن وَإنْ تَتَوَلّوْا كمَا تَوَلّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يقول: وإن تعصوا ربكم فتدبروا عن طاعته وتخالفوا أمره, فتتركوا قتال الأولي البأس الشديد إذا دُعيتم إلى قتالهم كمَا تَوَلّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يقول: كما عصيتموه في أمره إياكم بالمسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مكة, من قبل أن تُدعَوا إلى قتال أولي البأس الشديد يُعَذّبْكُمُ اللّهُ عَذَابا أليما يعني: وجيعا, وذلك عذاب النار على عصيانكم إياه, وترككم جهادهم وقتالهم مع المؤمنين.

الآية : 17

القول في تأويل قوله تعالى: {لّيْسَ عَلَى الأعْمَىَ حَرَجٌ وَلاَ عَلَى الأعْرَجِ حَرَجٌ وَلاَ عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأنْهَارُ وَمَن يَتَوَلّ يُعَذّبْهُ عَذَاباً أَلِيماً }.

يقول تعالى ذكره: ليس على الأعمى منكم أيها الناس ضيق, ولا على الأعرج ضيق, ولا على المريض ضيق أن يتخلفوا عن الجهاد مع المؤمنين, وشهود الحرب معهم إذا هم لقوا عدوّهم, للعلل التي بهم, والأسباب التي تمنعهم من شهودها. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

24377ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة لَيْسَ على الأعْمَى حَرَجٌ وَلا على الأعْرَجِ حَرَجٌ وَلا على المَرِيضِ حَرَجٌ قال: هذا كله في الجهاد.

24378ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قال: ثُمّ عذر الله أهل العذر من الناس, فقال: لَيْسَ على الأعْمَى حَرَجٌ وَلا على الأعْرَجِ حَرَجٌ وَلا على المَرِيضِ حَرَجٌ.

24379ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: لَيْسَ على الأعْمَى حَرَجٌ وَلا على الأعْرَجِ حَرَجٌ وَلا على المَرِيضِ حَرَجٌ قال: في الجهاد في سبيل الله.

24380ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: لَيْسَ على الأعْمَى حَرَجٌ... الآية, يعني في القتال.

وقوله: وَمَنْ يُطِعِ اللّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِها الأنهارُ يقول تعالى ذكره: ومن يُطِعِ الله ورسوله فيجيب إلى حرب أعداء الله من أهل الشرك, وإلى القتال مع المؤمنين ابتغاء وجه الله إذا دعي إلى ذلك, يُدخله الله يوم القيامة جنّات تجري من تحتها الأنهار وَمَنْ يَتَوَلّ يقول: ومن يعص الله ورسوله, فيتخلّف عن قتال أهل الشرك بالله إذا دعي إليه, ولم يستجب لدعاء الله ورسوله يعذّبه عذابا موجعا, وذلك عذاب جهنم يوم القيامة.)

الآية : 18-19

القول في تأويل قوله تعالى: {لّقَدْ رَضِيَ اللّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأنزَلَ السّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحاً قَرِيباً * وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللّهُ عَزِيزاً حَكِيماً }.

يقول تعالى ذكره: لقد رضي الله يا محمد عن المؤمنين إذْ يُبايِعُونَكَ تحْتَ الشّجَرَةِ يعني بيعة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رسول الله بالحديبية حين بايعوه على مناجزة قريش الحرب, وعلى أن لا يفرّوا, ولا يولوهم الدبر تحت الشجرة, وكانت بيعتهم إياه هنالك فيما ذكر تحت شجرة.

وكان سبب هذه البيعة ما قيل: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أرسل عثمان بن عفان رضي الله عنه برسالته إلى الملإ من قريش, فأبطأ عثمان عليه بعض الإبطاء, فظنّ أنه قد قتل, فدعا أصحابه إلى تجديد البيعة على حربهم على ما وصفت, فبايعوه على ذلك, وهذه البيعة التي تسمى بيعة الرضوان, وكان الذين بايعوه هذه البيعة فيما ذُكر في قول بعضهم: ألفا وأربع مئة, وفي قول بعضهم: ألفا وخمس مئة, وفي قول بعضهم: ألفا وثلاث مئة. ذكر الرواية بما وصفنا من سبب هذه البيعة:

24381ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن محمد بن إسحاق, قال: ثني بعض أهل العلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا خراش بن أمية الخزاعي, فبعثه إلى قريش بمكة, وحمله على جمل له يقال له الثعلب, ليبلغ أشرافهم عنه ما جاء له, وذلك حين نزل الحديبية, فعقروا به جمل رسول الله صلى الله عليه وسلم, وأرادوا قتله, فمنعه الأحابيش فخلوا سبيله, حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

24382ـ قال: ثنا سلمة, عن ابن إسحاق, قال: فحدثني من لا أتهم, عن عكرِمة مولى ابن عباس: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا عمر بن الخطاب ليبعثه إلى مكة, فيبلغ عنه أشراف قريش ما جاء له, فقال: يا رسول الله إني أخاف قريشا على نفسي, وليس بمكة من بني عديّ بن كعب أحد يمنعني, وقد عرفت قريش عداوتي إياها, وغلظتي عليهم, ولكني أدلك على رجل هو أعزّ بها مني عثمان بن عفان, فدعا رسول الله صلى الله

عليه وسلم عثمان, فبعثه إلى أبي سفيان وأشراف قريش يخبرهم أنه لم يأت لحرب, وإنما جاء زائرا لهذا البيت, معظما لحرمته, فخرج عثمان إلى مكة, فلقيه أبان بن سعيد بن العاص حين دخل مكة أو قبل أن يدخلها, فنزل عن دابته, فحمله بين يديه, ثم ردفه وأجاره حتى بلغ رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم, فانطلق عثمان حتى أتى أبا سفيان وعظماء قريش, فبلغهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أرسله به, فقالوا لعثمان حين فرغ من رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن شئت أن تطوف بالبيت فطف به, قال: ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله صلى الله عليه وسلم, فاحتبسته قريش عندها, فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين أن عثمان قد قُتل.

24383ـ قال: ثنا سلمة, عن محمد بن إسحاق, قال: فحدثني عبد الله بن أبي بكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بلغه أن عثمان قد قتل, قال: «لا نَبْرَحُ حتى نُناجِزَ القَوْمَ», ودعا الناس إلى البيعة, فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة, فكان الناس يقولون: بايعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الموت فكان جابر بن عبد الله يقول: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبايعنا على الموت, ولكنه بايعنا على أن لا نفر, فبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس, ولم يتخلف عنه أحد من المسلمين حضرها إلا الجد بن قيس أخو بني سلمة, كان جابر بن عبد الله يقول: لكأني أنظر إليه لاصقا بإبط ناقته, قد اختبأ إليها, يستتر بها من الناس, ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الذي ذُكر من أمر عثمان باطل.

24384ـ حدثنا محمد بن عمارة الأسديّ, قال: حدثنا عبيد الله بن موسى, قال: أخبرنا موسى بن عبيدة, عن إياس بن سلمة, قال: قال سلمة: بينما نحن قائلون زمن الحديبية, نادى منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم: أيها الناس البيعة البيعة, نزل روح القدس صلوات الله عليه, قال: فثرنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم, وهو تحت شجرة سمرة, قال: فبايعناه, وذلك قول الله: لَقَدْ رَضِيَ اللّهُ عَنِ المُؤْمِنِينَ إِذْ يُبايِعُونَكَ تَحْتَ الشّجَرَةِ.

24385ـ حدثنا عبد الحميد بن بيان اليشكري, قال: حدثنا محمد بن يزيد, عن إسماعيل, عن عامر, قال: كان أوّل من بايع بيعة الرضوان رجل من بني أسد يقال له أبو سنان بن وهب.

24386ـ حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا يحيى بن حماد, قال: حدثنا همام, عن قتادة, عن سعيد بن المسيب, قال: كان جديّ يقال له حَزْن, وكان ممن بايع تحت الشجرة, فأتيناها من قابل, فعُميّت علينا.

24387ـ حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا يحيى بن حماد, قال: ثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: أخبرني عمرو بن الحارث, عن بُكير بن الأشجّ أنه بلغه أن الناس بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الموت, فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «عَلَى ما اسْتَطَعْتُمْ». والشجرة التي بُويع تحتها بفج نحو مكة, وزعموا أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه مرّ بذلك المكان بعد أن ذهبت الشجرة, فقال: أين كانت, فجعل بعضهم يقول هنا, وبعضهم يقول: ههنا, فلما كثر اختلافهم قال: سيروا هذا التكلف فذهبت الشجرة وكانت سَمُرة إما ذهب بها سيل, وإما شيء سوى ذلك.

ذكر عدد الذين بايعوا هذه البيعة:

وقد ذكرنا اختلاف المختلفين في عددهم, ونذكر الروايات عن قائلي المقالات التي ذكرناها إن شاء الله تعالى. ذكر من قال: عددهم ألف وأربع مئة:

24388ـ حدثني يحيى بن إبراهيم المسعودي, قال: حدثنا أبي, عن أبيه, عن جده, عن الأعمش, عن أبي سفيان عن جابر, قال: كنا يوم الحُديبية ألفا وأربع مئة, فبايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن لا نفرّ, ولم نبايعه على الموت, قال: فبايعناه كلنا إلا الجدّ بن قيس اختبأ تحت إبط ناقته.

24389ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, أخبرني القاسم بن عبد الله بن عمرو, عن محمد بن المنكدر, عن جابر بن عبد الله «أنهم كانوا يوم الحُديبية أربع عشرة مئة, فبايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمر آخذ بيده تحت الشجرة, وهي سمرة, فبايعنا غير الجدّ بن قيس الأنصاريّ, اختبأ تحت إبط بعيره, قال جابر: بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن لا نفرّ ولم نبايعه على الموت».

حدثنا يوسف بن موسى القطان, قال: حدثنا هشام بن عبد الملك وسعيد بن شرحبيل المصري, قالا: حدثنا ليث بن سعد المصري, قال: حدثنا أبو الزبير, عن جابر, قال: كنا يوم الحديبية ألفا وأربع مئة, فبايعناه وعمر آخذ بيده تحت الشجرة وهي سمرة, فبايعناه على أن لا نفرّ, ولم نبايعه على الموت, يعني النبيّ صلى الله عليه وسلم.

24390ـ حدثنا ابن بشار وابن المثنى, قالا: حدثنا ابن أبي عديّ, عن سعيد, عن قتادة, عن سعيد بن المسيب, أنه قيل له: إن جابر بن عبد الله يقول: إن أصحاب الشجرة كانوا ألفا وخمس مئة, قال سعيد: نسي جابر هو قال لي كانوا ألفا وأربع مئة.

حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, قال: ثني محمد بن إسحاق, عن الأعمش, عن أبي سفيان, عن جابر قال: كنا أصحاب الحُديبية أربع عشرة مئة.

ذكر من قال: كان عدتهم ألفا وخمس مئة وخمسة وعشرين:

24391ـ حدثنا محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ المُؤْمِنِينَ إِذْ يُبايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ قال: كان أهل البيعة تحت الشجرة ألفا وخمس مئة وخمسة وعشرين.

24392ـ حدثني بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قال: الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة, فجعلت لهم مغانم خيبر كانوا يومئذ خمس عشرة مئة, وبايعوا على أن لا يفرّوا عنه.

ذكر من قال ذلك: كانوا ألفا وثلاث مئة:

24393ـ حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا أبو داود, قال: حدثنا شعبة, عن عمرو بن مرّة, قال: سمعت عبد الله بن أبي أوفى يقول: كانوا يوم الشجرة ألفا وثلاث مئة, وكانت أسلم يومئذ من المهاجرين.

وقوله: فَعَلِمَ ما في قُلُوبِهِم يقول تعالى ذكره: فعلم ربك يا محمد ما في قلوب المؤمنين من أصحابكَ إذ يبايعونك تحت الشجرة, من صدق النية, والوفاء بما يبايعونك عليه, والصبر معك فأَنْزَلَ السّكِينَةَ عَلَيْهِمْ يقول: فأنزل

الطمأنينة, والثبات على ما هم عليه من دينهم وحُسن بصيرتهم بالحقّ الـذي هداهم الله له. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
24394ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله فَعَلِمَ ما في قُلُوبِهِم, فأنْزَلَ السّكِينَةَ عَلَيْهِمْ: أي الصبر والوقار.
وقوله: وأثابَهُمْ فَتْحا قَرِيبا يقول: وعوّضهم في العاجل مما رجوا الظفر به من غنائم أهل مكة بقتالهم أهلها فتحا قريبا, وذلك فيما قيل: فتح خيبر. ذكـر من قال ذلك:
24395ـ حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا محمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, عن الحكم, عن ابن أبي ليلى وأثابَهُمْ فَتْحا قَرِيبا قال: خيبر.
حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وأثـابَهُمْ فَتْحـا قَرِيبا وهي خيبر.
حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة, قـوله: وأثابَهُمْ فَتْحا قَرِيبا قال: بلغني أنها خيبر.
وقوله: وَمَغانِمَ كَثِيرَةً يأخُذُونها يقول تعالى ذكره: وأثاب الله هؤلاء الـذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة, مع ما أكرمهم به من رضاه عنهم, وإنزاله السكينة عليهم, وإثابته إيـاهم فتحـا قريبـا, معـه مغـانم كثيرة يأخذونها من أموال يهود خيبر, فإن الله جعـل ذلـك خاصـة لأهـل بيعـة الرضوان دون غيرهم.
وقوله: وكانَ اللّهُ عَزِيزا حَكِيما يقول: وكان الله ذا عزّة في انتقـامه ممـن انتقم من أعدائه, حكيما فـي تـدبيره خلقـه وتصـريفه إيـاهم فيمـا شـاء مـن قضائه.

الآية : 20-21

القول فـي تأويـل قوله تعالى: {وَعَدَكُمُ اللّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُـذُونَهَا فَعَجّـلَ لَكُمْ هَـذِهِ وَكَفّ أَيْدِيَ النّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُـونَ آيَـةً لّلْمُـؤْمِنِينَ وَيَهْـدِيَكُمْ صِـرَاطاً مّسْتَقِيماً * وَأُخْرَىَ لَمْ تَقْدِرُواْ عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللّهُ بِهَـا وَكَـانَ اللّـهُ عَلَـىَ كُـلّ شَيْءٍ قَدِيراً }.
يقول تعالى ذكره لأهل بيعة الرضوان: وَعَدَكُمُ اللّهُ أيها القوم مَغانِمَ كَثِيرَةً تأْخُذُونَها.
اختلف أهل التأويل في هذه المغانم التي ذكر الله أنه وعدها هؤلاء القـوم أيّ المغانم هي, فقال بعضهم: هي كل مغنـم غنمهـا اللـه المـؤمنين بـه مـن أموال أهل الشرك من لدن أنزل هذه الآية على لسان نبيه صـلى اللـه عليـه وسلم. ذكر من قال ذلك:
24396ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبـي نجيح, عن مجاهد, قوله: وَعَدَكُمُ اللّهُ مَغـانِمَ كَـثِيرَةً تَأْخُـذُونَها قـال: المغـانم الكثيرة التي وعدوا: ما يأخذونها إلى اليوم.
وعلى هذا التأويل يحتمل الكلام أن يكون مـرادا بالمغـانم الثانيـة المغـانمَ الأولى, ويكون معناه عند ذلك, فأثابهم فتحا قريبا, ومغـانم كـثيرة يأخـذونها, وعدكم الله أيها القوم هذه المغانم التي تأخذونها, وأنتم إليها واصلون عــدة, فجعل لكم الفتح القريب من فتح خيبر. ويُحتمل أن تكون الثانية غير الأولـى, وتكون الأولى من غنائم خيـبر, والغنـائم الثانيـة الـتي وعـدهموها م ن غنـائم سائر أهل الشرك سواهم.

وقال آخرون: هذه المغانم التي وعد الله هؤلاء القوم هي مغانم خيبر. ذكر من قال ذلك:
24397ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَعَدَكُمُ اللّهُ مَغانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَها قال: يوم خيبر, قال: كان أبي يقول ذلك.
وقوله: فَعَجّلَ لَكُمْ هَذِهِ اختلف أهل التأويل في التي عجلت لهم, فقال جماعة: غنائم خيبر والمؤخرة سائر فتوح المسلمين بعد ذلك الوقت إلى قيام الساعة. ذكر من قال ذلك:
24398ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد فَعَجّلَ لَكُمْ هَذِهِ قال: عجل لكم خيبر.
24399ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: فَعَجّلَ لَكُمْ هَذِهِ وهي خيبر.
وقال آخرون: بل عنى بذلك الصلح الذي كان بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قريش. ذكر من قال ذلك:
24400ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس فَعَجّلَ لَكُمْ هَذِهِ قال: الصلح.
وأولى الأقوال في تأويل ذلك بالصواب ما قاله مجاهد, وهو أن الذي أثابهم الله من مسيرهم ذلك مع الفتح القريب المغانم الكثيرة من مغانم خيبر, وذلك أن المسلمين لم يغنموا بعد الحديبية غنيمة, ولم يفتحوا فتحا أقرب من بيعتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحديبية إليها من فتح خيبر وغنائمها.
وأما قوله: وَعَدَكُمُ اللّهُ مَغانِمَ كَثِيرَةً فهي سائر المغانم التي غنمهموها الله بعد خيبر, كغنائم هوازن, وغطفان, وفارس, والروم.
وإنما قلنا ذلك كذلك دون غنائم خيبر, لأن الله أخبر أنه عجّل لهم هذه التي أثابهم من مسيرهم الذي ساروه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مكة, ولما علم من صحة نيتهم في قتال أهلها, إذ بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم, على أن لا يفرّوا عنه, ولا شكّ أن التي عجّلت لهم غير التي لم تُعجّل لهم.
وقوله: وكَفّ أيْدِيَ النّاسِ عَنْكُمْ يقول تعالى ذكره لأهل بيعة الرضوان: وكفّ الله أيدي المشركين عنكم.
ثم اختلف أهل التأويل في الذين كفّت أيديهم عنهم من هم؟ فقال بعضهم: هم اليهود كفّ الله أيديهم عن عيال الذين ساروا من المدينة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مكة. ذكر من قال ذلك:
24401ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وكَفّ أيْدِيَ النّاسِ عَنْكُمْ: عن بيوتهم, وعن عيالهم بالمدينة حين ساروا إلى الحديبية وإلى خيبر, وكانت خيبر في ذلك الوجه.
حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة, في قوله: وكَفّ أيْدِي النّاس عَنْكُمْ قال: كفّ أيدي الناس عن عيالهم بالمدينة.
وقال آخرون: بل عنى بذلك أيدي قريش إذ حبسهم الله عنهم, فلم يقدروا له على مكروه.

والذي قاله قتادة في ذلك عندي أشبه بتأويل الآية, وذلك أن كفّ الله أيدي المشركين من أهل مكة عن أهل الحُديبية قد ذكره الله بعد هذه الآية في قوله: وَهُوَ الّذِي كَفّ أيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وأيْدِيَكُم عَنْهُمْ بِبَطْن مَكّةَ فعلم بذلك أن الكفّ الذي ذكره الله تعالى في قوله: وكَفّ أيْدِيَ النّاسِ عَنْكُمْ غير الكفّ الذي ذكر الله بعد هذه الآية في قوله: وَهُوَ الّذِي كَفّ أيْدِيَهُم عَنْكُمْ, وأيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْن مَكّةَ.

وقوله: وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ يقول: وليكون كفه تعالى ذكره أيديهم عن عيالهم آية وعبرة للمؤمنين به فيعلموا أن الله هو المتولي حياطتهم وكلاءتهم في مشهدهم ومغيبهم, ويتقوا الله في أنفسهم وأموالهم وأهليهم بالحفظ وحُسن الولاية ما كانوا مقيمين على طاعته, منتهين إلى أمره ونهيه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

24402ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ يقول: وذلك آية للمؤمنين, كفّ أيدي الناس عن عيالهم ويَهْدِيَكُمْ صِرَاطا مُسْتَقِيما يقول: ويسدّدكم أيها المؤمنون طريقا واضحا لا اعوجاج فيه, فيبينه لكم, وهو أن تثقوا في أموركم كلها بربكم, فتتوكلوا عليه في جميعها, ليحوطكم حياطته إياكم في مسيركم إلى مكة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في أنفسكم وأهليكم وأموالكم, فقد رأيتم أثر فعل الله بكم, إذ وثقتم في مسيركم هذا.

وقوله: وأُخْرَى لم تَقْدِروا عليها قَدْ أحاطَ اللّهُ بِهَا يقول تعالى ذكره ووعدكم أيها القوم ربكم فتح بلدة أخرى لم تقدروا على فتحها, قد أحاط الله بها لكم حتى يفتحها لكم.

واختلف أهل التأويل في هذه البلدة الأخرى, والقرية الأخرى التي وعدهم فتحها, التي أخبرهم أنه محيط بها, فقال بعضهم: هي أرض فارس والروم, وما يفتحه المسلمون من البلاد إلى قيام الساعة. ذكر من قال ذلك:

24403ـ حدثنا ابن المثنى,قال: حدثنا عبد الرحمن بن مهدِيّ, قال: حدثنا شعبة, عن سِماك الحنفيّ, قال: سمعت ابن عباس يقول: وأُخْرَى لم تَقْدِرُوا عَلَيْها فارس والروم.

24404ـ قال: ثنا محمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, عن الحكم, عن ابن أبي ليلى أنه قال في هذه الآية: وأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْها قال: فارس والروم.

حدثني موسى بن عبد الرحمن المسروقي, قال: حدثنا زيد بن حباب, قال: حدثنا شعبة بن الحَجاج, عن الحكم, عن عبد الرحمن بن أبي ليلى مثله.

24405ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْها قَدْ أحاطَ اللّهُ بِها قال: حُدّث عن الحسن, قال: هي فارس والروم.

24406ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: وأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْها ما فتحوا حتى اليوم.

حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا جرير, عن منصور, عن الحكم, عن عبد الرحمن بن أبي لَيلى, في قوله: وأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْها قال: فارس والروم.

وقال آخرون: بل هي خيبر. ذكر من قال ذلك:

24407ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس وأُخْـرَى لَـمْ تَقْـدِرُوا عَلَيْهـا... الآيـة, قـال: هـي خيبر.
24408ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ, يقول: أخبرنا عبيد بن سليمان, قال: سمعت الضحاك, يقول في قوله: وأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْها قَدْ أحاطَ اللَّهُ بِها يعني خيبر, بعثهم رسول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم يومئـذٍ, فقال: «لا تُمَثِّلُوا وَلا تَغُلُّوا, وَلا تَقْتُلُوا وَلِيدا».
24409ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قـال ابـن زيـد, فـي قوله: وأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْها قَدْ أحاطَ اللَّهُ بِها قال: خيبر, قـال: لـم يكونـوا يذكرونها ولا يرجونها حتى أخبرهم الله بها.
24410ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق وأُخْـرَى لَـمْ تَقْدِرُوا عَلَيْها يعني أهل خيبر.
وقال آخرون: بل هي مكة. ذكر من قال ذلك:
24411ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْها قَدْ أحاطَ اللَّهُ بِها كنا نحدّث أنها مكة.
حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة وأُخْـرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْها قال: بلغنا أنها مكة.
وهذا القول الذي قاله قتادة أشبه بما دلّ عليه ظاهر التنزيل, وذلك أن الله أخبر هؤلاء الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة, أنـه محيط بقرية لم يقدروا عليها, ومعقولٌ أنه لا يقال لقوم لم يقدروا على هـذه المدينة, إلا أن يكونوا قـد راموهـا فتعـذّرت عليهـم, فأمـا وهـم لـم يروموهـا فتتعذّر عليهم فلا يقال: إنهم لم يقدروا عليها.
فإذ كان ذلك كذلك, وكان معلوما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقصد قبل نزول هذه الآية عليه خيبر لحرب, ولا وجه إليها لقتال أهلها جيشـا ولا سرية, علم أن المعنيّ بقوله: وأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْها غيرهـا, وأنهـا هـي التي قد عالجها ورامها, فتعذّرت فكانت مكة وأهلها كذلك, وأخبر الله تعـالى ذكره نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين أنه أحاط بها وبأهلها, وأنه فاتحها عليهم, وكان الله على كلّ ما يشاء من الأشياء ذا قُدرة, لا يتعذّر عليه شـيء شاءه.

الآية : 22-23

القول فـي تأويـل قولـه تعالى: {وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الّذِينَ كفَرُواْ لَوَلّوُاْ الأدْبَارَ ثُمّ لاَ يَجِدُونَ وَلِيّاً وَلاَ نَصِيراً * سُنّةَ اللّهِ الّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنّةِ اللّهِ تَبْدِيلاً }.
يقول تعالى ذكره للمؤمنين به من أهل بيعة الرضوان: وَلَوْ قاتَلَكُم الّذِينَ كَفَرُوا بالله أيها المؤمنون بمكة لَوَلّوُا الأدْبارَ يقول: لانهزموا عنكـم, فولـوكم أعجازهم, وكذلك يفعل المنهزم من قرنه في الحـرب ثُـمّ لا يَجـدُونَ وَلِيّـا وَلا نَصِيرا يقول: ثم لا يجد هؤلاء الكفار المنهزمون عنكم, المولوكم الأدبار, وليا يواليهم على حربكم, ولا نصيرا ينصرهم عليكم, لأن الله تعالى ذكره معكـم, ولن يُغْلَبَ حِزْبٌ اللّهُ ناصِرُهُ. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

24412ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة قوله: وَلَوْ قاتَلَكُمُ الّذِين كَفَرُوا لَوَلّوُا الأَدْبار يعني كفار قريش, قال الله: ثم لا يجدون وليا ولا نصيرا ينصرهم من الله.

وقوله: سُنّةَ اللّهِ التي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ يقول تعالى ذكره: لو قاتلكم هؤلاء الكفار من قريش, لخذلهم الله حتى يهزمهم عنكم خذلانه أمثالهم من أهل الكفر به, الذين قاتلوا أولياءه من الأمم الذين مضوا قبلهم. وأخرج قوله: سُنّةَ اللّهِ نصبا من غير لفظه, وذلك أن في قوله: لَوَلّوُا الأَدْبارَ ثُمّ لا يَجِدُونَ وَلِيّا وَلا نَصِيرا معنى سننت فيهم الهزيمة والخذلان, فلذلك قيل: سُنّةَ اللّهِ مصدرا من معنى الكلام لا من لفظه, وقد يجوز أن تكون تفسيرا لما قبلها من الكلام.

وقوله: وَلَنْ تَجِدَ لِسُنّةِ اللّهِ تَبْدِيلاً يقول جلّ ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: ولن تجد يا محمد لسنة الله التي سنها في خلقه تغييرا, بل ذلك دائم للإحسان جزاءه من الإحسان, وللإساءة والكفر العقاب والنكال.

الآية : 24

القول في تأويل قوله تعالى: {وَهُوَ الّذِي كَفّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكّةَ مِن بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيراً }.

يقول تعالى ذكره لرسوله صلى الله عليه وسلم: والذين بايعوا الرضوان, وهو الذي كف أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ يعني أن الله كفّ أيدي المشركين الذين كانوا خرجوا على عسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم, بالحديبية يلتمسون غِرّتَهُمْ ليصيبوا منهم, فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتى بهم أسرى, فخلى عنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم, ومن عليهم ولم يقتلهم فقال الله للمؤمنين: وهو الذي كفّ أيدي هؤلاء المشركين عنكم, وأيديكم عنهم ببطن مكة, من بعد أن أظفركم عليهم. وبنحو الذي قلنا في ذلك جاءت الآثار ذكر الرواية بذلك:

24413ـ حدثنا محمد بن عليّ بن الحسن بن شقيق, قال: سمعت أبي يقول: أخبرنا الحسين بن واقد, قال: ثني ثابت البناني, عن عبد الله بن مغفل, أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جالسا في أصل شجرة بالحُدَيبية, وعلى ظهره غصن من أغصان الشجرة فرفعتها عن ظهره, وعليّ بن أبي طالب رضي الله عنه بين يديه وسهيل بن عمرو, وهو صاحب المشركين, فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعليّ: «اكْتُبْ بِسْمِ اللّهِ الرّحْمَن الرّحِيمِ», فأمسك سُهَيل بيده, فقال: ما نعرف الرحمن, اكتب في قضيتنا ما نعرف. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اكْتُبْ باسْمِكَ اللّهُمّ», فكتب, فقال: «هذا ما صالح محمد رسول الله أهل مكة», وفأمسك سُهيل بيده, فقال: لقد ظلمناك إن كنت رسولاً, اكتب في قضيتنا ما نعرف قال: «اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله بن عبد المطلب وأنا رسول الله», فخرج علينا ثلاثون شابا عليهم السلاح, فثاروا في وجوهنا, فدعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم, فأخذ الله بأبصارهم, فقمنا إليهم فأخذناهم, فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: «هَلْ خَرَجْتُمْ فِي أمانٍ أحَدٍ», قال: فخلى عنهم, قال: فأنزل الله وَهُوَ الّذِي كَفّ أيْدِيَهُم عَنْكُمْ وأيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكّةَ منْ بَعْدِ أنْ أظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ.

حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا يحيى بن واضح, قال: حدثنا الحسين بن واقد, عن ثابت, عن عبد الله بن مغفل, قال: كنا مع النبيّ صلى الله عليه وسلم

بالحُديبية في أصل الشجرة التي قال الله في القرآن, وكان غصن من أغصان تلك الشجرة على ظهر النبيّ صلى الله عليه وسلم, فرفعته عن ظهره, ثم ذكر نحو حديث محمد بن عليّ, عن أبيه.

24414ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن محمد بن إسحاق قال: ثني من لا أتهم. عن عكرِمة, مولى ابن عباس, أن قريشا كانوا بعثوا أربعين رجلاً منهم أو خمسين, وأمروهم أن يطيفوا بعسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم, ليصيبوا من أصحابه أحدا, فأخذوا أخذا, فأتي بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم, وخلى سبيلهم, وقد كانوا رموا في عسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحجارة والنبل. قال ابن حميد, قال سلمة, قال ابن إسحاق: ففي ذلك قال: وَهُوَ الّذِي كَفّ أيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وأيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ... الآية.

24415ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قال: أقبل معتمرا نبي الله صلى الله عليه وسلم, فأخذ أصحابه ناسا من أهل الحرم غافلين, فأرسلهم النبيّ صلى الله عليه وسلم, فذلك الإظفار ببطن مكة.

24416ـ حدثنا محمد بن سنان القزّاز, قال: حدثنا عبيد الله ابن عائشة, قال: حدثنا حماد بن سلمة, عن ثابت, عن أنس بن مالك أن ثمانين رجلاً من أهل مكة, هبطوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه من جبل التنعيم عند صلاة الفجر ليقتلوهم, فأخذهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعتقهم, فأنزل الله وَهُوَ الّذِي كَفّ أيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وأيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ... إلى آخر الآية.

وكان قتادة يقول في ذلك ما:

24417ـ حدثنا به بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَهُوَ الّذِي كَفّ أيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وأيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ... الآية, قال: بطن مكة الحديبية يقال له رهم: اطلع الثنية من الحديبية, فرماه المشركون بسهم فقتلوه, فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خيلاً, فأتوه باثني عشر فارسا من الكفار, فقال لهم نبيّ الله صلى الله عليه وسلم: «هل لكم عليّ عهد؟ هل لكم عليّ ذمة», قالوا: لا فأرسلهم, فأنزل الله في ذلك القرآن وَهُوَ الّذِي كَفّ أيْدِيَهُم عَنْكُمْ وأيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ... إلى قوله: بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرا.

وقال آخرون في ذلك ما:

24418ـ حدثنا به ابن حميد, قال: حدثنا يعقوب القُمّيّ, عن جعفر, عن ابن أبزي, قال: لما خرج النبيّ صلى الله عليه وسلم بالهدي, وانتهى إلى ذي الحليفة, قال له عمر: يا نبيّ الله, تدخل على قوم لك حرب بغير سلاح ولا كراع, قال: فبعث إلى المدينة فلم يدع بها كراعا ولا سلاحا إلا حمله فلما دنا من مكة منعوه أن يدخل, فسار حتى أتى منى, فنزل بمنى, فأتاه عينه أن عكرِمة بن أبي جهل قد خرج علينا في خمس مئة, فقال لخالد بن الوليد: «يا خالد هذا ابن عمك قد أتاك في الخيل», فقال خالد: أنا سيف الله وسيف رسوله, فيومئذٍ سُمي سيف الله, يا رسول الله, ارم بي حيث شئت, فبعثه على خيل, فلقي عكرِمة في الشّعب فهزمه حتى أدخله حيطان مكة, ثم عاد في الثانية فهزمه حتى أدخله حيطان مكة, ثم عاد في الثالثة حتى أدخله حيطان مكة, فأنزل الله وَهُوَ الّذي كَفّ أيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وأيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ... إلى قوله عَذَابا أليما قال: فكفّ الله النبيّ عنهم من بعد أن أظفره عليهم

لبقايا من المسلمين كانوا بقـوا فيهـا م ن بعـد أن أظفـره عليهـم كراهيـة أن تطأهم الخيل بغير علم.
وقوله: وكانَ اللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرا يقول تعالى ذكره: وكان الله بأعمالكم وأعمالهم بصيرا لا يخفى عليه منها شيء.

الآية : 25

القول فـي تأويـل قوله تعالى: {هُمُ الّذِينَ كَفَـرُواْ وَصَـدّوكُمْ عَـنِ الْمَسْـجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيَ مَعْكُوفاً أَن يَبْلُغَ مَحِلّهُ وَلَوْلاَ رِجَالٌ مّؤْمِنُـونَ وَنِسَـآءٌ مّؤْمِنَـاتٌ لّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَئُوهُمْ فَتُصِيبَكُمْ مّنْهُـمْ مّعَـرّةٌ بِغَيْـرِ عِلْـمٍ لّيُـدْخِلَ اللّـهُ فِـي رَحْمَتِهِ مَن يَشَآءُ لَوْ تَزَيّلُواْ لَعَذّبْنَا الّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَاباً أَلِيماً }.
يقول تعالى ذكره: هؤلاء المشركون من قريش هم الذين جحدوا توحيـد الله, وصدّوكم أيها المؤمنون بالله عن دخول المسجد الحرام, وصدّوا الهَدي معكوفا: يقول: محبوسا عن أن يبلغ مَحِلّه. فموضـع «أن» نصـب لتعلقـه إن شئت بمعكوف, وإن شئت بصـدّوا. وكـان بعـض نحـويي البصـرة يقـول فـي ذلك: وصدّوا الهدي معكوفا كراهية أن يبلغ محله.
وعنى بقوله تعالى ذكره: أنْ يَبْلُغَ مَحِلّهُ أن يبلغ محلّ نحـره, وذلـك دخـول الحرم, والموضع الذي إذا صار إليه حلّ نحره, وكان رسول اللـه صـلى اللـه عليه وسلم ساق معه حين خرج إلى مكة في سَفرته تلك سبعين بدنة.
24419ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, قال: ثني محمد بن إسحاق, عن محمد بن مسلم الزهري, عن عروة بن الزبير, عن المِسْوَر بـن مخرمـة ومروان بن الحكم أنهما حدّثاه, قالا: خرج رسول الله صلى الله عليه وسـلم عام الحُديبية يريد زيارة البيت, لا يريد قتالاً, وساق الهَدي معه سـبعين بدنـة وكان الناس سبعَ مئة رجل, فكانت كلّ بدنة عن عشرة.
وبنحو الذي قلنا في معنى قوله: هُمُ الّذِينَ كَفَرُوا وَصَدّوكُمْ عَـنِ المَسْـجِدِ الحَرَامِ, وَالهَدْيَ مَعْكُوفا أنْ يَبْلُغَ مَحِلّهُ قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
24420ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: هُمُ الّذِينَ كَفَرُوا وَصَدوكُم عَنِ المَسْجِدِ الْحَرَامِ والهَدْيَ مَعْكُوفا: أي محبوسـا أنْ يَبْلُغَ مَحِلّهُ وأقبل نبيّ الله صلى الله عليه وسـلم وأصـحابه معتمريـن فـي ذي القعدة, ومعهـم الهـدي, حـتى إذا كـانوا بالحُديبيـة, صـدّهم المشـركون, فصالحهم نبيّ صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم على أن يرجع من عامه ذلك, ثم يرجع من العام المقبل, فيكون بمكة ثلاث ليال, ولا يـدخلها إلا بسلاح الراكب, ولا يخرج بأحد من أهلها, فنحروا الهـدي, وحلقـوا, وقصّـروا, حتى إذا كان من العام المقبل, أقبل نـبيّ صـلى اللـه عليـه وسـلم وأصـحابه حـتى دخلـوا مكـة معتمريـن فـي ذي القعـدة, فأقـام بهـا ثلاث ليـال, وكـان المشركون قد فجروا عليه حين ردّوه, فأقصه اللـه منهـم فـأدخله مكـة فـي ذلك الشهر الذي كانوا ردّوه فيه, فأنزل الله الشّهْرُ الْحَـرَامُ بالشّـهْرِ الحَـرَامِ والحُرُماتُ قِصَاصٌ.
24421ـ حدثني محمد بن عمارة الأسـديّ وأحمـد بـن منصـور الرمـادي, واللفظ لابن عمارة, قالا: حدثنا عبيد الله بن موسى, قال: أخبرنا موسى بن عبيدة, عن إياس بن سلمة بن الأكوع, عن أبيه, قال: بعثت قريش سُهَيل بن عمرو, وحويطب بن عبد العُزّى, وحفص بن فلان إلى النبيّ صلى اللـه عليـه وسلم ليصالحوه فلما رآهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم سُهَيل بن عمرو, قال: «قد سهّل الله لكم من أمركم, القـوم مـاتّون إليكـم بأرحـامهم

وسائلوكم الصلح, فابعثوا الهَدي, وأظهروا التلبية, لعلّ ذلك يليـن قلـوبهم», فلبوا من نواحي العسـكر حـتى ارتجّـت أصـواتهم بالتّلبيـة, فجـاؤوا فسـألوه الصلح قال: فبينما الناس قد توادعوا وفي المسلمين ناس مـن المشـركين, قال: فقيل به أبو سفيان قال: وإذا الوادي يسيل بالرجال قـال: قـال إيـاس, قال سـلمة: فجئـت بسـتة مـن المشـركين متسـلحين أسـوقهم, لا يملكـون لأنفسهم نفعا ولا ضرّا, فأتيت بهم النبيّ صلى الله عليه وسـلم, فلـم يسـلب ولم يقتل وعفا قال: فشددنا على من في أيـدي المشـركين منـا, فم ا تركنـا في أيديهم منا رجلاً إلا استنقذناه قال: وغلبنا على من في أيدينا منهم ثم إن قريشا بعثوا سُهَيل بن عمرو, وحويطبا, فولوا صـلحهم, وبعـث النـبيّ صـلى الله عليه وسلم عليا في صلحه فكتب عليّ بينهم: بسم الله الرحمن الرحيم, هذا ما صالح عليه محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشـا, صـالحهم على أنه لا إهلال ولا امتلال, وعلى أنه من قَدِم مكة من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم حاجا أو معتمرا, أو يبتغي من فضل الله, فهو آمن على دمـه وماله ومن قَدِم المدينة من قريش مجتازا إلى مصر أو إلى الشام يبتغي من فضل الله, فهو آمن على دمه وماله وعلى أنـه مـن جـاء محمـدا صـلى اللـه عليه وسلم من قريش فهو إليهم رَدّ, ومن جـاءهم مـن أصـحاب محمـد فهـو لهم. فاشتدّ ذلك على المسلمين, فقال رسول الله صلى اللـه عليـه وسـلم: «مَنْ جاءَهُمْ مِنّا فأَبْعَـدَهُ اللّـهُ, وَمَـنْ جاءَنـا مِنْهُـمْ فَرَدَدْنـاه إلَيْهِـمْ فَعَلِـمَ اللّـهُ الإسْلامَ مِنْ نَفْسِهِ, جَعَلَ لَهُ مَخْرَجا». فصالحوه على أنه يعتمر في عام قابل في هذا الشهر, لا يدخل علينـا بخيـل ولا سـلاح, إلا مـا يحمـل المسـافر فـي قِرابه, يثوي فينـا ثلاث ليـال, وعلـى أن هـذا الهَـدْي حيثمـا حبسـناه محّلـه لا يقدمه علينا. فقال لهم رسول الله صـلى اللـه عليـه وسـلم: «نَحْـن نَسُـوقُهُ وأنْتُمْ تَرُدونَ وُجُوهَهُ», فسار رسول الله مع الهدي وسار الناس.

24422ـ حدثني محمد بن عمارة, قال: حدثنا عبيد الله بن موسى, قـال: أخبرنا موسى, قال: أخبرني أبو مُرّة مولى أمّ هانىء, عـن ابـن عمـر, قـال: «كان الهدي دون الجبال التي تطلع على وادي الثنية عـرض لـه المشـركون, فردّوا وجوهه قال: فنحر النبيّ صلى الله عليه وسـلم الهـدي حيـن حبسـوه, وهي الحُديبية, وحلق, وتأسّـى بـه أنـاس حي ن رأوه حل ق, وتربّـص آخـرون, فقالوا: لعلنا نطوف بالبيت, فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «رَحِـمَ اللّهُ المُحَلّقِينَ», قيـل: والمقصـرين, قـال: «رَحِـمَ اللّـهُ المُحَلّقِيـنَ», قيـل: والمقصرين, قال: «والمُقَصّرِينَ».

24423ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا الحكم بن بشير, قال: حدثنا عمر بن ذَرّ الهمداني, عن مجاهد أن النبيّ صلى الله عليـه وسـلم اعتمـر ثلاث عمـر, كلها في ذي القعدة, يرجع في كلها إلى المدينة, منها العمرة التي صـدّ فيهـا الهدي, فنحره في محله, عند الشجرة, وشارطوه أن يأتي في العام المقبل معتمرا, فيدخل مكة, فيطوف بالبيت ثلاثة أيام, ثم يخرج, ولا يحبسـون عنـه أحدا قدم معه, ولا يخرج من مكة بأحد كان فيها قبل قدومه مـن المسـلمين فلما كان من العام المقبل دخل مكة, فأقام بها ثلاثا يطوف بالبيت فلما كـان اليوم الثالث قريبا من الظهـر, أرسـلوا إليـه: إن قومـك قـد آذاهـم مقامـك, فنُودي في النـاس: لا تغـرب الشـمس وفيه ا أحـد مـن المسـلمين قَـدم مـع رسول الله صلى الله عليه وسلم.

24424ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن الزهريّ, عن عروة بن الزبير, عن المسور بن مخرمة, قال: خرج النبيّ صلى الله عليه وسلم زمن الحُديبية في بضع عشرة مئة من أصحابه, حتى إذا كانوا بذي الحُلَيْفة قلّد الهدي وأشعره, وأحرم بالعمرة, وبعث بين يديه عينا له من خُزاعة يخبره عن قريش, وسار النبيّ صلى الله عليه وسلم, حتى إذا كان بغدير الأشطاط قريبا من قُعَيقعان, أتاه عينه الخزاعيّ, فقال: إني تركت كعب بن لؤيّ وعامر بن لؤيّ قد جمعوا لك الأحابيش, وجمعوا لك جموعا, وهم مقاتلوك وصادّوك عن البيت, فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أَشِيرُوا عَلَيّ, أَتَرَوْنَ أنْ نَمِيلَ على ذَرَارِي هَؤُلاءِ الّذِينَ أعانُوهُمْ فَنُصِيبَهُمْ, فإنْ قَعَدُوا قَعَدُوا مَوْتُورِينَ مَحْزُونِين وإنْ لجّوا تَكُنْ عُنُقا قَطَعَها اللّهُ؟ أمْ تَرَوْنَ أنّا نَؤُمّ البَيْتَ, فمَنْ صَدّنا عَنْهُ قاتَلْناهُ؟» فقام أبو بكر رضي الله عنه فقال: يا رسول الله: إنا لم نأت لقتال أحد, ولكن من حال بيننا وبين البيت قاتلناه فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم: «فَرَوّحُوا إذًا» وكان أبو هريرة يقول: ما رأيت أحدا قطّ كان أكثر مُشاورة لأصحابه من النبيّ صلى الله عليه وسلم, فراحوا حتى إذا كانوا ببعض الطريق, قال النبيّ صلى الله عليه وسلم: «إنّ خالِدَ بنَ الوَلِيدِ بالغَمِيم في خَيْل لِقُرَيْشٍ طَلِيعَةً, فخُذُوا ذَاتَ اليْمِينِ», فوالله ما شعر بهم خالد حتى إذا هو بُقْترة الجيش, فانطلق يركض نذيرا لقريش, وسار النبيّ صلى الله عليه وسلم, حتى إذا كان بالثنية التي يُهبْط عليهم منها, بركت به راحلته فقال الناس: حَلْ حَل, فقال: ما حَلْ؟ فقالوا: خَلأَتِ القَصْواء, فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم: «ما خَلأَتْ وَما ذَاكَ لَهَا بخُلُقٍ, ولَكِنّها حَبَسَها حابِسُ الفِيلِ», ثم قال: «والّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لا يَسألُونِي خُطّةً يُعَظّمُونَ بها حُرُماتِ اللّهِ إلاّ أعْطَيْتُهُم إيّاها», ثم زُجِرت فوثبت فعدل عنهم حتى نزل بأقصى الحُديبية على ثمد قليل الماء, إنما يتبرّضه الناس تبرّضا, فلم يلبث الناس أن نزحوه, فشُكِي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم العطش, فنزع سهما من كنانته, ثم أمرهم أن يجعلوه فيه, فوالله ما زال يجيش لهم بالرّيّ حتى صدروا عنه, فبينما هم كذلك جاء بُدَيل بن ورقاء الخزاعي في نفر من خُزاعة, وكانوا عَيبة نصح رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل تهامة, فقال: إني تركت كعب بن لُؤَيّ, وعامر بن لُؤَيّ, قد نزلوا أعداد مياه الحُديبية معهم العوْذ المطافيل, وهم مقاتلوك وصادّوك عن البيت, فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم: «إنّا لَمْ نأتِ لِقِتال أحَدٍ, وَلَكِنّا جِئْنا مُعْتَمِرِينَ, وإنّ قُرَيْشا قَدْ نَهَكَتْهُمُ الحَرْبُ, وأضَرّتْ بِهِمْ, فإنْ شاؤوا مادَدْناهُمْ مُدّةً, ويُخْلُوا بَيْنِي وَبَينَ النّاس, فإنْ أظْهَرْ فإنْ شاؤوا أن يَدْخُلُوا فِيما دَخَلَ فِيهِ النّاسُ فَعَلُوا, وَإلاّ فَقَدْ جَمّوا وَإنْ هُمْ أبَوْا فَوَالّذِي نَفْسي بِيَدِهِ لأُقَاتِلَنّهُمْ عَلى أمْرِي هَذَا حتى تَنْفَرِدَ سالِفَتِي, أوْ لَيُنْفِذَن اللّهُ أمْرَهُ» فقال بديل: سنبلغهم ما تقول, فانطلق حتى أتى قريشا, فقال: إنا جئناكم من عند هذا الرجل, وسمعناه يقول قولاً فإن شئتم أن نعرضه عليكم فعلنا قال سفهاؤهم: لا حاجة لنا في أن تحدّثنا عنه بشيء, وقال ذوو الرأي منهم هات ما سمعته يقول: قال سمعته يقول كذا وكذا, فحدثهم بما قال النبيّ صلى الله عليه وسلم, فقام عُروة بن مسعود الثقفي, فقال: أيْ قوم, ألستم بالولد؟ قالوا: بلى أو لست بالوالد؟ قالوا: بلى قال: فهل أنتم تتهموني؟ قالوا: لا قال: ألستم تعلمون أني استنفرت أهل عكاظ, فلما بلحوا عليّ جئتكم بأهلي وَولدِي ومن أطاعني؟ قالوا: بلى

قال: فإن هذا الرجل قد عـرض عليكـم خطـة رشـد فاقبلوهـا, ودعـوني آتـه فقالوا: ائته, فأتاه, فجعل يكلم النبيّ صـلى اللـه عليـه وسـلم, فقـال النـبيّ صلى الله عليه وسـلم نحـوا مـن مقـالته لبُـديل فقـال عـروة عنـد ذلـك: أي محمد, أرأيت إن استأصلت قومـك, فهـل سـمعت بأحـد مـن العـرب اجتـاح أصله قبلك 0وإن تكن الأخرى فوالله إنـي لأرى وجوهـا وأوباشـا مـن النـاس خليقا أن يفرّوا ويدعوك, فقال أبو بكر: امصَصْ بظـر اللات, واللاتُ: طاغيـة ثقيف الذي كانوا يعبدون, أنحن نفرّ وندعه؟ فقال: من هذا؟ فقالوا: أبو بكر, فقال: أما والذي نفسي بيده لولا يد كانت لـك عنـدي لـم أجـزك بهـا لأجبتـك وجعل يكلم النبيّ صلى الله عليه وسلم, فكلما كلمه أخـذ بلحيتـه, والمغيـرة بن شعبة قائم على رأس النبيّ صلى الله عليه وسلم ومعـه السـيف, وعليـه المغفر فكلما أهوى عروة إلـى لحيـة رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم, ضرب يده بنصل السيف, وقال: أخّر يدك عن لحيته, فرفع رأسه فقال: مـن هذا؟ قالوا: المغيرة بن شعبة, قـال: أي غُـدَرُ أو لسـت أسـعى ف ي غـدرتك. وكان المُغيرة بن شعبة صحب قوما في الجاهلية, فقتلهم وأخذ أموالهم, ثـم جاء فأسلم, فقال النبيّ صلى الله عليـه وسـلم: «أمّـا الإسْـلامُ فَقَـدْ قَبِلْنـاهُ, وأمّا المَالُ فإنّه مالُ غَدْرٍ لا حاجَةَ لَنا فِيهِ». وإن عُـروة جعـل يرمـق أصـحاب النبيّ صلى الله عليه وسلم بعينـه, فـوالله إن تنخـم النـبيّ صـلى اللـه عليـه وسلم نخامة إلا وقعت في كـفّ رجـل منهـم, فـدلك بهـا وجهـه وجلـده, وإذا أمرهم ابتدروا أمره, وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وَضوئه, وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده, وما يحدّون النظر إليه تعظيما له, فرجع عروة إلـى أصـحابه, فقال: أي قوم, والله لقد وفدت على الملوك, ووفدت على قيصـر وكسـرى والنجاشيّ, والله ما رأيت مَلِكا قطّ يعظمه أصحابه ما يعظم أصـحاب محمـد محمدا والله إن تنخم نخامة إلا وقعت في كفّ رجـل منهـم فـدلك بهـا وجهـه وجلده, وإذا أمرهم ابتدروا أمره, وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وَضـوئه, وإذا تكلموا عنده خفضوا أصواتهم, وما يحدّون النظر إليـه تعظيمـا لـه, وإنـه قـد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها.

فقال رجل من كنانة: دعوني آته, فقالوا: ائته فلما أشرف على النبيّ صلى الله عليه وسلم وأصحابه, قال النبيّ صلى الله عليه وسلم: «هَذَا فُلانٌ, وهو من قوم يعظمون البدن, فابعثوها له», فبعثت له, واستقبله قوم يلبون فلما رأى ذلك قال سبحان الله, ما ينبغي لهؤلاء أن يصدوا عن البيت, فقـام رجـل منهم يقال له مِكْرز بن حفص, فقال: دعوني آته, فقالوا ائتـه, فلمـا أشـرف على النبيّ صلى الله عليه وسلم وأصحابه, قال النبيّ صلى الله عليه وسلم: «هَذَا مِكْرِز بْنُ حَفْصٍ, وَهُوَ رَجُلٌ فاجِرٌ» فجاء فجعل يكلـم النـبيّ صـلى اللـه عليه وسلم, فبينما هـو يكلمـه, إذ جـاء سُـهَيل بـن عمـرو, قـال أيـوب, قـال عكرمة: إنه لما جاء سُهَيل, قال النبيّ صلى الله عليه وسلم: «قد سهل لكم من أمركم». قال الزهري. فجاء سهيل بن عمـرو, فقـال: هـات نكتـب بيننـا وبينك كتابا فدعا الكاتب فقال النبيّ صلى الله عليـه وسـلم: «اكْتُـبْ: بِسْـمِ اللّهِ الرّحْمَنِ الرّحِيمِ», فقال: مـا الرحمـن؟ فـوالله مـا أدري مـا هـو, ولكـن اكتب: باسمك اللهم كما كنـت تكتـب, فقـال المسـلمون: واللـه لا نكتبهـا إلا بسم الله الرحمـن الرحيـم, فقـال النـبيّ صـلى اللـه عليـه وسـلم: «اكْتُـبْ: باسْمِكَ اللّهُمّ» ثم قال: «اكْتُبْ: هَذَا ما قاضَى عَلَيْـهِ مُحَمّـدٌ رَسُـولُ االلّـهِ», فقال سهيل: والله لو كنا نعلم أنك رسول اللـه مـا صـددناك عـن الـبيت, ولا

قاتلناك, ولكن اكتب: محمد بن عبد الله, فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم: «وَاللّهِ إنّي لَرَسُولُ اللّهِ وَإنْ كَذّبْتُمُونِي, ولَكِن اكْتُبْ مُحَمّدُ بْنُ عَبْدِ اللّهِ» قال الزهري: وذلك لقوله: «وَاللّهِ لا يَسأَلُوني خُطّةً يُعَظّمُونَ بِها حُرُماتِ اللّهِ إلاّ أعْطَيْتُهُمْ إيّاها» فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم: «عَلى أنْ تُخَلّوا بَيْنَنا وَبَينَ البَيْتِ, فَنَطُوفُ بِهِ» قال سُهيل: والله لا تتحدّث العرب أنا أخِذنا ضغطة, ولكن لك من العام المقبل, فكتب فقال سهيل, وعلى أنه لا يأتيك منا رجل وإن كان على دينك إلا رددته إلينا, فقال المسلمون: سبحان الله, وكيف يُرَدّ إلى المشركين وقد جاء مسلما؟ فبينما هم كذلك, إذا جاء أبو جَنْدل بن سُهيل بن عمرو يوسُف في قيوده, قد خرج من أسفل مكة حتى رمى بنفسه بين أظهر المسلمين, فقال سهيل: هذا يا محمد أوّل من أقاضيك عليه أن تردّه إلينا, فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم: «فَأجِزْهُ لي», فقال: ما أنا بمجيره لك, قال: «بلى فافعل», قال: ما أنا بفاعل قال صاحبه مِكْرز وسهيل إلى جنبه: قد أجرناه لك فقال أبو جندل أي معاشر المسلمين, أأُرَدّ إلى المشركين وقد جئتُ مسلما؟ ألا ترون ما قد لقيت؟ كان قد عُذّب عذابا شديدا في الله.

قال عمر بن الخطاب: والله ما شككت منذ أسلمت إلا يومئذٍ, فأتيت النبيّ صلى الله عليه وسلم, فقلت: ألسنا على الحقّ وعدوّنا على الباطل؟ قال: «بلى», قلت: فلِم نعطَى الدنية في ديننا إذن؟ قال: «إنّي رَسُولُ اللّهِ, وَلَسْتُ أعْصِيهِ وَهُوَ ناصِري», قلت: ألست تحدّثنا أنا سنأتي البيت, فنطوف به؟ قال: «بَلى», قال: «فأخبرتك أنك تأتيه العام»؟ قلت: لا قال: «فإنّكَ آتِيهِ وَمُتَطَوّفٌ به» قال: ثم أتيت أبا بكر, فقلت: أليس هذا نبيّ الله حقا؟ قال: بلى, قلت: ألسنا على الحقّ وعدوّنا على الباطل؟ قال: بلى, قلت: فلم نعطَى الدنية في ديننا إذا؟ قال أيها الرجل إنه رسول الله, وليس يعصِي ربه, فاستمسك بغرزه حتى تموت, فوالله إنه لعلى الحقّ قلت: أو ليس كان يحدثنا أنا سنأتي البيت ونطوف به؟ قال: بلى, أفأخبرك أنك تأتيه العام؟ قال: لا, قال: فإنك آتيه ومتطوّف به. قال الزُهري: قال عمر: فعملت لذلك أعمالاً فلما فرغ من قصته, قال النبيّ صلى الله عليه وسلم لأصحابه: «قُومُوا فانْحَرُوا ثُمّ احْلِقُوا», قال: فوالله ما قام منا رجل حتى قال ذلك ثلاث مرّات فلما لم يقم منهم أحد, قام فدخل على أمّ سلمة, فذكر لها ما لقي من الناس, فقالت أمّ سلمة: يا رسول الله أتحبّ ذلك؟ اخرج, ثم لا تكلم أحدا منهم كلمة حتى تنحرُ بُدْنَك, وتدعو حالقك فيحلقك, فقام فخرج فلم يكلم أحدا منهم كلمة, حتى نحر بدنه, ودعا حالقه فحلقه فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا, وجعل بعضهم يحلق بعضا, حتى كاد بعضهم يقتل بعضا غما ثم جاءه نسوة مؤمنات, فأنزل الله عزّ وجلّ عليه: يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا إذَا جاءَكُمُ المُؤْمِناتُ مُهاجِرَاتٍ حتى بلغ بعِصَمِ الكَوَافِرِ قال: فطلق عمر يومئذ امرأتين كانتا له في الشرك قال: فنهاهم أن يردوهنّ, وأمرهم أن يردّوا الصداق حينئذٍ قال رجل للزهريّ: أمن أجل الفروج؟ قال: نعم, فتزوّج إحداهما معاوية بن أبي سفيان, والأخرى صفوان بن أمية, ثم رجع النبيّ صلى الله عليه وسلم إلى المدينة, فجاءه أبو بصير, رجل من قريش, وهو مسلم, فأرسل في طلبه رجلان, فقالا: العهد الذي جعلت لنا, فدفعه إلى الرجلين, فخرجا به, حتى إذا بلغا ذا الحليفة, فنزلوا يأكلون من تمر لهم, فقال أبو بصير لأحد الرجلين: والله إني لأرى سيفك هذا يا فلان جيدا, فاستله الآخر

فقال: والله إنه لجيد, لقد جربت به وجربت فقال أبو بصير: أرني أنظر إليه فأمكنه منه, فضربه به حتى برد وفرّ الآخر حتى أتى المدينة, فدخل المسجد يعدو, فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم: «رأى هَذَا ذُعْرا», فقال: والله قتل صاحبي, وإني والله لمقتول, فجاء أبو بصير فقال: قد والله أوفى الله ذمتك ورددتني إليهم, ثم أغاثني الله منهم, فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم: «وَيْلُ امّهِ مِسْعَرُ حَرْب لَوْ كانَ لَهُ أَحَدٌ» فلما سمع عرف أنه سيردّه إليهم قال: فخرج حتى أتى سيف البحر, وتفلّت أبو جندل بن سهيل بن عمرو, فلحق بأبي بصير, فجعل لا يخرج من قريش رجل قد أسلم إلا لحق بأبي بصير, حتى اجتمعت منهم عصابة, فوالله ما يسمعون بعير خرجت لقريش إلى الشأم إلا اعترضوا لهم فقتلوهم, وأخذوا أموالهم, فأرسلت قريش إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم يناشدونه الله والرحم لما أرسل إليهم, فمن أتاه فهو آمن فأنزل الله وَهُوَ الّذِي كَفّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ حتى بلغ حميَةَ الجَاهِلِيّةِ وكانت حميتهم أنهم لم يقرّوا أنه نبيّ, ولم يقرّوا ببسم الله الرحمن الرحيم, وحالوا بينهم وبين البيت.

24425ـ حدثني يعقوب بن إبراهيم, قال: حدثنا يحيى بن سعيد, قال: حدثنا عبد الله بن المبارك, قال: أخبرنا معمر, عن الزهريّ, عن عروة, عن المسور بن مخرمة, ومروان بن الحكم, قالا: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم زمن الحُديبية في بضع عشرة مئة, ثم ذكر نحوه, إلا أنه قال في حديثه, قال الزهريّ, فحدثني القاسم بن محمد, أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: فأتيت النبيّ صلى الله عليه وسلم, فقلت: ألست برسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: «بَلى», قال أيضا: وخرج أبو بصير والذين أسلموا من الذين رَدّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حتى لحقوا بالساحل على طريق عير قريش, فقتلوا من فيها من الكفار وتغنّموها فلما رأى ذلك كفار قريش, ركبٍ نفر منهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم, فقالوا له: إنها لا تغني مدّتك شيئا, ونحنُ نقتل وتُنهب أموالُنا, وإنا نسألك أن تدخل هؤلاء في الذين أسلموا منا في صلحك وتمنعهم, وتحجز عنا قتالهم, ففعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم, فأنزل الله: وَهُوَ الّذِي كَفّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ, ثم ساق الحديث إلى آخره, نحو حديث ابن عبد الأعلى.

حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق, عن محمد بن مسلم بن شهاب الزهريّ, عن عروة بن الزبير, عن المسور بن مخرمة, ومروان بن الحكم أنهما حدّثاه, قالا: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحُديبية, يريد زيارة البيت, لا يريد قتالاً, وساق معه هديه سبعين بدنة, حتى إذا كان بعسفان لقيه بشر بن سفيان الكعبيّ, فقال له: يا رسول الله هذه قريش قد سمعت بمسيرك, فخرجوا معهم العوذُ المطافيلُ قد لبسوا جلود النمور, ونزلوا بذي طوى يعاهدون الله, لا تدخلها عليهم أبدا, وهذا خالد بن الوليد في خيلهم, قد قدموها إلى كراع الغميم قال: فقال صلى الله عليه وسلم: «يا وَيْحَ قُرَيْش لَقَدْ أَهْلَكَتْهُمُ الحَرْبُ, ماذَا عَلَيْهِمْ لَوْ خَلّوا بَيْنِي وَبَيْنَ سائِرِ العَرَب فإنْ هُمَّ أصابُونِي كانَ ذلكَ الّذِي أرَادُوا, وَإنْ أظْهَرَنِي اللّهُ عَلَيْهِم دَخَلُوا في الإسْلامِ دَاخِرِينَ» ثم ذكر نحو حديث معمر بزيادات فيه كثيرة, على حديث معمر تركت ذكرها.

24426ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: «والهَدْيَ مَعْكُوفا أنْ يَبْلُغَ محِلّهُ» قال: كان الهدي بذي طوى, والحُديبية خارجة من الحرم, نزلها رسول الله صلى الله عليه وسلم حين غَوّرت قريش عليه الماء.

وقوله: وَلَوْلا رِجالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِساءٌ مُؤْمِناتَ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أنْ تَطَئُوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِنْهُمْ مَعَرّةٌ بغَيرِ عِلْمٍ يقول تعالى ذكره: ولولا رجال من أهل الإيمان ونساء منهم أيها المؤمنون بالله أن تطئوهم بخيلكم ورجلكم لم تعلموهم بمكة, وقد حبسهم المشركون بها عنكم, فلا يستطيعون من أجل ذلك الخروج إليكم فتقتلوهم. كما:

24427ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَلَوْلا رِجالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِساءٌ مُؤمِناتٌ... حتى بلغ بِغَيرِ عِلْمٍ هذا حين ردّ محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه أن يدخلوا مكة, فكان بها رجال مؤمنون ونساء مؤمنات, فكره الله أن يؤذوا أو يوطئوا بغير علم, فتصيبكم منهم معرّة بغير علم.

واختلف أهل التأويل في المعرة التي عناها الله في هذا الموضع, فقال بعضهم: عنى بها الإثم. ذكر من قال ذلك:

24428ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَلَوْلا رِجالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِساءٌ مُؤْمِناتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أنْ تَطَئُوهُمْ فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرّةٌ بغَيرِ عِلْمٍ قال: إثم بغير علم.

وقال آخرون: عنى بها غرم الدية. ذكر من قال ذلك:

24429ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرّةٌ بغَيرِ عِلْمٍ فتخرجوا ديته, فأما إثم فلم يحسبه عليهم. والمعرّة: هي المفعلة من العرّ, وهو الجرب. وإنما المعنى: فتصيبكم من قبلهم معرّة تعرّون بها, يلزمكم من أجلها كفّارة قتل الخطأ, وذلك عتق رقبة مؤمنة, من أطاق ذلك, ومن لم يطق فصيام شهرين.

وإنما اخترت هذا القول دون القول الذي قاله ابن إسحاق, لأن الله إنما أوجب على قاتل المؤمن في دار الحرب إذا لم يكن هاجر منها, ولم يكن قاتله علم إيمانه الكفارة دون الدية, فقال: وإنْ كانَ مِنْ قَوْم عَدُوَ لَكُمْ وهُوَ مُؤْمِنٌ, فَتَحْرِيرُ رقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ» لم يوجب على قاتله خطأ ديته, فلذلك قلنا: عنى بالمعرّة في هذا الموضع الكفارة, وأن من قوله: أنْ تَطَئُوهُمْ في موضع رفع ردّا على الرجال, لأن معنى الكلام: ولولا أن تطئوا رجالاً مؤمنين ونساء مؤمنات لم تعلموهم, فتصيبكم منهم معرّة بغير علم لأذن الله لكم أيها المؤمنون في دخول مكة, ولكنه حال بينكم وبين ذلك لِيُدْخِلَ اللّهُ في رَحْمَتِهِ مَنْ يَشاءُ يقول: ليدخل في الإسلام من أهل مكة من يشاء قبل أن تدخلوها, وحذف جواب لولا استغناء بدلالة الكلام عليه.

وقوله: لَوْ تَزَيّلوا يقول: لو تميز الذين في مشركي مكة من الرجال المؤمنين والنساء المؤمنات الذين لم تعلموهم منهم, ففارقوهم وخرجوا من بين أظهرهم لَعَذّبْنا الّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُم عَذَابا أليما يقول: لقتلنا من بقي فيها بالسيف, أو لأهلكناهم ببعض ما يؤلمهم من عذابنا العاجل. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

24430ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: لَوْ تَزَيّلُوا... الآية, إن الله يدفع بالمؤمنين عن الكفار.

24431ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله لَوْ تَزَيّلُوا لَعَذّبْنا الّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ يعني أهل مكة كان فيهم مؤمنون مستضعفون: يقول الله لولا أولئك المستضعفون لو قد تزيّلوا, لعذّبنا الذين كفروا منهم عذابا أليما.

24432ـ حدثنا يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: لَوْ تَزَيّلُوا لو تفرّقوا, فتفرّق المؤمن من الكافر, لعذّبنا الذين كفروا منهم عذابا أليما.

الآية : 26

القول في تأويل قوله تعالى: {إِذْ جَعَلَ الّذِينَ كَفَرُواْ فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيّةَ حَمِيّةَ الْجَاهِلِيّةِ فَأَنزَلَ اللّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىَ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التّقْوَىَ وَكَانُوَاْ أَحَقّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللّهُ بِكُلّ شَيْءٍ عَلِيماً }.

يعني تعالى ذكره بقوله: إذْ جَعَلَ الّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِم الْحَمِيّةَ حَمِيّةَ الجاهِلِيّةِ حين جعل سُهيل بن عمرو في قلبه الحمية, فامتنع أن يكتب في كتاب المقاضاة الذي كتب بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم والمشركين: بسم الله الرحمن الرحيم, وأن يكتب فيه: محمد رسول الله, وامتنع هو وقومه من دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم عامه ذلك. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

24433ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن الزهريّ, قال: كانت حميتهم التي ذكر الله, إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية, حمية الجاهلية, أنهم لم يقرّوا «بسم الله الرحمن الرحيم» وحالوا بينهم وبين البيت.

حدثني يعقوب بن إبراهيم, قال: حدثنا يحيى بن سعيد, قال: حدثنا عبد الله بن المبارك, عن معمر, عن الزهري بنحوه.

24434ـ حدثني عمرو بن محمد العثماني, قال: حدثنا إسماعيل بن أبي أويس, قال: ثني أخي, عن سليمان, عن يحيى بن سعيد, عن ابن شهاب, عن سعيد بن المسيب, أن أبا هريرة أخبره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أمِرْتُ أنْ أُقاتِلَ النّاسَ حتى يَقُولُوا لا إلَهَ إلاّ اللّهُ, فَمَنْ قال لا إله إلاّ اللّهُ فَقَدْ عَصَمَ مِنّي مالَهُ وَنَفْسَهُ إلاّ بِحَقّهِ وَحِسابُهُ على الله». وأنزل الله في كتابه, فذكر قوما استكبروا فقال: إنّهُمْ كانُوا إذَا قِيلَ لَهُمْ لا إلَهَ إلاّ اللّهُ يَسْتَكْبِرُون وقال الله: إذْ جَعَلَ الّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيّةَ حَمِيّةَ الجاهِلِيّة فَأنْزَلَ اللّهُ سَكِينَتَهُ عَلى رسَوُلِهِ وَعَلى المُؤْمِنينَ وألْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التّقْوَى وكانُوا أحَقّ بِها وأَهْلَها وهي لا إله إلا الله محمد رسول الله, استكبر عنها المشركون يوم الحُديبية, يوم كاتبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على قضية المدّة.

و «إذ» من قوله: إذْ جَعَلَ الّذِينَ كَفَرُوا من صلة قوله: لعذّبنا. وتأويل الكلام: لعذّبنا الذين كفروا منهم عذابا أليما, حين جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية, والحمية فعيلة من قول القائل: حمى فلان أنفه حمية ومحمية ومنه قول المتلمس:

ألا إنّنِي مِنْهُمْ وَعِرْضِي عِرْضُهُمْكَذا الرأس يَحْمي أنْفَهُ أنْ يُكَشّما

يعني بقوله: «يحمي»: يمنع. وقال حَمِيّةَ الجاهِلِيّةِ لأن الذي فعلوا من ذلك كان جميعه من أخلاق أهل الكفر, ولم يكن شيء منه مما أذن الله لهم به, ولا أحد من رسله.

وقوله: فَأَنْزَلَ اللّهُ سَكِينَتَهُ عَلى رَسُولِهِ وَعلى المُؤْمِنِينَ يقول تعالى ذكره فأنزل الله الصبر والطمأنينة والوقار على رسوله وعلى المـؤمنين, إذ حمـى الذين كفروا حمية الجاهلية, ومنعوهم من الطواف بـالبيت, وأبـوا أن يكتبـوا في الكتـاب بينـه وبينهـم بسـم اللـه الرحمـن الرحيـم, ومحمـد رسـول اللـه وألْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التّقْوَى يقال: ألزمهم قول لا إله إلا الله التي يتقون بهـا النـار, وأليم العذاب. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهـل التأويـل علـى اختلاف فـي ذلك منهم, ورُوي به الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. ذكر قـائلي ذلك بما قلنا فيه, والخبر الذي ذكرناه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم:

24435ـ حدثنا الحسن بن قزعة الباهلي, قال: حدثنا سـفيان بـن حـبيب, قال: حدثنا شعبة, عن ثور بن أبي فاختة, عن أبيه, عـن الطفيـل, عـن أبيـه, سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: وألْزَمَهُـمْ كَلمَـةَ التّقْـوَى قـال: «لا إلَهَ إلاّ اللّهُ».

24436ـ حدثني محمد بن خالد بن خداش العَتَكِيّ, قال: سـمعت سـالما, سمع شعبة, سمعَ سَلَمة بن كُهَيل, سمعِ عبَايَة, سمع عليا رضي الله عنه في قوله: وألْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التّقْوَى قال: لا إله إلا الله.

حدثني ابن بشار, قال: حدثنا يحيى وعبد الرحمن, قالا: حدثنا سفيان, عن سلمة, عن عباية بن ربعي, عن عليّ رضي اللـه عنـه, فـي قـوله: وألْزَمَهُـمْ كَلِمَةَ التّقْوَى قال: لا إله إلاّ الله, والله أكبر.

حدثني محمد بن عيسى الدامغاني, قال: حدثنا ابن المبارك, عن سفيان وشعبة, عن سلمة بن كهيل, عن رجل, عن عليّ رضي الله عنه قـال: لا إلـه إلاّ الله, والله أكبر.

حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا وهب بن جرير, عن شعبة, عن سلمة, عن عبايه, عن رجل من بني تميم عن عليّ رضي الله عنه وألْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التّقْوَى قال: لا إله إلاّ الله.

24437ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن علـيّ, عن ابن عباس, قوله: وألْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التّقْوَى يقول: شهادة أن لا إله إلاّ اللـه, فهي كلمة التقوى, يقول: فهي رأس التقوى.

24438ـ حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا محمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, قال: سمعت أبا إسحاق يحدّث عن عمرو بن ميمون أنه كان يقول فـي هـذه الآية وألْزَمَهُم كَلِمَةَ التّقْوَى قال: لا إله إلاّ الله.

حدثني محمد بن عيسى, قال: أخبرنا ابن المبارك, قال: أخبرني سفيان, عن أبي إسحاق, عن عمرو بن ميمون, مثله.

حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سـفيان, عـن أبـي إسحاق, عن عمرو بن ميمون وألْزَمَهَمْ كَلِمَةَ التّقْوَى قال: لا إله إلاّ الله.

24439ـ قال: ثنا سفيان, عن منصور, عن مجاهد وألْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التّقْـوَى وقال: لا إله إلاّ الله.

24440ـ حدثنا بشر, قـال: حـدثنا يزيـد, قـال: حـدثنا سـعيد, عـن قتـادة وألْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التّقْوَى وهي: شهادة أن لا إله إلا الله.

24441ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قـال ابـن زيـد, فـي قوله: وألْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التّقْوَى قال: هي لا إله إلاّ الله.

24442ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقـول: أخبرنـا عبيـد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله وألْزَمَهُـمْ كَلِمَـةَ التّقْـوَى هـي لا إلـه إلاّ الله.

24443ـ حدثني سعد بن عبد الله بن عبد الحكم, قال: حـدثنا حفـص بـن عمر, قال: حدثنا الحكم بن أبـان, عـن عكرمـة, فـي قـوله: وألْزَمَهُـمْ كَلِمَـةَ التّقْوَى قال: شهادة أن لا إله إلاّ الله.

24444ـ حدثني ابن البرقيّ, قال: حدثنا عمرو بن أبي سلمة, عـن سـعيد بن عبد العزيز, عن عطاء الخراسانيّ وألْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التّقْـوَى قـال: لا إلـه إلاّ الله محمد رسول الله.

24445ـ حدثني الصواريّ محمد بن إسماعيل, قال: حدثنا محمد بن سوار, قال: حدثنا سفيان بن عيينة, عن يزيد بن أبي خالد المكي, عن عليّ الأزديّ, قال: كنت مع ابن عمر بين مكة ومنى بالمأزمين, فسمع النـاس يقولـون: لا إله إلاّ الله, والله أكبر, فقال: هي هي, فقلت: ما هي؟ قال: وألْزَمَهُمْ كَلِمَـةَ التّقْوَى الإخلاص وكَانُوا أَحَقّ بِها وَأَهْلَهَا.

وقال آخرون: بل: هي كلمة التقوى, الإخلاص. ذكر من قال ذلك:

24446ـ حدثني عليّ بن الحسين الأزديّ, قال: حدثنا يحيى بن يمان, عن ابن جُرَيج, عن مجاهد وألْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التّقْوَى قال: الإخلاص.

حدثني محمد بن عمـرو, قـال: حـدثنا أبـو عاصـم, قـال: حـدثنا عيسـى, وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبـي نجيح, عن مجاهد كَلِمَةَ التّقْوَى كلمة الإخلاص.

وقال آخرون: هي قوله: بسم الله الرحمن الرحيم. ذكر من قال ذلك:

24447ـ حدثني محمد بن عيسى, قال: حدثنا ابن المبارك, عن معمر, عن الزهريّ, في قوله: وألْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التّقْوَى قال: بسم الله الرحمن الرحيم.

وقال آخرون: هي قـول لا إلـه إلاّ اللـه وحـده لا شـريك لـه, لـه الملـك ولـه الحمد, وهو على كل شيء قدير. ذكر من قال ذلك:

24448ـ حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا ابن يمان, قال: أخبرنـا ابـن جُرَيـج, عن مجاهـد وعطـاء وألْزَمَهُـمْ كَلِمَـةَ التّقْـوَى قـال: أحـدهما الإخلاص, وقـال الآخر: كلمة التقوى: لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له لـه المُلـك ولـه الحمـد, وهو على كلّ شيء قدير.

وقوله: وكانُوا أَحَقّ بِها وأهْلَها يقول تعالى ذكره: وكان رسـول اللـه صـلى الله عليه وسـلم: والمؤمنـون أحـقّ بكلمـة التقـوى مـن المشـركين وأهلهـا: يقول: وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنون أهل كلمة التقــوى دون المشركين. وذُكر أنها في قراءة عبـد اللـه «وكـانُوا أهْلَهـا وأحَـقّ بِهـا». وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

24449ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وكانُوا أَحَقّ بها وأهْلَها وكان المسلمون أحقّ بها, وكانوا أهلها: أي التوحيد, وشـهادة أن لا إله إلاّ الله, وأن محمدا عبده ورسوله.

وقوله: وكانَ اللّهُ بكُلّ شَيْءٍ عَلِيما يقول تعالى ذكره: ولم يـزل اللـه بكـل شيء ذا علم, لا يخفى عليه شيء هو كائن, ولعلمه أيها الناس بما يحدث من دخولكم مكة وبها رجال مؤمنون, ونساء مؤمنات لم تعلموهم, لم يأذن لكـم بدخولكم مكة في سفرتكم هذه.

الآية : 27

القول في تأويل قوله تعالى: {لَّقَدْ صَدَقَ اللّهُ رَسُولَهُ الرّؤْيَا بِالْحَقّ لَتَدْخُلُنّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَآءَ اللّهُ آمِنِينَ مُحَلّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصّرِينَ لاَ تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُواْ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَلِكَ فَتْحاً قَرِيباً }.

يقول تعالى ذكره: لقد صدق الله رسوله محمدا رؤياه التي أراها إياه أنه يدخل هو وأصحابه بيت الله الحرام آمنين, لا يخافون أهل الشرك, مقصّرا بعضهم رأسه, ومحلّقا بعضهم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

24450ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس لَقَدْ صَدَقَ اللّهُ رَسُولَهُ الرّؤْيا بالحَقّ لَتَدْخُلُنّ المَسْجِدَ الْحَرَامَ إنْ شاءَ اللّهِ آمِنِينَ ق ال هو دخول محمد صلى الله عليه وسلم البيت والمؤمنون, محلقين رؤوسهم ومقصرين.

24451ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قوله: الرّؤْيا بالحَقّ قال: أُرِيَ بالحدُيبية أنه يدخل مكة وأصحابه محلقين, فقال أصحابه حين نحر بالحُديبية: أين رؤيا محمد صلى الله عليه وسلم؟

24452ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة لَقَدْ صَدَقَ اللّهُ رَسُولَهُ الرّؤْيا بالحَقّ قال: رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه يطوف بالبيت وأصحابه, فصدّق الله رؤياه, فقال: لَتَدْخُلُنّ المَسّجِدَ الحَرَام إنْ شاءَ اللّهُ آمِنِينَ... حتى بلغ لا تَخافُونَ.

24453ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة, في قوله: لَقَدْ صَدَقَ اللّهُ رَسُولَهُ الرّؤْيا بالحَقّ قال: أُرِيَ في المنام أنهم يدخلون المسجد الحرام, وأنهم آمنون محلّقين رؤوسهم ومقصّرين.

24454ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: لَقَدْ صَدَقَ اللّهُ رَسُولَهُ الرّؤْيا بالحَقّ.. إلى آخر الآية. قال: قال لهم النبيّ صلى الله عليه وسلم: «إنّي قَدْ رأيْتُ أنّكُمْ سَتَدْخُلُونَ المَسْجِدَ الحَرَام مُحَلّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصّرِينَ» فلما نزل بالحُديبية ولم يدخل ذلك العام طعن المنافقون في ذلك, فقالوا: أين رؤياه؟ فقال الله لَقَدْ صَدَقَ اللّهُ رَسُولَهُ الرّؤْيا بالحَقّ فقرأ حتى بلغ وَمُقَصّرِينَ لا تَخافُونَ إني لم أره يدخلها هذا العام, وليكوننّ ذلك.

24455ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق لَقَدْ صَدَقَ اللّهُ رَسُولَهُ الرّؤْيا بالحَقّ... إلى قوله: إنْ شاءَ اللّهُ آمِنِينَ لرؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم التي أُرِيَها أنه سيدخل مكة آمنا لا يخاف, يقول: محلقين ومقصرين لا تخافون.

وقوله: فَعَلِمَ ما لَمْ تَعْلَمُوا يقول تعالى ذكره: فعلم الله جلّ ثناؤه ما لم تعلموا, وذلك علمه تعالى ذكره بما بمكة من الرجال والنساء المؤمنين, الذين لم يعلمهم المؤمنون, ولو دخلوها في ذلك العام لوطئوهم بالخيل والرّجل, فأصابتهم منهم معرّة بغير علم, فردّهم الله عن مكة من أجل ذلك وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

24456ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: فَعَلِمَ ما لَمْ تَعْلمُوا قال: ردّه لمكان من بين أظهرهم من المؤمنين والمؤمنات, وأخره ليدخل الله في رحمته من يشاء من يريد أن يهديه.

وقوله: فجَعَلَ مِنْ دُون ذلـكَ فَتْحـا قَرِيبـا اختلـف أهـل التأويـل فـي الفتـح القريب, الذي جعله الله للمـؤمنين دون دخـولهم المسـجد الحـرام محلّقيـن رؤوسهم ومقصّرين, فقال بعضهم: هو الصلح الـذي جـرى بيـن رسـول اللـه صلى الله عليه وسلم وبين مشركي قريش. ذكر من قال ذلك:

24457ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبـي نجيح, عن مجاهد, قوله: مِـنْ دُونِ ذلـكَ فَتْحـا قَرِيبـا قـال: النحـر بالحُديبيـة, ورجعوا فافتتحوا خَيبر, ثم اعتمر بعد ذلك, فكـان تصـديق رؤيـاه فـي السـنة القابلة.

24458ـ حـدثنا ابـن حُمَيـد, قـال: حـدثنا سـلمة, عـن ابـن إسـحاق, عـن الزهريّ, قوله: فجعَلَ مِنْ دُونِ ذلكَ فَتْحا قَرِيبا يعني: صلح الحُديبية, وما فتح في الإسلام فتح كان أعظم منه, إنما كـان القتـال حيـث التقـى النـاس فلمـا كانت الهدنـة وضعت الحـرب, وأمـن النـاس كلهـم بعضـهم بعضـا, فالتقوا فتفاوضوا في الحديث والمنازعة, فلم يكلم أحد بالإسلام يعقل شيئا إلا دخل فيه, فلقد دخل في تينك السنتين في الإسلام مثل من كان في الإسلام قبـل ذلك وأكثر.

24459ـ حدثنا ابن حُمَيد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق فجعَـلَ مِـنْ دُونِ ذلكَ فَتْحا قَرِيبا قال: صلح الحُديبية.

وقال آخرون: عنى بالفتح القريب في هذا الموضع: فتح خيبر. ذكر من قال ذلك:

24460ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قـال ابـن زيـد, فـي قوله: فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذلكَ فَتْحا قَرِيبا قال: خيبر حيـن رجعـوا مـن الحُديبيـة, فتحها اللـه عليهـم, فقسـمها علـى أهـل الحديبيـة كلهـم إلا رجلاً واحـدا مـن الأنصار, يقال له: أبو دجانة سماك بن خرشة, كان قد شـهد الحُديبيـة وغـاب عن خَيبر.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله أخبر أنه جعل لرسـوله والـذين كـانوا معـه مـن أهـل بيعـة الرضـوان فتحـا قريبـا مـن دون دخـولهم المسجد الحرام, ودون تصديقه رؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم وكـان صلح الحُديبية وفتح خيبر دون ذلك, ولم يخصص الله تعالى ذكره خـبره ذلـك عن فتح من ذلك دون فتح, بل عمّ ذلك, وذلك كله فتـح جعلـه اللـه مـن دون ذلك.

والصواب أن يعم كما عمه, فيقال: جعل الله من دون تصديقه رؤيا رسول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم بـدخوله وأصـحابه المسـجد الحـرام محلّقيـن رؤوسهم ومقصّرين, لا يخافون المشركين صلح الحُديبية وفتح خيبر.

الآية : 28-29

القول فـي تأويـل قوله تعالى: {هُوَ الّذِيَ أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىَ وَدِينِ الْحَقّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدّينِ كُلّهِ وَكَفَىَ بِاللّهِ شَهِيداً * مّحَمّدٌ رّسُولُ اللّهِ وَالّذِينَ مَعَـهُ أَشِدّآءُ عَلَى الْكُفّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكّعـاً سُـجّداً يَبْتَغُـونَ فَضْـلاً مّـنَ اللّـهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِـي وُجُـوهِهِمْ مّـنْ أَثَـرِ السّـجُودِ ذَلِـكَ مَثَلُهُـمْ فِـي التّـوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىَ عَلَىَ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزّرّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفّارَ وَعَـدَ اللّـهُ الّـذِينَ آمَنُـواْ وَعَمِلُـواْ الصّـالِحَاتِ مِنْهُم مّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً }.

يعني تعالى ذكره بقوله: هُوَ الّذِي أرْسَلَ رَسُولَهُ بالهُدَى وَدِينِ الحَقّ الذي أرسل رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم بالبيان الواضح, وَدِينِ الحَق, وهو الإسلام الذي أرسله داعيا خلقه إليه لِيُظْهِرَهُ عَلى الدّينِ كُلّهِ يقول: ليبطل به الملل كلها, حتى لا يكون دين سواه, وذلك كان كذلك حتى ينزل عيسى ابن مريم, فيقتل الدجال, فحينئذٍ تبطل الأديان كلها, غير, دين الله الذي بعث به محمدا صلى الله عليه وسلم, ويظهر الإسلام على الأديان كلها.

وقوله: وكَفَى باللّهِ شَهِيدا يقول جلّ ثناؤه لنبيه صلى الله عليه وسلم: أشهدك يا محمد ربك على نفسه, أنه سيظهر الدين الذي بعثك به وكَفَى باللّهِ شَهِيدا يقول: وحسبك به شاهدا. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

24461ـ حدثنا ابن حُميد, قال: حدثنا يحيى بن واضح, قال: حدثنا أبو بكر الهُذليّ, عن الحسن هُوَ الّذِي أرْسَلَ رَسُولَهُ بالهُدَى وَدِينِ الحَقّ ليُظْهِرَهُ على الدّينِ كُلّهِ وكَفَى شَهِيدا يقول: أشهد لك على نفسه أنه سيُظْهِر دينك على الدين كله, وهذا إعلام من الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم, والذين كرهوا الصلح يوم الحُديبية من أصحابه, أن الله فاتح عليهم مكة وغيرها من البلدان, مسليهم بذلك عما نالهم من الكآبة والحزن, بانصرافهم عن مكة قبل دخولهموها, وقبل طوافهم بالبيت,

وقوله: مُحَمّدٌ رَسُولُ اللّهِ وَالّذِين مَعَهُ أشِدّاءُ على الكُفّارِ رُحَماءُ بَيْنَهُمْ يقول تعالى ذكره: محمد رسول الله وأتباعه من أصحابه الذين هم معه على دينه, أشدّاء على الكفار, غليظة عليهم قلوبهم, قليلة بهم رحمتهم رُحَماءُ بَيْنَهُمْ يقول: رقيقة قلوب بعضهم لبعض, لينة أنفسهم لهم, هينة عليهم لهم. كما:

24462ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة رُحَماءُ بَيْنَهُمْ ألقى الله في قلوبهم الرحمة, بعضهم لبعض تَرَاهُمْ رُكّعا سُجّدا يقول: تراهم ركعا أحيانا لله في صلاتهم سجدا أحيانا يبتغُونَ فَضْلاً مِنَ اللّهِ يقول: يلتمسون بركوعهم وسجودهم وشدّتهم على الكفار ورحمة بعضهم بعضا, فضلاً من الله, وذلك رحمته إياهم, بأن يتفضل عليهم, فيُدخلهم جنته وَرِضْوَانا يقول: وأن يرضى عنهم ربهم.

وقوله: سِيماهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنَ أثَرِ السّجُودِ يقول: علامتهم في وجوههم من أثر السجود في صلاتهم. ثم اختلف أهل التأويل في السيما الذي عناه الله في هذا الموضع, فقال بعضهم: ذلك علامة يجعلها الله في وجوه المؤمنين يوم القيامة, يعرفون بها لما كان من سجودهم له في الدينا. ذكر من قال ذلك:

24463ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس سِيماهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أثَرِ السّجُودِ قال: صلاتهم تبدو في وجوههم يوم القيامة.

24464ـ حدثنا ابن حُمَيد, قال: حدثنا يحيى بن واضح, قال: حدثنا عبيد الله العتكي, عن خالد الحنفي, قوله: سِيماهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أثَرِ السجُودِ قال: يعرف ذلك يوم القيامة في وجوههم من أثر سجودهم في الدنيا, وهو كقوله: تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النّعِيمِ.

24465ـ حدثني عبيد بن أسباط بن محمد, قال: حدثنا أبي, عن فضيل بن مروزق, عن عطية, في قوله: سِيماهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أثَرِ السّجُودِ قال: مواضع السجود من وجوههم يوم القيامة أشد وجوههم بياضا.

حدثنا محمد بن عمارة, قال: حدثنا عبيد الله بن موسى, قال: أخبرنا ابن فضيل, عن فضيل, عن عطية, بنحوه.
حدثني أبو السائب, قال: حدثنا ابن فضيل, عن فضيل, عن عطية, بنحوه.
حدثنا مجاهد بن موسى, قال: حدثنا يزيد, قال: أخبرنا فضيل, عن عطية, مثله.
24466ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا المعتمر, قال: سمعت شبيبا يقول عن مقاتل بن حيان, قال: سِيماهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السّجُودِ قال: النور يوم القيامة.
24467ـ حدثنا ابن سنان القزاز, قال: حدثنا هارون بن إسماعيل, قال: قال عليّ بن المبارك: سمعت غير واحد عن الحسن, في قوله: سِيماهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ منْ أَثَرِ السّجُودِ قال: بياضا في وجوههم يوم القيامة.
وقال آخرون: بل ذلك سيما الإسلام وسَمْته وخشوعه, وعنى بذلك أنه يرى من ذلك عليهم في الدنيا ذكر من قال ذلك:
24468ـ حدثنا علي, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, في قوله: سِيماهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ قال: السّمْت الحَسَن.
24469ـ قال: ثنا مجاهد, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا الحسن بن عُمارة, عن الحكم, عن مجاهد, عن ابن عباس, في قوله: سِيماهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السّجُودِ قال: أما إنه ليس بالذي تَرَوْن, ولكنه سيما الإسلام وسَحْنته وسَمْته وخشوعه.
24470ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا أبو عامر, قال: حدثنا سفيان, عن حميد الأعرج, عن مجاهد سِيماهُمْ في وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السّجُودِ قال: الخشوع والتواضع.
حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا مؤمل, قال: حدثنا سفيان, عن حميد الأعرج, عن مجاهد, مثله.
قال: ثنا أبو عامر, قال: حدثنا سفيان, عن منصور, عن مجاهد سِيماهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السّجُودِ قال: الخشوع.
24471ـ حدثنا محمد بن المثنى, قال: حدثنا محمد بن جعفر, عن شعبة, عن الحكم, عن مجاهد, في هذه الآية سِيماهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السّجُودِ قال: السّحنْة.
24472ـ حدثنا ابن حُمَيد, قال: حدثنا جرير, عن منصور, عن مجاهد, في قوله: سِيماهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السّجُودِ قال: هو الخشوع, فقلت: هو أثر السجود, فقال: إنه يكون بين عينيه مثل ركبة العَنْز, وهو كما شاء الله.
وقال آخرون: ذلك أثرٍ يكون في وجوه المصلين, مثل أثر السّهَر, الذي يظهر في الوجه مثل الكَلَف والتهيج والصفرة, وما أشبه ذلك مما يظهره السهر والتعب في الوجه, ووجهوا التأويل في ذلك إلى أنه سيما في الدنيا. ذكر من قال ذلك:
24473ـ حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا ابن يمان, عن سفيان, عن رجل, عن الحسن سِيماهُمْ في وجُوُهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السّجُودِ قال: الصفرة.
24474ـ حدثنا ابن عبد الأعلَى, قال: حدثنا المعتمر, عن أبيه, قال: زعم الشيخ الذي كان يقصّ في عُسر, وقرأ سِيماهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السّجُودِ فزعم أنه السّهَر يُرى في وجوههم.

24475ـ حدثنا ابن حُمَيد, قال: حدثنا يعقوب القُمّيّ, عن حفص, عن شَمِر بن عَطية, في قوله: سِيماهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ قال: تهيّج في الوجه من سهر الليل.

وقال آخرون: ذلك آثار ترى في الوجه من ثَرَى الأرض, أو نَدَى الطّهّور. ذكر من قال ذلك:

24476ـ حدثنا حَوْثرة بن محمد المِنقري, قال: حدثنا حماد بن مسعدة وحدثنا ابن حُمَيد, قال: حدثنا جرير جميعا عن ثعلبة بن سهيل, عن جعفر بن أبي المُغيرة, عن سعيد بن جُبير, في قوله: سِيماهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السّجُودِ قال: ثَرى الأرض, ونَدى الطّهُور.

24477ـ حدثنا ابن سنان القزّاز, قال: حدثنا هارون بن إسماعيل, قال: حدثنا عليّ بن المبارك, قال: حدثنا مالك بن دينار, قال: سمعت عكرِمة يقول: سِيماهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السّجُودِ قال: هو أثر التراب.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبرنا أن سيما هؤلاء القوم الذين وصف صفتهم في وجوههم من أثر السجود, ولم يخصّ ذلك على وقت دون وقت. وإذ كان ذلك كذلك, فذلك على كلّ الأوقات, فكان سيماهم الذي كانوا يعرفون به في الدنيا أثر الإسلام, وذلك خشوعه وهديه وزهده وسمته, وآثار أداء فرائضه وتطوّعه, وفي الآخرة ما أخبر أنهم يعرفون به, وذلك الغرّة في الوجه والتحجيل في الأيدي والأرجل من أثر الوضوء, وبياض الوجوه من أثر السجود. وبنحو الذي قلنا في معنى السيما قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

24478ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة سِيماهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السّجُودِ يقول: علامتهم أو أعلمتهم الصلاة.

وقوله: ذلكَ مَثَلُهُمْ فِي التّوْرَاةِ يقول: هذه الصفة التي وصفت لكم من صفة أتباع محمد صلى الله عليه وسلم الذين معه صفتهم في التوراة.

وقوله: وَمَثَلُهُمْ في الإنجِيلِ كَزَرْع أَخْرَجَ شَطْأَهُ يقول: وصفتهم في إنجيل عيسى صفة زرع أخرج شطأه, وهو فراخه, يقال منه: قد أشطأ الزرع: إذا فرّخ فهو يشطىء إشطاء, وإنما مثلهم بالزرع المشطىء, لأنهم ابتدأوا في الدخول في الإسلام, وهم عدد قليلون, ثم جعلوا يتزايدون, ويدخل فيه الجماعة بعدهم, ثم الجماعة بعد الجماعة, حتى كثر عددهم, كما يحدث في أصل الزرع الفرخ منه, ثم الفرخ بعده حتى يكثر وينمى. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

24479ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: حدثنا معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: مُحَمّدٌ رَسُولُ اللّهِ وَالّذِينَ مَعَهُ أصحابه مثلهم, يعني نعتهم مكتوبا في التوراة والإنجيل قبل أن يخلق السموات والأرض.

24480ـ حدثنا ابن حُمَيد, قال: حدثنا يحيى بن واضح, قال: حدثنا عبيد, عن الضحاك مُحَمّدٌ رَسُولُ اللّهِ وَالّذِينَ مَعَهُ أَشِدّاءُ على الكُفّارِ... إلى قوله: ذلكَ مَثَلُهُمْ فِي التّوْرَاةِ ثم قال: وَمَثَلُهُمْ في الإنجيل كَزَرْعَ أَخْرَجَ شَطْأَهُ... الآية.

24481ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة ذلك مَثَلُهُمْ فِي التّوْرَاةِ: أي هذا المثل في التوراة وَمَثَلُهُمْ فِي الإنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فهذا مثل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في الإنجيل.

24482ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة, في قوله: سِيماهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السّجُودِ قال ذلكَ مَثَلُهُمْ فِي التّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شطأَهُ.
24483ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: سيماهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السّجُودِ ذلكَ مَثَلُهُمْ فِي التّوْرَاة يعني السيما في الوجوه مثلهم في التوراة, وليس بمَثَلهم في الإنجيل, ثم قال عزّ وجلّ: وَمَثَلُهُمْ فِي الإنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ... الآية, هذا مثلهم في الإنجيل.
24484ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: سِيماهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السّجُودِ ذلكَ مَثَلُهُمْ فِي التّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ.
24485ـ حدثنا عمرو بن عبد الحميد, قال: حدثنا مروان بن معاوية, عن جُوَيبر, عن الضحاك في قول الله: مُحَمّدٌ رَسُولُ اللّهِ وَالّذِينَ مَعَهُ... الآية, قال: هذا مثلهم في التوراة, ومثل آخر في الإنجيل كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فآزَرَهُ الآية.
وقال آخرون: هذان المَثَلان في التوراة والإنجيل مثلهم. ذكر من قال ذلك:
24486ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قوله: ذلكَ مَثَلُهُمْ فِي التّوْرَاةِ والإنجيل واحد.
وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: مثلهم في التوراة, غير مثَلهم في الإنجيل, وإن الخبر عن مَثلهم في التوراة متناهٍ عند قوله: ذلكَ مَثَلُهُمْ فِي التّوْرَاةِ وذلك أن القول لو كان كما قال مجاهد من أن مثلهم في التوراة والإنجيل واحد, لكان التنزيل: ومثلهم في الإنجيل, وكزرع أخرج شطأه, فكان تمثيلهم بالزرع معطوفا على قوله: سِيماهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السّجُودِ حتى يكون ذلك خبرا عن أن ذلك مَثلهم في التوراة والإنجيل, وفي مجيء الكلام بغير واو في قوله: كَزَرْعٍ دليل بَيّن على صحة ما قُلنا, وأن قولهم وَمَثَلُهُمْ فِي الإنجِيلِ خبر مبتدأ عن صفتهم التي هي في الإنجيل دون ما في التوراة منها. وبنحو الذي قلنا في قوله أَخْرَجَ شَطْأَهُ قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
24487ـ حدثني يحيى بن إبراهيم المسعوديّ, قال: حدثنا أبي, عن أبيه, عن جدّه, عن الأعمش, عن خيثمة, قال: بينا عبد الله يقرىء رجلاً عند غروب الشمس, إذ مرّ بهذه الآية كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ قال: أنتم الزرع, وقد دنا حصادكم.
24488ـ قال: ثنا يعقوب بن إبراهيم, قال: حدثنا ابن علية, عن حُميد الطويل, قال: قرأ أنس بن مالك: كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فآزَرَهُ قال: تدرون ما شطأه؟ قال: نباته.
24489ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: ذلكَ مَثَلُهُمْ فِي التّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ قال: سنبله حين يتسلع نباته عن حباته.
24490ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وَمَثَلُهُمْ فِي الإنجيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ قال: هذا مثل أصحاب محمد صلى الله عليه

وسلم في الإنجيل, قيل لهم: إنه سيخرج قوم ينبتون نبات الزرع, منهم قـوم يأمرون بالمعروف, وينهوّن عن المنكر.

24491ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة والزهريّ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ قالا: أخرج نباته.
24492ـ حُدّثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقـول: أخبرنـا عبيـد, قال: سمعت الضحاك يقـول فـي قـوله: وَمَثَلُهُـمْ فِـي الإنْجِيـلِ كَـزَرْعٍ أَخْـرَجَ شَـطْأَهُ يعنـي: أصـحاب محمـد صـلى اللـه عليـه وسـلم, يكونـون قلـيلاً, ثـم يزدادون ويكثرون ويستغلظون.
24493ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قـال ابـن زيـد, فـي قوله: كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ أولاده, ثم كثرت أولاده.
24494ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبـي نجيح, عن مجاهد, في قوله: كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ قال: ما يخرج بجنب الحقلة فيتمّ وينمى.
وقوله: فآزَرَهُ يقـول: فقـوّاه: أي قـوّى الـزرعَ شـطأه وأعـانه, وهـو مـن المؤازرة التي بمعنى المعاونة فاسْتَغْلَظَ يقول: فغلظ الـزرع فاسْـتَوَى علـى سُوقِهِ والسوق: جمع ساق, وساق الزرع والشجر: حاملته. وبنحو الذي قلنـا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
24495ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, فآزَرَهُ يقـول: نبـاته مـع التفـافه حيـن يسـنبل ذلكَ مَثَلُهُمْ فِي التّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإنْجِيلِ فهو مثل ضـربه لأهـل الكتـاب إذا خرج قوم ينبتـون كمـا ينبـت الـزرع فيبلـغ فيهـم رجـل يـأمرون بـالمعروف, وينهون عن المنكر, ثم يغلظون, فهم أولئـك الـذين كـانوا معهـم. وهـو مَثـل ضربه الله لمحمد صلى الله عليه وسلم يقـول: بعـث اللـه صـلى اللـه عليـه وسلم وحده, ثم اجتمع إليه ناس قليل يؤمنون بـه, ثـم يكـون القليـل كـثيرا, ويستغلظون, ويغيظ الله بهم الكفار.
24496ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبـي نجيح, عن مجاهد, في قوله فآزَرَهُ قال: فشدّه وأعانه.
وقوله: عَلى سُوقِهِ قال: أصوله.
24497ـ حدثني ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة والزهري فآزَرَهُ فاسْتَغْلَظ فاسْتَوَى عَلى سُوقِهِ يقول: فتلاحق.
24498ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قـال ابـن زيـد, فـي قوله: فآزَرَهُ اجتمع ذلك فالتفّ قـال: وكـذلك المؤمنـون خرجـوا وهـم قليـل ضعفاء, فلم يزل اللـه يزيـد فيهـم, ويؤيـدهم بالإسـلام, كمـا أيّـد هـذا الـزرع بأولاده, فآزره, فكان مثلاً للمؤمنين.
24499ـ حدثني عمرو بن عبد الحميد, قال: حدثنا مروان بن معاوية, عن جُوَيبر, عن الضـحاك كَـزَرْعٍ أَخْـرَجَ شَـطْأَهُ فـآزَرَهُ فاسْـتَغْلَظَ فاسْـتَوَى عَلـى سُوقِهِ يقول: حبّ برّ نُثِرَ متفرّقا, فتنبت كلّ حبة واحدة, ثم أنبتت كلّ واحـدة منها, حتى استغلظ فاستوى على سوقه قـال: يقـول: كـان أصـحاب محمـد صلى الله عليه وسلم قليلاً, ثم كثروا, ثم استغلظوا لِيَغِيظَ الله بِهِمُ الكُفّارَ.

وقوله: يُعْجِبُ الزّرّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الكُفّارَ يقول تعالى ذكره: يعجب هذا الزرعُ الذي استغلظ فاستوى على سوقه في تمامه وحُسن نباته, وبلوغه وانتهائه الذين زرعوه لِيَغِيظَ بِهِمُ الكُفّارَ يقول: فكذلك مَثل محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه, واجتماع عددهم حتى كثروا ونموا, وغلظ أمرهم كهذا الزرع الذي وصف جلّ ثناؤه صفته, ثم قال: لِيَغِيظَ بِهِمُ الكُفّارِ فدلّ ذلك على متروك من الكلام, وهو أن الله تعالى فعل ذلك بمحمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه ليغيظ بهم الكفار. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

24500ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس: لِيَغِيظَ بِهِمُ الكُفّارَ يقول الله: مثلهم كمثل زرع أخرج شطأه فآزَره, فاستغلظ, فاستوى على سوقه, حتى بلغ أحسن النبات, يُعْجِب الزرّاع من كثرته, وحُسن نباته.

24501ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: يُعْجِبُ الزرّاع قال: يعجب الزرّاع حُسنه لِيَغِيظَ بِهِمُ الكُفّارَ بالمؤمنين, لكثرتهم, فهذا مثلهم في الإنجيل.

وقوله: وَعَدَ اللّهُ الّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصّالِحاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وأجْرا عَظِيما يقول تعالى ذكره: وعد الله الذين صدّقوا الله ورسوله وعَمِلُوا الصّالِحاتِ يقول: وعملوا بما أمرهم الله به من فرائضه التي أوجبها عليهم.

وقوله: مِنْهُمْ يعني: من الشطء الذي أخرجه الزرع, وهم الداخلون فِي الإسلام بعد الزرع الذي وصف ربنا تبارك وتعالى صفته. والهاء والميم في قوله مِنْهُمْ عائدة على معنى الشطء لا على لفظه, ولذلك جمع فقيل: «منهم», ولم يقل «منه». وإنما جمع الشطء لأنه أريد به من يدخل في دين محمد صلى الله عليه وسلم إلى يوم القيامة بعد الجماعة الذين وصف الله صفتهم بقوله: وَالّذِين مَعَهُ أشِدّاءُ عَلى الكُفّارِ رُحَماءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُم رُكّعا سُجّدا.

وقوله وَمَغْفِرَةً يعني: عفوا عما مضى من ذنوبهم, وسيىء أعمالهم بحسنها. وقوله: وأجْرا عَظيما يعني: وثوابا جزيلاً, وذلك الجنة.

سورة الحجرات

سورة الحجرات مدنية
وآياتها ثماني عشرة

بسم الله الرحمَن الرحيم

الآية : 1

القول في تأويل قوله تعالى: {يَأَيّهَا الّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُقَدّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ اللّهِ وَرَسُولِهِ وَاتّقُواْ اللّهَ إِنّ اللّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ }.

يعني تعالى ذكره بقوله: يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا: يا أيها الذين أقروا بوحدانية الله, وبنبوّة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم لا تُقَدّمُوا بَينَ يَدَي اللّهَ وَرَسُولِهِ يقول: لا تعجلوا بقضاء أمر في حروبكم أو دينكم, قبل أن يقضي الله لكم فيه ورسوله, فتقضوا بخلاف أمر الله وأمر رسوله, محكيّ عن العرب فلان يقدّم بين يدي إمامه, بمعنى يعجل بالأمر والنهي دونه. وبنحو الذي قلنا في

ذلك قال أهل التأويل وإن اختلفت ألفاظهم بالبيان عن معناه ذكـر مـن قـال ذلك:

24502ـ حدثنا عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاويـة, عـن علـيّ, عن ابن عباس, قوله: لا تُقَدّموا بينَ يَدَي اللّهِ وَرَسُولِهِ يقول: لا تقولوا خلاف الكتاب والسنة.

24503ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, في قوله يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدّمُوا بَينَ يَدَي اللّهِ ورَسُولِهِ... الآية قال: نُهُوا أن يتكلموا بين يدي كلامه.

24504ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبـي نجيح, عن مجاهد, في قـوله: يـا أيّهـا الّـذِينَ آمَنُـوا لا تُقَـدّمُوا بَيـنَ يَـدَي اللّـهِ وَرَسُولِهِ قال: لا تفتاتوا على رسول الله صلى الله عليه وسـلم بشـيء حـتى يقضيه الله على لسانه.

24505ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة يا أيّها الّذينَ آمَنُوا لا تُقَدّمُوا بَينَ يَدَي اللّهِ وَرَسُولِهِ ذُكر لنا أن ناسا كانوا يقولون: لو أنزل في كذا لوضع كذا وكذا, قال: فكره الله عزّ وجلّ ذلك, وقدم فيه.

24506ـ وقال: الحسن: أناس من المسلمين ذبحوا قبل صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم النحر, فأمرهم نبيّ الله صلى الله عليه وسـلم أن يعيدوا ذبحا آخر.

حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة, في قوله يا أيّها الّذِينَ آمَنُـوا لا تُقَـدّمُوا بَيـنَ يَـدَي اللّـهِ وَرَسُـولِهِ قـال: إن أُناسـا كـانوا يقولون: لو أنزل في كذا, لو أنزل في كذا, وقـال الحسـن: هـم قـوم نحـروا قبل أن يصلي النبيّ صلى الله عليه وسلم, فـأمرهم النـبيّ صـلى اللـه عليـه وسلم أن يعيدوا الذبح.

24507ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقـول: أخبرنـا عبيـد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدّمُوا بَيـنَ يَـدَي اللّهِ وَرَسُولِهِ يعني بذلك في القتال, وكان من أمورهم لا يصلح أن يُقْضَـى إلا بأمره ما كان من شرائع دينهم.

24508ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قـال ابـن زيـد, فـي قوله جلّ ثناؤه: يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدّمُوا بَينَ يَـدَي اللّـهِ وَرَسُـولِهِ قـال: لا تقطعوا الأمر دون الله ورسوله.

24509ـ حدثنا ابن حُمَيد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدّمُوا بَينَ يَدَي اللّهِ وَرَسُولِهِ قال: لا تقضوا أمرا دون رسول اللـه, وبضـم التاء من قوله: لا تُقَدّمُوا قرأ قـرّاء الأمصـار, وهـي القـراءة الـتي لا أسـتجيز القراءة بخلافها, لإجماع الحجـة مـن القـرّاء عليهـا, وقـد حكـي عـن العـرب قدّمت في كذا, وتقدّمت في كذا, فعلى هذه اللغة لو كان قيل: «لا تَقَدّمُوا» بفتح التاء كان جائزا.

وقوله: وَاتّقُوا اللّهَ إنّ اللّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ يقول: وخافوا الله أيها الذين آمنـوا في قولكم, أن تقولوا ما لم يأذن لكم به الله ولا رسوله, وفي غير ذلـك مـن أموركم, وراقبوه, إن الله سميع لما تقولون, عليـم بمـا تريـدون بقـولكم إذا قلتم, لا يخفى عليه شيء من ضمائر صدوركم, وغير ذلك من أموركم وأمور غيركم.

الآية : 2

القول في تأويل قوله تعالى: {يَأَيّهَا الّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَرْفَعُوَاْ أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النّبِيّ وَلاَ تَجْهَرُواْ لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تَشْعُرُونَ }.

يقول تعالى ذكره: يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله, لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت رسول الله تتجهموه بالكلام, وتغلظون له في الخطاب وَلا تجْهَرُوا لَهُ بالقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ يقول: ولا تنادوه كما ينادي بعضكم بعضا: يا محمد, يا محمد, يا نبيّ الله, يا نبي الله, يا رسول الله. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

24510ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قوله: وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بالقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ, قال لا تنادُوه نداء, ولكن قولاً لينا يا رسول الله.

24511ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بالقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ كانوا يجهرون له بالكلام, ويرفعون أصواتهم, فوعظهم الله, ونهاهم عن ذلك.

حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة, كانوا يرفعون, ويجهرون عند النبيّ صلى الله عليه وسلم, فوعظوا, ونهوا عن ذلك.

24512ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النّبِيّ... الآية, هو كقوله: لا تَجْعَلُوا دُعاءَ الرّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضا نهاهم الله أن ينادوه كما ينادي بعضهم بعضا وأمرهم أن يشرّفوه ويعظّموه, ويدعوه إذا دعوه باسم النبوّة.

24513ـ حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا زيد بن حباب, قال: حدثنا أبو ثابت بن ثابت قيس بن الشماس, قال: ثني عمي إسماعيل بن محمد بن ثابت بن شماس, عن أبيه, قال: لما نزلت هذه الآية لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النّبِيّ وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بالقَوْلِ قال: قعد ثابت في الطريق يبكي, قال: فمرّ به عاصم بن عديّ من بني العَجلان, فقال: ما يُبكيك يا ثابت؟ قال: لهذه الآية, أتخوّف أن تكون نزلت فيّ, وأنا صيّت رفيع الصوت قال: فمضى عاصم بن عديّ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم, قال: وغلبه البكاء, قال: فأتى امرأته جميلة ابنة عبد الله بن أبيّ ابن سلول, فقال لها: إذا دخلتُ بيت فرسي, فشدّى على الضبة بمسمار, فضربته بمسمار حتى إذا خرج عطفه وقال: لا أخرج حتى يتوفاني الله, أو يرضى عني رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: وأتى عاصم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره خبره, فقال: «اذْهَبْ فادْعُهُ لي» فجاء عاصم إلى المكان, فلم يجده, فجاء إلى أهله, فوجده في بيت الفرس, فقال له: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوك, فقال: اكسر الضّبة, قال: فخرجا فأتيا نبيّ الله صلى الله عليه وسلم, فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما يُبْكِيكَ يا ثابِتُ»؟ فقال: أنا صيّت, وأتخوّف أن تكون هذه الآية نزلت فيّ لا تَرْفَعوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النّبِيّ وَلا تَجْهَرُوا لَهُ القَولِ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أما تَرْضَى أنْ تَعِيشَ حَميدا, وتَقْتَلَ شَهيدا, وَتَدْخُلَ

الجَنّةَ»؟ فقال: رضيت ببُشرى الله ورسوله, لا أرفع صوتي أبداعلى رسـول الله, فأنزل الله إنّ الّذِينَ يَغُضّـونَ أصـوَاتَهُمْ عِنْـدَ رَسُـولِ اللّـهِ أُولَئِـكَ الّـذِينَ امْتَحَنَ اللّهُ قُلُوبَهُمْ للتّقْوَى... الآية.

24514ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا يعقوب, عن حفص, عـن شـمر بـن عطية, قال: جاء ثابت بن قيس بن الشماس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو محزون, فقال: «يا ثابت ما الـذي أرى بـك»؟ فقـال: آيـة قرأتهـا الليلـة, فأخشـى أن يكـون قـد حَبِـط عملـي يـا أيّهـا الّـذِين آمَنُـوا لا تَرْفَعُـوا أصْواتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النّبِيّ وكان في أذنه صمم, فقال: يا نبيّ الله أخشى أن أكون قد رفعت صوتي, وجهرت لك بالقول, وأن أكون قد حبط عملـي, وأنـا لا أشعر: فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم: «امْشِ على الأرْضِ نَشِيطا فإنّكَ مِنْ أهْلِ الجَنّةِ».

24515ـ حدثني يعقوب بن إبراهيم, قال: حـدثنا ابـن عليـه, قـال: حـدثنا أيوب, عن عكرِمة, قال: لما نزلت: يا أيّهـا الّـذِينَ آمَنُـوا لا تَرْفَعُـوا أصْـوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النّبِيّ... الآية, قال ثابت بن قيس: فأنـا كنـت أرفـع صـوتي فـوق صوت النبيّ صلى الله عليه وسلم, وأجهر لـه بـالقول, فأنـا مـن أهـل النـار, فقعد في بيته, فتفقده رسول الله صلى الله عليه وسلم, وسأل عنه, فقــال رجل: إنه لجاري, ولئن شئت لأعلمنّ لك علمه, فقال: «نعم», فأتاه فقــال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تفقدك, وسأل عنـك, فقـال: نزلـت هذه الآية يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النّبِيّ... الآية وأنــا كنت أرفع صوتي فوق صوت رسول الله صلى الله عليـه وسـلم, وأجهـر لـه بالقول, فأنا من أهل النار, فرجع إلـى رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم فأخبره, فقال: «بَلْ هُوَ مِنْ أهْلِ الجَنّةِ» فلما كان يوم اليمامة انهزم النـاس, فقال: «أفّ لهؤلاء وما يعبدون, وأفّ لهؤلاء وما يصنعون», يا معشر الأنصار خلوا لي بشيء لعلي أصلى بحرّها ساعة قال: ورجل قائم على ثلمـة, فقتـل وقُتِل.

24516ـ حدثنا ابن عبد الأعلـى, قـال: حـدثنا ابـن ثـور, عـن معمـر, عـن الزّهريّ, أن ثابت بن قيس بن شماس, قال: لمـا نزلـت لا تَرْفَعُـوا أصْـوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النّبِيّ قال: يا نبيّ الله, لقد خشيت أن أكون قد هلكت, نهانا اللـه أن نرفع أصواتنا فوق صوتك, وإني امرؤ جهير الصوت, ونهى اللـه المـرء أن يحبّ أن يُحمد بما لم يفعل, فأجدني أحـبّ أن أحمـد ونهـى اللـه عـن الخُيَلاء وأجدني أحبّ الجمال قال: فقال له رسول الله صلى الله عليـه وسـلم: «يـا ثابِتُ أما تَرْضَى أنْ تَعيـشَ حَمِيـدا, وَتُقْتَـلَ شَـهِيدا, وَتَـدْخُلَ الجَنّـةَ؟» فعـاش حميدا, وقُتل شهيدا يوم مُسَيلمة.

24517ـ حدثني عليّ بن سهل, قال: حدثنا مؤمل, قـال: حـدثنا نـافع بـن عمر بن جُميْل الجمحي, قال: ثني أبن أبي مليكة, عن الزبيـر, قـال: «قـدم وفد أراه قال تميم, علـى النـبيّ صـلى اللـه عليـه وسـلم, منهـم الأقـرع بـن حابس, فكلم أبو بكر النبيّ صلى الله عليه وسـلم أن يسـتعمله علـى قـومه, قال: فقال عمر: لا تفعل يا رسول الله, قال: فتكلما حتى ارتفعت أصواتهما عند النبيّ صلى الله عليـه وسـلم, قـال: فقـال أبـو بكـر لعمـر: مـا أردت إلا خلافي, قال: ما أردت خلافـك. قـال: ونـزل القـرآن: يـا أيّهـا الّـذِينَ آمَنـوا لا تَرْفَعوا أصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النّبِيّ... إلى قوله: وأجْرٌ عَظِيمٌ قال: فما حـدّث

عمر النبيّ صلى الله عليه وسلم بعد ذلك, فَيُسْمِعَ النبيّ صلى الله عليه وسلم, قال: وما ذكر ابن الزبير جدّه, يعني أبا بكر.
وقوله: أَنْ تَحْبَطَ أَعمالُكُمْ يقول: أن لا تحبط أعمالكم فتذهب باطلة لا ثواب لكم عليها, ولا جزاء برفعكم أصواتكم فوق صوت نبيكم, وجهركم له بالقول كجهر بعضكم لبعض.
وقد اختلف أهل العربية في معنى ذلك, فقال بعض نجوّيي الكوفة: معناه: لا تحبط أعمالكم. قال: وفيه الجزم والرفع إذا وضعت «لا» مكان «أن». قال: وهي في قراءة عبد الله «فَتَحْبَطُ أعمالُكُمْ» وهو دليل على جواز الجزم, وقال بعض نحويي البصرة: قال: أن تحبط أعمالكم: أي مخافة أن تحبط أعمالكم وقد يقال: أسند الحائط أن يميل.
وقوله: وأَنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ يقول: وأنتم لا تعلمونً ولا تدورن.

الآية : 3

القول في تأويل قوله تعالى: {إِنّ الّذِينَ يَغُضّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللّهِ أُوْلَـَئِكَ الّذِينَ امْتَحَنَ اللّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىَ لَهُم مّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ }.
يقول تعالى ذكره: إن الذين يكفون رفع أصواتهم عند رسول الله, وأصل الغضّ: الكفّ في لين. ومنه: غضّ البصر, وهو كفه عن النظر, كما قال جرير:
فَغُضّ الطّرْفَ إنّكَ مِنْ نُمَيْرٍ فَلا كَعْبا بَلَغْتَ وَلا كِلابا
وقوله: أُولَئِكَ الّذِينَ امْتَحَنَ اللّهُ قُلُوبَهُمْ للتّقْوى يقول تعالى ذكره: هؤلاء الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله, هم الذين اختبر الله قلوبهم بامتحانه إياها, فاصطفاها وأخلصها للتقوى, يعني لاتقائه بأداء طاعته, واجتناب معاصيه, كما يمتحن الذهب بالنار, فيخلص جيدها, ويبطل خبثها. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
24518ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: امْتَحَنَ اللّهُ قُلُوبَهُمْ قال: أخلص.
24519ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة, في قوله: امْتَحَنَ اللّهُ قُلُوبَهُمْ قال: أخلص الله قلوبهم فيما أحبّ.
وقوله: لَهُمْ مَغْفِرَةٌ يقول: لهم من الله عفو عن ذنوبهم السالفة, وصفح منه عنها لهم وأَجْرٌ عَظِيمٌ يقول: وثواب جزيل, وهو الجنة.

الآية : 4-5

القول في تأويل قوله تعالى: {إَنّ الّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ * وَلَوْ أَنّهُمْ صَبَرُواْ حَتّىَ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْراً لّهُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رّحِيمٌ }.
يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: إن الذين ينادونك يا محمد من وراء حجراتكِ, والحجرات: جمع حجرة, والثلاث: حُجَر, ثم تجمع الحجر فيقال: حَجُرات وحُجْرات, وقد تجمع بعض العرب الحجر: حَجَرات بفتح الجيم, وكذلك كلّ جمع كان من ثلاثة إلى عشرة على فُعَلٍ يجمعونه على فعَلات بفتح ثانيه, والرفع أفصح وأجود ومنه قول الشاعر:
أما كانَ عَبّادٌ كَفِيئا لِدَارِمبَلى, وَلأبْيَاتٍ بِها الحُجُرَاتُ
يقول: بلى ولبني هاشم.

وقوله: وأكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُون يقول: أكثرهم جهال بدين الله, واللازم لهم من حقك وتعظيمك. وذُكر أن هذه الآية والتي بعدها نزلت في قوم من الأعـراب جاؤوا ينادون رسول الله صلى الله عليه وسلم مـن وراء حجراتـه: يـا محمـد اخرج إلينا. ذكر الرواية بذلك:

24520ـ حدثنا أبو عمار المروزي, والحسن بن الحارث, قالا: حدثنا الفضل بن موسى, عن الحسين بن واقد, عن أبي إسحاق, عن البراء في قـوله: إنّ الّذِينَ يُنادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الحُجُرَات قال: جاء رجل إلى النبيّ صـلى اللـه عليـه وسلم, فقال: يا محمد إنْ حمدي زيـن, وإن ذمّـي شـين, فقـال: «ذَاكَ اللّـهُ تَبارَكَ وتَعَالى».

حدثنا ابن حُمَيد, قال: حدثنا يحيى بن واضح, قال: حدثنا الحسين, عن أبي إسحاق, عن البراء بمثله, إلا أنه قال: ذاكم الله عزّ وجلّ.

24521ـ حدثنا الحسن بن عرفة, قال: حدثنا المعتمر بن سليمان التيمي, قال: سمعت داود الطّفاوي يقول: سمعت أبا مسلم البجلي يحدّث عـن زيـد بن أرقم, قال: جاء أناس من العرب إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم, فقـال بعضهم لبعض: انطلقوا بنا إلى هذا الرجل, فإن يكن نبيا فنحن أسـعد النـاس به, وإن يكن ملِكا نعش في جناحه قال: فأتيت النبيّ صلى الله عليه وسـلم, فأخبرته بذلك, قال: ثم جاؤوا إلى حجر النبيّ صلى الله عليه وسلم, فجعلـوا ينادونه. يا محمد, فأنزل الله علـى نـبيه صـلى اللـه عليـه وسـلم: إنّ الّـذِينَ يُنادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الحُجُرَاتِ أكْثَرُهُـمْ لا يَعْقِلُـون قـال: فأخـذ نـبيّ اللـه بـأذني فمدّها, فجعل يقول: «قَدْ صَدّقَ اللّهُ قَوْلَكَ يا زَيْـدُ, قَـدْ صَـدّقَ اللّـهُ قَوْلَـكَ يـا زَيْدُ».

24522ـ حدثنا الحسن بن أبي يحيى المقدمي, قال: حـدثنا عفـان, قـال: حدثنا وُهَيب, قال: حدثنا موسى بن عقبة, عن أبي سَلَمة, قال: ثنـي الأقـرع بن حابس التميميّ أنه أتى النبيّ صلى اللـه عليـه وسـلم, فنـاداه, فقـال: يـا محمد إنّ مدحي زَيْن, وإنّ شتمي شَيْن فخـرج إليـه النـبيّ صـلى اللـه عليـه وسـلم فقـال: «وَيْلَـكَ ذلـكَ اللّـهُ» فـأنزل اللـه إنّ الّـذِينَ يُنادُونَـكَ مِـنْ وَرَاء الحُجُرَاتِ... الآية.

24523ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبـي نجيح, عن مجاهد, قوله: إنّ الّذِينَ يُنادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الحُجُـرَاتِ: أعـراب بنـي تميم.

24524ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة أن رجلاً جاء إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم, فناداه من وراء الحُجَر, فقال: يا محمد إنْ مدحي زين, وإنّ شتمي شَيْن فخرج إليه النـبيّ صـلى اللـه عليـه وسـلم, فقـال: «وَيْلَـكَ ذلـكَ اللّـهُ فـأنزل اللـه إنّ الّـذِينَ يُنادُونَـكَ مِـنْ وَرَاءِ الحُجُرَاتِ أكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ.

24525ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة قوله: إنّ الّذِينَ يُنادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الحُجُرَاتِ... الآية, ذُكر لنا أن رجلاً جعل ينـادي يـا نبيّ الله يا محمـد, فخـرج إليـه النـبيّ صـلى اللـه عليـه وسـلم, فقـال: «مـا شأنُكَ»؟ فقال: والله إنّ حمده لزين, وإنّ ذمّه لشَيْن, فقال نبيّ صـلى اللـه عليه وسلم: «ذَاكُمُ اللّهُ», فأدبر الرجل, وذُكر لنا أن الرجل كان شاعرا.

24526ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, عن حبيب بن أبي عمرة, قال: كان بشر بن غالب ولَبيد بن عُطارد, أو بشر بن عُطارد ولبيد بن غالب, وهما عند الحجاج جالسان, يقول بشر بن غالب للبيد بن عطارد نزلت في قومك بني تميم إنّ الّذِينَ يُنادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الحُجُرَاتِ فذكرت ذلك لسعيد بن جُبَير, فقال: أما إنه لو علم بآخر الآية, أجابه: يَمُنّون عَلَيْكَ أنْ أسْلَمُوا قالوا: أسلمنا, ولم يقاتلك بنو أسد.

24527ـ حدثنا ابن حُمَيد, قال: حدثنا مهران, عن المبارك بن فضالة, عن الحسن, قال: «أتى أعرابيّ إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم من وراء حجرته, فقال: يا محمد, يا محمد فخرج إليه النبيّ صلى الله عليه وسلم فقال: «مالَكَ مالَكَ», فقال: تعلم أنْ مدحي لزين, وأن ذمّي لشين, فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم: «ذَاكُمُ اللّهُ», فنزلت يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أصْوَاتَكُمْ فَوقَ صَوْتِ النّبِيّ».

واختلفت القرّاء في قراءة قوله: مِنْ وَرَاءِ الحُجُرَاتِ فقرأته قرّاء الأمصار بضمّ الحاء والجيم من الحُجُرات, سوى أبي جعفر القارىء, فإنه قرأ بضم الحاء وفتح الجيم على ما وصفت من جمع الحُجْرة حُجَر, ثم جمع الحُجَر: حُجَرات.

والصواب من القراءة عندنا الضم في الحرفين كليهما لما وصفت قبل.

وقوله: وَلَوْ أنّهُمْ صَبَرُوا حتى تَخْرُجَ إلَيْهِمْ لَكانَ خَيْرا لهُمْ يقول تعالى ذكره: ولو أن هؤلاء الذين ينادونك يا محمد من وراء الحجرات صبروا فلم ينادوك حتى تخرج إليهم إذا خرجت, لكان خيرا لهم عند الله, لأن الله قد أمرهم بتوقيرك وتعظيمك, فهم بتركهم نداءك تاركون ما قد نهاهم الله عنه, واللّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ يقول تعالى ذكره: الله ذو عفو عمن ناداك من وراء الحجاب, إن هو تاب من معصية الله بندائك كذلك, وراجع أمر الله في ذلك وفي غيره رحيم به أن يعاقبه على ذنبه ذلك من بعد توبته منه.

الآية : 6

القول في تأويل قوله تعالى: {يَأَيّهَا الّذِينَ آمَنُوَاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُ بِنَبَإٍ فَتَبَيّنُوَاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمَا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىَ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ}.

يقول تعالى ذكره: يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله إنْ جاءَكُمْ فاسِقٌ بِنَبَإٍ عن قوم فَتَبَيّنُوا.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله: فَتَبَيّنُوا فقرأ ذلك عامة قرّاء أهل المدينة «فَتَثَبّتُوا» بالثاء, وذُكر أنها في مصحف عبد الله منقوطة بالثاء. وقرأ ذلك بعض القرّاء فتبيّنوا بالباء, بمعنى: أمهلوا حتى تعرفوا صحته, لا تعجلوا بقبوله, وكذلك معنى «فَتَثَبّتُوا».

والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان معروفتان متقاربتا المعنى, فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب. وذُكر أن هذه الآية نزلت في الوليد بن عقبة بن أبي مُعَيط. ذكر السبب الذي من أجله قيل ذلك:

24528ـ حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا جعفر بن عون, عن موسى بن عبيدة, عن ثابت مؤلى أمّ سلمة, عن أمّ سلمة, قالت: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً في صدقات بني المصطلق بعد الوقعة, فسمع بذلك القوم, فتلقوه يعظمون أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم, قال: فحدّثه الشيطان أنهم يريدون قتله, قالت: فرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم, فقال: إن بني المصطلق قد منعوا صدقاتهم, فغضب رسول

الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون قال: فبلغ القوم رجوعه قال: فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فصفوا له حين صلى الظهر فقالوا: نعوذ بالله من سخط الله وسخط رسوله بعثت إلينا رجلاً مصدّقا, فسررنا بذلك, وقرّت به أعيننا, ثم إنه رجع من بعض الطريق, فخشينا أن يكون ذلك غضبا من الله ومن رسوله, فلم يزالوا يكلمونه حتى جاء بلال, وأذّن بصلاة العصر قال: ونزلت يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا إنْ جاءَكُمْ فاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيّنُوا أنْ تُصِيبُوا قَوْما بِجَهالَةٍ فَتُصْبِحُوا على ما فَعَلْتُمْ نادِمِينَ.

24529ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا إنْ جاءَكُمْ فاسِقٌ بِنَبَإٍ... الآية, قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث الوليد بن عقبة بن أبي معيط, ثم أحد بني عمرو بن أمية, ثم أحد بني أبي معيط إلى بني المصطلق, ليأخذ منهم الصدقات, وإنه لما أتّاهم الخبر فرحوا, وخرجوا لِيَتَلقّوْا رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم, وإنه لما حدّث الوليد أنهم خرجوا يتلقونه, رجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم, فقال: يا رسول الله إن بني المصطلق قد منعوا الصدقة, فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم غضبا شديدا, فبينما هو يحدّث نفسه أن يغزوهم, إذ أتاه الوفد, فقالوا: يا رسول الله, إنا حدّثنا أن رسولك رجع من نصف الطريق, وإنا خشينا أن يكون إنما ردّه كتاب جاءه منك لغضب غضبته علينا, وإنا نعوذ بالله من غضبه وغضب رسوله, فأنزل الله عذرهم في الكتاب, فقال يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا إنْ جاءَكُمْ فاسِقٌ بِنَبإٍ فَتَبَيّنُوا أنْ تُصِيبُوا قَوْما بِجَهالَةٍ فَتُصْبِحُوا على ما فَعَلْتُمْ نادِمِينَ.

24530ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد في قوله: إنْ جاءَكُمْ فاسِقٌ بِنَبَإٍ قال: الوليد بن عقبة بن أبي معيط, بعثه نبيّ الله صلى الله عليه وسلم إلى بني المصطلق, ليصدّقهم, فتلقوه بالهدية فرجع إلى محمد صلى الله عليه وسلم, فقال: إن بني المصطلق جمعت لتقاتلك.

24531ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا إنْ جاءَكُمْ فاسِقٌ بِنَبَإٍ... حتى بلغ بِجَهالَةٍ وهو ابن أبي معيط الوليد بن عقبة, بعثه نبيّ الله صلى الله عليه وسلم مصدّقا إلى بني المصطلق, فلما أبصروه أقبلوا نحوه, فهابهم, فرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم, فأخبره أنهم قد ارتدّوا عن الإسلام, فبعث نبيّ الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد, وأمره أن يتثبّت ولا يعجل, فانطلق حتى أتاهم ليلاً, فبعث عيونه فلما جاؤوا أخبروا خالدا أنهم مستمسكون بالإسلام, وسمعوا أذانهم وصلاتهم, فلما أصبحوا أتاهم خالد, فرأى الذي يعجبه, فرجع إلى نبيّ الله صلى الله عليه وسلم, فأخبره الخبر, فأنزل الله عزّ وجلّ ما تسمعون, فكان نبيّ الله يقول: «التّبَيّنُ مِنَ اللّهِ, والعَجَلَةُ مِنَ الشّيْطانِ».

حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا إنْ جاءكُمْ فاسِقٌ بِنَبَإٍ فذكر نحوه.

24532ـ حدثنا محمد بن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن هلال الوزّان, عن ابن أبي ليلى, في قوله: يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا إنْ جاءكُمْ فاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيّنُوا قال: نزلت في الوليد بن عقبة بن أبي معيط.

حدثنا ابن حُمَيد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, عن حُمَيد, عن هلال الأنصاري, عن عبد الرحمن ابن أبي ليلى إنْ جاءَكُمْ فاسِقٌ بِنَبَإٍ قال: نزلت في الوليد بن عقبة حين أرسل إلى بني المصطلق.

24533ـ قال: ثنا سلمة, قال: حدثنا محمد بن إسحاق, عن يزيد بن رومان, أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث إلى بني المصطلق بعد إسلامهم, الوليد بن أبي معيط فلما سمعوا به ركبوا إليه فلما سمع بهم خافهم فرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم, فأخبره أن القوم قد همّوا بقتله, ومنعوا ما قِبَلهم من صدقاتهم, فأكثر المسلمون في ذكر غزوهم حتى همّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يغزوهم, فبينما هم في ذلك قَدِم وفدهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم, فقالوا: يا رسول الله سمعنا برسولك حين بعثته إلينا, فخرجنا إليه لنكرمه, ولنؤدّي إليه ما قبلنا من الصدقة, فاستمرّ راجعا, فبلغنا أنه يزعم لرسول الله صلى الله عليه وسلم أنا خرجنا إليه لنقاتله, ووالله ما خرجنا لذلك فأنزل الله في الوليد بن عقبة وفيهم: يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا إنْ جاءَكُمْ فاسِقٌ بِنَبَإٍ... الآية.

24534ـ قال: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً من أصحابه إلى قوم يصدقهم, فأتاهم الرجل, وكان بينه وبينهم إحنة في الجاهلية فلما أتاهم رحبوا به, وأقرّوا بالزكاة, وأعطوا ما عليهم من الحقّ, فرجع الرجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم, فقال: يا رسول الله, منع بنو فلان الصدقة, ورَجعوا عن الإسلام, فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم, وبعث إليهم فأتوْه فقال: «أمَنَعْتُمُ الزّكاةَ, وَطَرَدْتمْ رَسُولي؟» فقالوا: والله ما فعلنا, وإنا لنعلم أنك رسول الله, ولا بدّ لنا, ولا منعنا حقّ الله في أموالنا, فلم يصدقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم, فأنزل الله هذه الآية, فعذرهم.

وقوله: أنْ تُصِيبُوا قَوْما بِجَهالَةٍ يقول تعالى ذكره: فتبيّنوا لئلا تصيبوا قوما برآء مما قُذفوا به بجناية بجهالة منكم فَتُصْبِحُوا على ما فَعَلْتُمْ نادِمِينَ يقول: فتندموا على إصابتكم إياهم بالجناية التي تصيبونهم بها.

الآية : 7-8

القول في تأويل قوله تعالى: {وَاعْلَمُواْ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُوْلَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ * فَضْلاً مِّنَ اللّهِ وَنِعْمَةً وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ }.

يقول تعالى ذكره: لأصحاب نبيّ الله صلى الله عليه وسلم: واعلموا أيها المؤمنون بالله ورسوله, أنّ فِيكُمْ رَسُولَ اللّهِ فاتقوا الله أن تقولوا الباطل, وتفتروا الكذب, فإن الله يخبره أخباركم, ويعرّفه أنباءكم, ويقوّمه على الصواب في أموره.

وقوله: لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الأمْرِ لَعَنِتُّمْ يقول تعالى ذكره: لو كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعمل في الأمور بآرائكم ويقبل منكم ما تقولون له فيطيعكم لَعَنِتُّمْ يقول: لنالكم عنت, يعني الشدّة والمشقة في كثير من الأمور بطاعته إياكم لو أطاعكم لأنه كان يخطىء في أفعاله كما لو قبل من الوليد بن عقبة قوله في بني المصطلق: إنهم قد ارتدّوا, ومنعوا الصدقة, وجمعوا الجموع لغزو المسلمين, فغزاهم فقتل منهم, وأصاب من دمائهم وأموالهم كان قد قتل, وقتلتم من لا يحلّ له ولا لكم قتله, وأخذ

وأخذتم من المال ما لا يحلّ له ولكم أخذه من أموال قوم مسلمين, فنـالكم من الله بذلك عنـت وَلَكِـنّ اللّـهَ حَبّـبَ إِلَيْكُـمُ الإيمـانَ بـالله ورسـوله, فـأنتم تطيعون رسول الله, وتأتمون بـه فيقيكـم اللـه بـذلك مـن العنـت م ا لـو لـم تطيعوه وتتبعوه, وكان يطيعكم لنالكم وأصابكم.

وقوله: وَزَيّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ يقول: وحسن الإيمان في قلوبكم فآمنتم وكَـرّهَ إِلَيْكُمُ الكُفْرَ بالله وَالفُسُوقَ يعني الكذب, والعِصْيانَ يعني ركوب ما نهى الله عنه في خلاف أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم, وتضييع ما أمر اللـه بـه أُولَئِكَ هُمُ الرّاشِدُونَ يقول: هؤلاء الذين حبّب الله إليهم الإيمـان, وزيّنـه فـي قلـوبهم, وكـرّه إليهـم الكفـر والفسـوق والعصـيان أولئـك هـم الراشـدون السالكون طريق الحقّ.

وقوله: فَضْلاً مِنَ اللّهِ وَنِعْمَةً يقول: ولكن الله حبّب إليكم الإيمان, وأنعـم عليكم هذه النعمة التي عدّها فضلاً منه, وإحسانا ونعمة منـه أنعمهـا عليكـم وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ يقول: والله ذو علم بالمحسن منكم من المسيء, ومن هو لنعم الله وفضله أهل, ومن هو لذلك غيـر أهـل, وحكمـةٍ فـي تـدبيره خلقـه, وصرفه إياهم فيما شاء من قضائه. وبنحو الذي قلنا في تأويل قوله: وَاعْلَمُوا أَنّ فِيكُمْ رَسُولَ اللّهِ لَوْ يُطِيعُكُم فِي كَثِيرٍ مِنَ الأمْرِ لَعَنِتّمْ قـال أهـل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

24535ـ حدثنا بشر, قـال: حـدثنا يزيـد, قـال: حـدثنا سـعيد, عـن قتـادة وَاعْلَمُوا أنّ فِيكُمْ رَسُولَ اللّهِ... حتى بلغ لَعَنِتّمْ هؤلاء أصحاب نبيّ اللـه صـلى الله عليه وسلم, لو أطاعهم نبيّ الله في كثير من الأمر لعنتـم, فـأنتم واللـه أسخف رأيا, وأطيش عقولاً, اتهم رجل رأيه, وانتصح كتاب اللـه, فـإن كتـاب الله ثقة لمن أخذ به, وانتهى إليه, وإن ما سوى كتاب الله تغرير.

حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, قال: قال معمر, تلا قتادة لَـوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الأمْرِ لَعَنِتّمْ قال: فأنتم أسـخف رأيـا وأطيـش أحلامـا,, فاتهم رجل رأيه, وانتصح كتاب الله وكذلك كما قلنـا أيضـا فـي تأويـل قـوله: وَلَكِنّ الله حَبّبَ إِلَيْكُمُ الإيمَانَ قالوا. ذكر من قال ذلك:

24536ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قـال ابـن زيـد, فـي قوله: حَبّبَ إِلَيْكُمُ الإيمَانَ وَزَيّنَهُ فِي قُلُـوبِكُمْ قـال: حببـه إليهـم وحسّـنه فـي قلوبهم. وبنحـو الـذي قلنـا فـي تأويـل قـوله وكَـرّهَ إِلَيْكُـمُ الكُفْـرَ والفُسُـوقَ وَالعِصْيانَ أولَئِكَ هُمُ الرّاشِدُونَ فَضْلاً مِنَ اللّهِ وَنِعْمَةً قالوا أيضا. ذكر من قال ذلك:

24537ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قـال ابـن زيـد, فـي قوله: وكَرّهَ إَلَيْكُمُ الكُفْـرَ والفُسُـوقَ قـال: الكـذب والعصـيان قـال: عصـيان النبيّ صلى الله عليه وسلم أُولَئِكَ هُم الرّاشـدونَ مـن أيـن كـان هـذا؟ قـال: فضل من الله ونعمة قـال: والمنـافقون سـماهم اللـه أجمعيـن فـي القـرآن الكاذبين قال: والفاسق: الكاذب في كتاب الله كله.

الآية : 9

القـول فـي تأويـل قـوله تعـالى: {وَإِن طَآئِفَتَـانِ مِـنَ الْمُـؤْمِنِينَ اقْتَتَلُـواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْـدَاهُمَا عَلَـىَ الأُخْـرَىَ فَقَـاتِلُواْ الَّتِـي تَبْغِـي حَتّـىَ تَفِيءَ إِلَىَ أَمْرِ اللّهِ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوَاْ إِنّ اللّهَ يُحِبّ الْمُقْسِطِينَ }.

يقول تعالى ذكره: وإن طائفتان من أهل الإيمان اقتتلوا, فأصلحوا أيها المؤمنون بينهما بالدعاء إلى حكم كتاب الله, والرضا بما فيه لهما وعليهما, وذلك هو الإصلاح بينهما بالعدل فإنْ بَغَتْ إحْدَاهُما عَلى الأُخْرَى يقول: فإن أبَت إحدى هاتين الطائفتين الإجابة إلى حكم كتاب الله له, وعليه وتعدّت ما جعل الله عدلاً بين خلقه, وأجابت الأخرى منهما فَقاتِلُوا الّتِي تَبْغِي يقول: فقاتلوا التي تعتدي, وتأبى الإجابة إلى حكم الله حتى تَفِيءَ إلى أمْرِ اللّهِ يقول: حتى ترجع إلى حكم الله الذي حكم في كتابه بين خلقه فإنْ فَاءَتْ فأصْلِحُوا بَيْنَهُما بالعَدْلِ يقول: فإن رجعت الباغية بعد قتالكم إياهم إلى الرضا بحكم الله في كتابه, فأصلحوا بينها وبين الطائفة الأخرى التي قاتلتها بالعدل: يعني بالإنصاف بينهما, وذلك حكم الله في كتابه الذي جعله عدلاً بين خلقه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

24538ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: وَإنْ طائِفَتانِ مِنَ المُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فأصْلِحُوا بَيْنَهُما فإنْ بَغَت إحْدَاهُما على الأُخْرَى فَقاتِلُوا الّتِي تَبْغِي حتى تَفِيءَ إلى أمْرِ اللّهِ فإن الله سبحانه أمر النبيّ صلى الله عليه وسلم والمؤمنين إذا اقتتلت طائفتان من المؤمنين أن يدعوهم إلى حكم الله, وينصف بعضهم من بعض, فإن أجابوا حكم فيهم بكتاب الله, حتى ينصف المظلوم من الظالم, فمن أبى منهم أن يجيب فهو باغ, فحقّ على إمام المؤمنين أن يجاهدهم ويقاتلهم, حتى يفيئوا إلى أمر الله, ويقرّوا بحكم الله.

24539ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد في قوله: وَإنْ طائِفَتانِ مِنَ المُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا... إلى آخر الآية, قال: هذا أمر من الله أمر به الوُلاة كهيئة ما تكون العصبة بين الناس, وأمرهم أن يصلحوا بينهما, فإن أبوْا قاتل الفئة الباغية, حتى ترجع إلى أمر الله, فإذا رجعت أصلحوا بينهما, وأخبروهم أن المؤمنين إخوة, فأصلحوا بين أخويكم قال: ولا يقاتل الفئة الباغية إلا الإمام.

وذُكر أن هذه الآية نزلت في طائفتين من الأوس والخزرج اقتتلتا في بعض ما تنازعتا فيه, مما سأذكره إن شاء الله تعالى. ذكر الرواية بذلك:

24540ـ حدثني محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا معتمر بن سليمان, عن أبيه, عن أنس, قال: قيل للنبيّ صلى الله عليه وسلم: لو أتيت عبد الله بن أبيّ, قال: فانطلق إليه وركب حمارا, وانطلق المسلمون, وهي أرض سبخة فلما أتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إليك عني, فوالله لقد آذاني نتن حمارك, فقال رجل من الأنصار: والله لنتن حمار رسول الله صلى الله عليه وسلم أطيب ريحا منك, قال: فغضب لعبد الله بن أبيّ رجل من قومه قال: فغضب لكل واحد منهما أصحابه, قال: فكان بينهم ضرب بالجريد والأيدي والنعال, فبلغنا أنه نزلت فيهم وَإنْ طائِفَتانِ مِنَ المُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فأصْلِحُوا بَيْنَهُما.

24541ـ حدثني أبو حُصَين عبد الله بن أحمد بن يونس, قال: حدثنا عبثر, قال: ثني حصين, عن أبي مالك في قوله: وَإنْ طائِفَتانِ مِنْ المُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأصْلِحُوا بَيْنَهُمَا قال: رجلان اقتتلا فغضب لذا قومه, ولذا قومه, فاجتمعوا حتى اصّربوا بالنعال حتى كاد يكون بينهم قتال, فأنزل الله هذه الآية.

حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا هشيم, عن حصين, عن أبي مالك, في قوله: وَإنْ طائِفَتانِ مِنَ المُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا قال: كان بينهم قتال بغير سلاح.

24542ـ حدثني يعقوب, قال: حدثنا هشيم, قال: أخبرنا حصين, عن أبي مالك, في قوله: وَإن طائِفَتانِ مِنَ المُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فأَصْلِحُوا بَيْنَهُما قال: كانا حيين من أحياء الأنصار, كان بينهما تنازع بغير سلاح.
24543ـ حدثنا ابن حُمَيد, قال: أخبرنا جرير, عن منصور, عن سعيد بن جُبير, عن ابن عباس, في قوله: وَإنْ طائِفَتانِ مِنَ المُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فأَصْلِحُوا بَيْنَهُما قال: كان قتالهم بالنعال والعصيّ, فأمرهم أن يصلحوا بينهم.
24544ـ قال: ثنا مهران, قال: حدثنا المُبارك بن فَضَالة, عن الحسن وَإنْ طائِفَتانِ مِنَ المُؤْمِنِين اقْتَتَلُوا قال: كانت تكون الخصومة بين الحيين, فيدعوهم إلى الحكم, فيأبْون أن يجيبوا فأنزل الله: وَإنْ طائِفَتانِ مِنَ المُؤْمِنِين اقْتَتَلُوا فأَصْلِحُوا بَيْنَهُما فإنْ بَغَتْ إحْدَاهُما على الأُخْرَى فَقاتِلُوا الَّتي تَبْغِي حتى تَفِيءَ إلى أَمْرِ اللّهِ يقول: ادفعوهم إلى الحكم, فكان قتالهم الدفع.
24545ـ قال: ثنا مهران, قال: حدثنا سفيان, عن السديّ وَإنْ طائِفَتانِ مِنَ المُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فأَصْلِحوا بَيْنَهُما قال: كانت امرأة من الأنصار يقال لها أم زيد, تحت رجل, فكان بينها وبين زوجها شيء, فرقاها إلى علية, فقال لهم: احفظوا, فبلغ ذلك قومها, فجاؤوا وجاء قومه, فاقتتلوا بالأيدي والنعال فبلغ ذلك النبيّ صلى الله عليه وسلم, فجاء ليصلح بينهم, فنزل القرآن وَإنْ طائِفَتانِ مِنَ المُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فأَصْلِحُوا بَيْنَهُما فإنْ بَغَتْ إحْداهُما على الأُخْرَى قال: تبغي: لا ترضى بصلح رسول الله صلى الله عليه وسلم, أو بقضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم.
24546ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: وَإنْ طائِفَتانِ مِنَ المُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا قال: الأوس والخزرج اقتتلوا بالعصيّ بينهم.
24547ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وَإنْ طائِفَتانِ مِنَ المُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا... الآية, الآية, ذُكر لنا أنها نزلت في رجلين من الأنصار كانت بينهما مدارأة في حقّ بينهما, فقال أحدهما للآخر: لآخذنه عنوة لكثرة عشيرته, وأن الآخر دعاه ليحاكمه إلى نبيّ صلى الله عليه وسلم, فأبى أن يتبعه, فلم يزل الأمر حتى تدافعوا, وحتى تناول بعضهم بعضا بالأيدي والنعال, ولم يكن قتال بالسيوف, فأمر الله أن تُقاتل حتى تفيء إلى أمر الله, كتاب الله, وإلى حكم نبيه صلى الله عليه وسلم وليست كما تأوّلها أهل الشبهات, وأهل البدع, وأهل الفراء على الله وعلى كتابه, أنه المؤمن يحلّ لك قتله, فوالله لقد عظّم الله حُرمة المؤمن حتى نهاك أن تظنّ بأخيك إلا خيرا, فقال: إنّما المُؤْمِنُونَ إخْوَةٌ... الآية.
حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن الحسن, أن قوما من المسلمين كان بينهم تنازع حتى اضطربوا بالنعال والأيدي, فأنزل الله فيهم وَإنْ طائِفَتانِ مِنَ المُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا قال قتادة: كان رجلان بينهما حقّ, فتداراً فيه, فقال أحدهما: لآخذنّه عنوة, لكثرة عشيرته وقال الآخر: بيني وبينك رسول الله صلى الله عليه وسلم, فتنازعا حتى كان بينهما ضرب بالنعال والأيدي.
24548ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, قال: ثني عبد الله بن عباس, قال: قال زيد, في قول الله تعالى: وَإنْ طائِفَتانِ

مِـنَ المُـؤْمِنِينَ اقْتَتَلُـوا فأَصْـلِحُوا بَيْنَهُمـا, وذلـك الـرجلان يقتتلان مـن أهـل الإسلام, أو النفر والنفر, أو القبيـل والقبيلـة فـأمر اللـه أئمـة المسـلمين أن يقضوا بينهم بالحقّ الذي أنزله في كتابه: إما القصـاص والقـود, وإمّـا العقـل والعير, وإمّا العفو, فإنْ بَغَتْ إحْدَاهُما على الأُخْرَى بعد ذلك كان المسـلمون مع المظلوم على الظالم, حتى يفيء إلى أمر الله, ويرضى به.

24549ـ حدثنا ابن البرقي, قال: حدثنا ابن أبي مريم, قال: أخبرنا نافع بن يزيد, قال: أخبرنا ابن جُرَيج, قال: ثني ابن شهاب وغيره: يزيد فـي الحـديث بعضهم على بعـض, قـال: جلـس رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم فـي مجلس فيه عبد الله بن رواحة, وعبد اللـه بـن أبـيّ ابـن سـلول: فلمـا ذهـب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عبد الله بن أبيّ ابن سلول: لقـد آذانـا بول حماره, وسدّ علينا الروح, وكان بينه وبين ابن رواحة شيء حتى خرجـوا بالسلاح, فأتى رسول اللهِ صـلى اللـه عليـه وسـلم, فأتـاهم, فحجـز بينهـم, فلذلك يقول عبد الله بن أبيّ:

مَتى ما يَكُنْ مَوْلاكَ خَصْمَكَ جاهداتُظَلِّمْ وَيَصْرَعْكَ الّذِينَ تُصَارِعُ

قال: فأنزلت فيهم هذه الآية وَإنْ طائِفَتانِ مِنَ المُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا.

وقوله: وأَقْسِطُوا يقول تعالى ذكره: واعدلوا أيها المؤمنـون فـي حكمكـم بين من حكمتم بينهم بأن لا تتجاوزوا في أحكامكم حكم اللـه وحكـم رسـوله إنّ اللّـهَ يُحِـبّ المُقْسِـطِينَ يقـول: إن اللـه يحـبّ العـادلين فـي أحكـامهم, القاضين بين خلقه بالقسط.

الآية : 10

القول فـي تأويـل قوله تعالى: {إِنّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتّقُواْ اللّهَ لَعَلّكُمْ تُرْحَمُونَ }.

يقول تعالى ذكره لأهل الإيمان به إنّمَا المُؤْمِنُونَ إخْوَةٌ في الدين فأَصْلِحُوا بَينَ أَخَوَيْكُمْ إذا اقتتلا بأن تحملوهما على حكـم اللـه وحكـم رسـوله. ومعنـى الأخوين في هذا الموضع: كل مقتتلين من أهـل الإيمـان, وبالتثنيـة قـرأ ذلـك قرّاء الأمصار. وذُكر عن ابن سيرين أنـه قـرأ «بيـن إخـوانكم» بـالنون علـى مذهب الجمع, وذلك من جهة العربية صحيح, غير أنـه خلاف لمـا عليـه قـرّاء الأمصار, فلا أحبّ القراءة بها وَاتّقُوا اللّهَ لَعَلّكُمْ تُرْحَمُونَ يقول تعـالى ذكـره: وخافوا الله أيها الناس بأداء فرائضه عليكم في الإصـلاح بيـن المقتتليـن مـن أهل الإيمان بالعدل, وفي غير ذلك من فرائضه, واجتناب معاصيه, ليرحمكم ربكم, فيصفح لكم عـن سـالف إجرامكـم إذا أنتـم أطعتمـوه, واتبعتـم أمـره ونهيه, واتقيتموه بطاعته.

الآية : 11

القول فـي تأويـل قوله تعالى: {يَأَيّهَا الّذِينَ آمَنُواْ لاَ يَسْخَرْ قَـوْمٌ مّـن قَـوْمٍ عَسَىَ أَن يَكُونُواْ خَيْراً مّنْهُمْ وَلاَ نِسَآءٌ مّن نّسَآءٍ عَسَـىَ أَن يَكُـنّ خَيْـراً مّنْهُـنَّ وَلاَ تَلْمِزُوَاْ أَنفُسَكُمْ وَلاَ تَنَابَزُواْ بِالألْقَابِ بِئْـسَ الاسْـمُ الْفُسُـوقُ بَعْـدَ الإيمَـانِ وَمَن لّمْ يَتُبْ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الظّالِمُونَ }.

يقول تعالى ذكره: يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله, لا يهزأ قوم مؤمنون من قوم مؤمنين عَسَى أنْ يَكُونُوا خَيْرا مِنْهُمْ يقول: المهزوء منهـم خيـر مـن الهازئين وَلا نِساءٌ مِنْ نِساءٍ يقول: ولا يهزأ نساء مؤمنات من نساء مؤمنـات, عسى المهزوء منهنّ أن يكنْ خيرا من الهازئات.

واختلف أهل التأويل في السخرية التي نهى الله عنها المؤمنين في هذه الآية, فقال بعضهم: هي سخرية الغنيّ من الفقير, نُهِي أن يُسخر من الفقير لفقره. ذكر من قال ذلك:

24550ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ قال: لا يهزأ قوم بقوم أن يسأل رجل فقير غنيا, أو فقيرا, وإن تفضل رجل عليه بشيء فلا يستهزىء به.

وقال آخرون: بل ذلك نهي من الله من ستر عليه من أهل الإيمان أن يسخر ممن كشف في الدنيا ستره منهم ذكر من قال ذلك:

24551ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أنْ يَكُونُوا خَيْرا مِنْهُمْ وَلا نِساءٌ مِنْ نِساءٍ عَسَى أنْ يَكُنّ خَيْرا مِنْهُنّ قال: ربما عثر على المرء عند خطيئته عسى أن يكونوا خيرا منهم, وإن كان ظهر على عثرته هذه, وسترت أنت على عثرتك, لعلّ هذه التي ظهرت خير له في الآخرة عند الله, وهذه التي سترت أنت عليها شرّ لك, ما يدريك لعله ما يغفر لك قال: فنُهي الرجل عن ذلك, فقال: لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أنْ يَكُونُوا خَيْرا مِنْهُمْ وقال في النساء مثل ذلك.

والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: إن الله عمّ بنهيه المؤمنين عن أن يسخر بعضهم من بعض جميع معاني السخرية, فلا يحلّ لمؤمن أن يسخر من مؤمن لا لفقره, ولا لذنب ركبه, ولا لغير ذلك.

وقوله: وَلا تَلْمِزُوا أنْفُسَكُمْ يقول تعالى ذكره: ولا يغتب بعضكم بعضا أيها المؤمنون, ولا يطعن بعضكم على بعض وقال: لا تَلْمِزُوا أنْفُسَكُمْ فجعل اللامز أخاه لامزا نفسه, لأن المؤمنين كرجل واحد فيما يلزم بعضهم لبعض من تحسين أمره, وطلب صلاحه, ومحبته الخير. ولذلك رُوي الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «المُؤْمِنُونَ كالجَسَدِ الوَاحِدِ إذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سائِرُ جَسَدِهِ بالحُمّى والسّهَر». وهذا نظير قوله: يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا لا تَأكُلُوا أمْوَالِكُمْ بَيْنَكُمُ بالباطِلِ إلاّ أنْ تَكُونَ تِجارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلا تَقْتُلُوا أنْفُسَكُمْ بمعنى: ولا يقتل بعضكم بعضا. وبنحو الذي قلنا في معنى ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

24552ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قوله: وَلا تَلْمِزُوا أنْفُسَكُمْ قال: لا تطعنوا.

24553ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَلا تَلْمِزُوا أنْفُسَكُمْ يقول: ولا يطعن بعضكم على بعض.

حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة, مثله.

24554ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: وَلا تَلْمِزُوا أنْفُسَكُمْ يقول: لا يطعن بعضكم على بعض.

قوله: وَلا تَنابَزُوا بالألْقاب يقول: ولا تداعوا بالألقاب والنبز واللقب بمعنى واحد, يُجمع النبز: أنبازا, واللقب: ألقابا.

واختلف أهل التأويل في الألقاب التي نهى الله عن التنابز بها في هذه الآية, فقال بعضهم: عنى بها الألقاب التي يكره النبز بها الملقّب, وقالوا: إنما

نزلت هذه الآية في قوم كانت لهم أسماء في الجاهلية, فلما أسلموا نهوا أن يدعو بعضهم بعضا بما يكره من أسمائه التي كان يدعى بها في الجاهلية. ذكر من قال ذلك:

24555ـ حدثنا حميد بن مسعدة, قال: حدثنا بشر بن المفضل, قال: حدثنا داود, عن عامر, قال: قال أبو جبيرة بن الضحاك: فينا نزلت هذه الآية في بني سلمة, قدِم رسول الله صلى الله عليه وسلم, وما منا رجل إلا وله اسمان أو ثلاثة, فكان إذا دعا الرجل بالإسم, قلنا: يا رسول الله إنه يغضب من هذا, فنزلت هذه الآية وَلا تَنابَزُوا بالألْقاب... الآية كلها.

حدثني محمد بن المثنى, قال: حدثنا عبد الوهاب, قال: حدثنا داود, عن عامر, عن أبي جُبَيرة بن الضحاك, قال: كان أهل الجاهلية يسمون الرجل بالأسماء, فدعا النبيّ صلى الله عليه وسلم رجلاً باسم من تلك الأسماء, فقالوا: يا رسول الله إنه يغضب من هذا, فأنزل الله وَلا تَنابَزُوا بالألْقابِ بِئْسَ الاسْمُ الفُسُوقُ بَعْدَ الإيمَانِ.

حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا داود, عن عامر, قال: ثني أبو جُبَيرة بن الضحاك, فذكر عن النبيّ صلى الله عليه وسلم, نحوه.

حدثني يعقوب, قال: حدثنا ابن عُلَيَة, قال: أخبرنا داود عن الشعبيّ, قال: ثني أبو جبيرة بن الضحاك, قال: نزلت في بني سلمة وَلا تَنابَزُوا بالألْقابِ قال: قَدِم رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس منا رجل إلا وله اسمان أو ثلاثة, فكان يدعو الرجل, فتقول أمه: إنه يغضب من هذا, قال: فنزلت وَلا تَنابَزُوا بالألْقابِ. وقال مرّة: كان إذا دعا باسم من هذا, قيل: يا رسول الله إنه يغضب من هذا, فنزلت الآية.

وقال آخرون: بل ذلك قول الرجل المسلم للرجل المسلم: يا فاسق, يا زاني. ذكر من قال ذلك:

24556ـ حدثنا هناد بن السريّ, قال: حدثنا أبو الأحوص, عن حصين, قال: سألت عكرِمة, عن قول الله وَلا تَنابَزُوا بالألْقابِ قال: هو قول الرجل للرجل: يا منافق, يا كافر.

حدثنا يعقوب بن إبراهيم, قال: حدثنا هشيم, قال: أخبرنا حصين, عن عكرِمة, في قوله وَلا تَنابَزُوا بالألْقابِ قال: هو قول الرجل للرجل: يا فاسق, يا منافق.

حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, عن حصين, عن عكرِمة وَلا تَنابَزُوا بالألْقابِ قال: يا فاسق, يا كافر.

24557ـ قال: ثنا مهران, عن سفيان, عن خصيف, عن مجاهد أو عكرِمة وَلا تَنابَزُوا بالألْقابِ قال: يقول الرجل للرجل: يا فاسق, يا كافر.

24558ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: وَلا تَنابَزُوا بالألْقابِ قال: دُعي رجل بالكفر وهو مسلم.

24559ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَلا تَنابَزُوا بالألْقابِ يقول للرجل: لا تقل لأخيك المسلم: ذاك فاسق, ذاك منافق, نهى الله المسلم عن ذلك وقدّم فيه.

حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة وَلا تَنابَزُوا بالألْقاب يقول: لا يقولنّ لأخيه المسلم: يا فاسق, يا منافق.

24560ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَلا تَنابَزُوا بالألقابِ قال: تسميته بالأعمال السيئة بعد الإسلام زان فاسق.

وقال آخرون: بل ذلك تسمية الرجل الرجل بالكفر بعد الإسلام, وبالفسوق والأعمال القبيحة بعد التوبة ذكر من قال ذلك:

24561ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس وَلا تَنابَزُوا بالألْقاب بِئْسَ الاسْمُ الفُسُوقُ بَعْدَ الإيمَانِ... الآية, قال: التنابز بالألقاب أن يكون الرجل عمل السيئات ثم تاب منها, وراجع الحقّ, فنهى الله أن يُعيّر بما سلف من عمله.

24562ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, قال: قال الحسن: كان اليهودي والنصرانيّ يسلم, فيلقب, فيقال له: يا يهوديّ, يا نصراني, فنهوا عن ذلك.

والذي هو أولى الأقوال في تأويل ذلك عندي بالصواب أن يقال: إن الله تعالى ذكره نهى المؤمنين أن يتنابزوا بالألقاب والتنابز بالألقاب: هو دعاء المرء صاحبه بما يكرهه من اسم أو صفة, وعمّ الله بنهيه ذلك, ولم يخصص به بعض الألقاب دون بعض, فغير جائز لأحد من المسلمين أن ينبز أخاه باسم يكرهه, أو صفة يكرهها. وإذا كان ذلك كذلك صحّت الأقوال التي قالها أهل التأويل في ذلك التي ذكرناها كلها, ولم يكن بعض ذلك أولى بالصواب من بعض, لأن كلّ ذلك مما نهى الله المسلمين أن ينبز بعضهم بعضا.

وقوله: بِئْسَ الاِسْمُ الفُسُوقُ بَعْدَ الإيمَانِ يقول تعالى ذكره: ومن فعل ما نهينا عنه, وتقدّم على معصيتنا بعد إيمانه, فسخر من المؤمنين, ولمز أخاه المؤمن, ونبزه بالألقاب, فهو فاسق بِئْسَ الاِسْمُ الفُسُوقُ بَعْدَ الإيمَانِ يقول: فلا تفعلوا فتستحقوا إن فعلتموه أن تسموا فساقا, بئس الاسم الفسوق, وترك ذكر ما وصفنا من الكلام, اكتفاء بدلالة قوله: بِئْسَ الاِسْمُ الفُسُوقُ عليه.

وكان ابن زيديقول في ذلك ما:

24563ـ حدثنا به يونس بن عبد الأعلى, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, وقرأ بِئْسَ الاِسْمُ الفُسُوقُ بَعْدَ الإيمَانِ قال: بئس الاسم الفسوق حين تسميه بالفسق بعد الإسلام, وهو على الإسلام. قال: وأهل هذا الرأي هم المعتزلة, قالوا: لا نكفره كما كفره أهل الأهواء, ولا نقول له مؤمن, كما قالت الجماعة, ولكنا نسميه باسمه إن كان سارقا فهو سارق, وإن كان خائنا سموه خائنا وإن كان زانيا سموه زانيا قال: فاعتزلوا الفريقين أهل الأهواء وأهل الجماعة, فلا بقول هؤلاء قالوا, ولا بقول هؤلاء, فسموا بذلك المعتزلة.

فوجه ابن زيد تأويل قوله: بِئْسَ الاِسْمُ الفُسُوقُ بَعْدَ الإيمَانِ إلى من دَعي فاسقا, وهو تائب من فسقه, فبئس الاسم ذلك له من أسمائه.. وغير ذلك من التأويل أولى بالكلام, وذلك أن الله تقدّم بالنهي عما تقدّم بالنهي عنه في أوّل هذه الآية, فالذي هو أولى أن يختمها بالوعيد لمن تقدّم على بغيه, أو بقبيح ركوبه ما ركب مما نهى عنه, لا أن يخبر عن قُبح ما كان التائب أتاه

قبل توبته, إذ كانت الآية لم تفتتح بالخبر عن ركوبه ما كان ركب قبل التوبة من القبيح, فيختم آخرها بالوعيد عليه أو بالقبيح.

وقوله: وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظّالِمُونَ يقول تعالى ذكره: ومن لم يتب من نبزه أخاه بما نهى الله عن نبزه به من الألقاب, أو لمزه إياه, أو سخرتيه منه, فأولئك هم الذين ظلموا أنفسهم, فأكسبوها عقاب الله بركوبهم ما نهاهم عنه.

وكان ابن زيد يقول في ذلك ما:

24564ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فأُولَئِكَ هُمُ الظّالِمُونَ قال: ومن لم يتب من ذلك الفسوق فأولئك هم الظالمون.

الآية : 12

القول في تأويل قوله تعالى: {يَأَيّهَا الّذِينَ آمَنُواْ اجْتَنِبُواْ كَثِيراً مّنَ الظّنّ إِنّ بَعْضَ الظّنّ إِثْمٌ وَلاَ تَجَسّسُواْ وَلاَ يَغْتَب بّعْضُكُم بَعْضاً أَيُحِبّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتّقُواْ اللّهَ إِنّ اللّهَ تَوّابٌ رّحِيمٌ }.

يقول تعالى ذكره: يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله, لا تقربوا كثيرا من الظنّ بالمؤمنين, وذلك أن تظنوا سوءا, فإن الظانّ غير محقّ, وقال جلّ ثناؤه: اجْتَنِبُوا كَثِيرا مِنَ الظّنّ ولم يقل: الظنّ كله, إذ كان قد أذِن للمؤمنين أن يظنّ بعضهم ببعض الخير, فقال: لَوْلا إذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنّ المُؤْمنُونَ وَالمُؤْمِناتَ بُأنْفُسِهِمْ خَيْرا وَقالُوا هَذَا إفْكٌ مُبِينٌ فأذن الله جلّ ثناؤه للمؤمنين أن يظنّ بعضهم ببعض الخير وأن يقولوه, وإن لم يكونوا من قيله فيهم على يقين. وبنحو الذي قلنا في معنى ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

24565ـ حدثني عليّ, قال: ثني أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرا مِنَ الظّنّ يقول: نهى الله المؤمن أن يظنّ بالمؤمن شرّا.

وقوله: إنّ بَعْضَ الظّنّ إثْمٌ يقول: إن ظنّ المؤمن بالمؤمن الشرّ لا الخير إثم, لأن الله قد نهاه عنه, ففعل ما نهى الله عنه إثم.

وقوله: وَلا تَجَسّسُوا يقول: ولا يتتبع بعضكم عورة بعض, ولا يبحث عن سرائره, يبتغي بذلك الظهور على عيوبه, ولكن اقنعوا بما ظهر لكم من أمره, وبه فاحمدوا أو ذموا, لا على ما لا تعلمونه من سرائره. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

24566ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: وَلا تَجَسّسُوا يقول: نهى الله المؤمن أن يتتبع عورات المؤمن.

24567ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: وَلا تَجَسّسُوا قال: خذوا ما ظهر لكم ودعوا ما ستر الله.

24568ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرا مِنَ الظّنّ إنّ بَعْضَ الظّنّ إثْمٌ وَلا تَجَسّسُوا هل تدرون ما التجسس أو التجسيس؟ هو أن تتبع, أو تبتغي عيب أخيك لتطلع على سرّه.

24569ـ حدثنا ابن حُمَيد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان وَلا تَجَسّسُوا قال: البحث.
24570ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرا مِنَ الظّنّ إنّ بَعْضَ الظّنّ إثْمٌ وَلا تَجَسّسُوا قال: حتى أنظر في ذلك وأسأل عنه, حتى أعرف حقّ هو, أم باطل؟ قال: فسماه الله تجسسا, قال: يتجسس كما يتجسس الكلاب,
وقرأ قول الله: وَلا تَجَسّسُوا وَلا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضا وقوله: ولا يغتب بعضكم بعضا يقول: ولا يقل بعضكم في بعض بظهر الغيب ما يكره المقول فيه ذلك أن يقال له في وجهه. وبنحو الذي قلنا في ذلك جاء الأثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك, والأثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم:
24571ـ حدثني يزيد بن مخلد الواسطيّ, قال: حدثنا خالد بن عبد الله الطحان, عن عبد الرحمن بن إسحاق, عن العلاء بن عبد الرحمن, عن أبيه, عن أبي هريرة, قال: سُئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الغيبة, فقال: «هُوَ أنْ تَقُولَ لأخِيكَ ما فِيهِ, فإنْ كُنْتَ صَادِقا فَقَدِ اغْتَبْتَه, وَإنْ كُنْتَ كاذِبا فَقَدْ بَهَتّهُ».
حدثنا محمد بن عبد الله بن بزيع, قال: حدثنا بشر بن المفضل, قال: حدثنا عبد الرحمن بن إسحاق, عن العلاء بن عبد الرحمن, عن أبيه, عن أبي هريرة, عن النبي صلى الله عليه وسلم, بنحوه.
حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا محمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, قال: سمعت العلاء يحدّث, عن أبيه, عن أبي هريرة, عن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال: «هَلْ تَدْرُونَ ما الْغِيبَةُ»؟ قال: قالوا الله ورسوله أعلم قال: «ذِكْرُكَ أخاكَ بِمَا لَيْسَ فِيهِ», قال: أرأيت إن كان في أخي ما أقول له قال: «إنْ كان فِيهِ ما تَقُولُ فَقَد اغْتَبْتَهُ, وَإنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ ما تَقُولُ فَقَدْ بَهَتّهُ».
24572ـ حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا سعيد بن الربيع, قال: حدثنا شعبة, عن العباس, عن رجل سمع ابن عمر يقول: إذا ذكرت الرجل بما فيه, فقد اغتبته, وإذا ذكرته بما ليس فيه فقد بَهَتّه. وقال شعبة مرّة أخرى: وإذا ذكرته بما ليس فيه, فهي فِرْية قال أبو موسى: هو عباس الجَريريّ:
24573ـ حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا ابن أبي عديّ, عن شعبة, عن سليمان, عن عبد الله بن مرّة, عن مسروق قال: إذا ذكرت الرجل بأسوإ ما فيه فقد اغتبته, وإذا ذكرته بما ليس فيه فقد بَهتَه.
حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن الأعمش, عن أبي الضحى, عن مسروق, قال: إذا قلت في الرجل أسوأ ما فيه فقد اغتبته, وإذا قلت ما ليس فيه فقد بَهتَه.
حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا عمر بن عبيد, عن الأعمش, عن أبي الضحى, عن مسروق, قال الغيبة: أن يقول للرجل أسوأ ما يعلم فيه, والبهتان: أن يقول ما ليس فيه.
24574ـ حدثنا يونس بن عبد الأعلى, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: أخبرني معاوية بن صالح, عن كثير بن الحارث, عن القاسم, مولى معاوية, قال: سمعت ابن أمّ عبد يقول: ما التقم أحد لقمة أشرّ من اغتياب المؤمن, إن قال فيه ما يعلم فقد اغتابه, وإن قال فيه ما لا يعلم فقد بَهتَه.

حدثنا أبو السائب, قال: حدثنا أبو معاوية, عن الأعمش, عن مسلم, عن مسروق, قال: إذا ذكرت الرجل بما فيه فقد اغتبته, وإذا ذكرته بما ليس فيه فذلك البهتان.

24575ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا المعتمر, قال: سمعت يونس, عن الحسن أنه قال في الغيبة: أن تذكر من أخيك ما تعلم فيه من مساوىء أعماله, فإذا ذكرته بما ليس فيه فذلك البهتان.

24576ـ حدثنا ابن أبي الشوارب, قال: حدثنا عبد الواحد بن زياد, قال: حدثنا سليمان الشيبانيّ, قال: حدثنا حسان بن المخارق أن امرأة دخلت على عائشة فلما قامت لتخرج أشارت عائشة بيدها إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم, أي أنها قصيرة, فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم: «اغْتَبْتِيها».

24577ـ حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا أبو داود, قال: حدثنا شعبة, عن أبي إسحاق, قال: لو مرّ بك أقطع, فقلت: ذاك الأقطع, كانت منك غيبة قال: وسمعت معاوية بن قرة يقول ذلك.

24578ـ حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا محمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, قال: سمعت معاوية بن قُرة يقول: لو مرّ بك رجل أقطع, فقلت له: إنه أقطع كنت قد اغتبته, قال: فذكرت ذلك لأبي إسحاق الهمداني فقال: صدق.

24579ـ حدثني جابر بن الكرديّ, قال: حدثنا ابن أبي أويس, قال: ثني أخي أبو بكر, عن حماد بن أبي حميد, عن موسى بن وردان, عن أبي هريرة أن رجلاً قام عند رسول الله صلى الله عليه وسلم, فرأوا في قيامه عجزا, فقالوا: يا رسول الله ما أعجز فلانا, فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أكَلْتُمْ أخاكُمْ وَاغْتَبْتُمُوه».

24580ـ حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا عثمان بن سعيد, قال: حدثنا حبان بن علي العنزيّ عن مثنى بن صباح, عن عمرو بن شعيب, عن معاذ بن جبل, قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم, فذكر القوم رجلاً, فقالوا: ما يأكل إلا ما أطعم, وما يرحل إلا ما رحل له, وما أضعفه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اغْتَبْتُمْ أخاكُمْ», فقالوا يا رسول الله وغيبته أن نحدّث بما فيه؟ قال: «بحَسْبِكُمْ أنْ تُحَدّثُوا عَنْ أخِيكُمْ ما فِيهِ».

حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا خالد بن محمد, عن محمد بن جعفر, عن العلاء, عن أبيه, عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذَا ذَكَرْتَ أخاكَ بِمَا يَكْرَهُ فإنْ كانَ فِيهِ ما تَقُولُ فَقَدِ اغْتَبْتَهُ, وَإنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ ما تَقُولُ فَقَدْ بَهَتّهُ».

24581ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قال: كنا نحدّث أن الغيبة أن تذكر أخاك بما يشينه, وتعيبه بما فيه, وإن كذبت عليه فذلك البهتان.

وقوله أيُحِبّ أحَدُكُمْ أنْ يأْكُلَ لَحْمَ أخِيهِ مَيْتا فَكَرِهْتُمُوهُ يقول تعالى ذكره للمؤمنين أيحبّ أحدكم أيها القوم أن يأكل لحم أخيه بعد مماته ميتا, فإن لم تحبوا ذلك وكرهتموه, لأن الله حرّم ذلك عليكم, فكذلك لا تحبوا أن تغتابوه في حياته, فاكرهوا غيبته حيا, كما كرهتم لحمه ميتا, فإن الله حرّم غيبته حيا, كما حرّم أكل لحمه ميتا. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

24582ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: وَلا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضا أَيُحِبّ أَحَدُكُمْ أَنْ يأكُلَ لَحْمَ أخِيهِ مَيْتا قال: حرّم الله على المؤمن أن يغتاب المؤمن بشيء, كما حرّم المَيْتة.

24583ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: أَيُحِبّ أَحَدُكُمْ أنْ يأكُلَ لَحْمَ أخِيهِ مَيْتا قالوا: نكره ذلك, قال: فكذلك فاتقوا الله.

24584ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة: أَيُحِبّ أَحَدُكُمْ أنْ يأكُلَ لَحْمَ أخِيهِ مَيْتا فَكَرِهْتُمُوهُ يقول: كما أنت كاره لو وجدت جيفة مدوّدة أن تأكل منها, فكذلك فاكره غِيبته وهو حيّ.

وقوله: وَاتّقُوا اللّهَ إنّ اللّهَ تَوّابٌ رَحِيمٌ يقول تعالى ذكره: فاتقوا الله أيها الناس, فخافوا عقوبته بانتهائكم عما نهاكم عنه من ظنّ أحدكم بأخيه المؤمن ظنّ السوء, وتتبع عوراته, والتجسس عما ستر عنه من أمره, واغتيابه بما يكرهه, تريدون به شينه وعيبه, وغير ذلك من الأمور التي نهاكم عنها ربكم إنّ اللّهَ تَوّابٌ رَحِيمٌ يقول: إن الله راجع لعبده إلى ما يحبه إذا رجع العبد لربه إلى ما يحبه منه, رحيم به بأن يعاقبه على ذنب أذنبه بعد توبته منه.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله: لَحْمَ أخِيهِ مَيْتا فقرأته عامة قرّاء المدينة بالتثقيل «مَيّتا», وقرأته عامة قرّاء الكوفة والبصرة مَيْتا بالتخفيف, وهما قراءتان عندنا معروفتان متقاربتا المعنى, فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب.

الآية : 13

القول في تأويل قوله تعالى: {يَأَيّهَا النّاسُ إِنّا خَلَقْنَاكُم مّن ذَكَرٍ وَأُنْثَىَ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُواْ إِنّ أَكْرَمَكُمْ عَندَ اللّهِ أَتْقَاكُمْ إِنّ اللّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ }.

يقول تعالى ذكره: يا أيها الناس إنا أنشأنا خلقكم من ماء ذكر من الرجال, وماء أنثى من النساء وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

24585ـ حدثنا أبو هشام, قال: حدثنا عبيد الله بن موسى, قال: أخبرنا عثمان بن الأسود, عن مجاهد, قال: خلق الله الولد من ماء الرجل وماء المرأة, وقد قال تبارك وتعالى يا أيّها النّاسُ إنّا خَلَقْناكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وأُنْثَى.

حدثنا ابن حُمَيد, قال: حدثنا مهران, قال: حدثنا عثمان بن الأسود, عن مجاهد, قوله: إنّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وأُنْثَى قال: ما خلق الله الولد إلا من نطفة الرجل والمرأة جميعا, لأن الله يقول خَلَقْناكمْ مِنْ ذكَرٍ وأُنْثَى.

وقوله: وَجَعَلْناكُمْ شُعُوبا وَقَبائِلَ لِتَعارَفُوا يقول: وجعلناكم متناسبين, فبعضكم يناسب بعضا نسبا بعيدا, وبعضكم يناسب بعضا نسبا قريبا فالمناسب النسب البعيد من لم ينسبه أهل الشعوب, وذلك إذا قيل للرجل من العرب: من أيّ شعب أنت؟ قال: أنا من مضر, أو من ربيعة. وأما أهل المناسبة القريبة أهل القبائل, وهم كتميم من مضر, وبكر من ربيعة, وأقرب القبائل الأفخاذ وهما كشيبان من بكر ودارم من تميم, ونحو ذلك, ومن الشّعْب قول ابن أحمر الباهلي:

مِن شَعْبِ هَمْدانَ أوْ سَعْدِ العَشِيرَةِ أوْخَوْلانَ أوْ مَذْحِجٍ هاجُوا لَهُ طَرَبا

وبنحو الذي قلنا في معنى قوله: وَجَعَلْناكُمْ شُعُوبا وَقَبائِلَ قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

24586ـ حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا بكر بن عياش, قال: حدثنا أبو حُصين, عن سعيد بن جبير, عن ابن عباس وَجَعلْناكُمْ شُعُوبا وَقَبائِلَ قال: الشعوب: الجُمّاع, والقبائل: البطون.

حدثنا خلاد بن أسلم, قال: حدثنا أبو بكر بن عياش, عن أبي حصين, عن سعيد بن جُبَير, عن ابن عباس, في قوله: وَجَعَلْناكُمْ شُعُوبا وَقَبائِلَ قال: الشعوب: الجُمّاع. قال خلاد, قال أبو بكر: القبائل العظام, مثل بني تميم, والقبائل: الأفخاذ.

24587ـ حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا ابن عطية, قال: حدثنا إسرائيل, عن أبي حصين, عن سعيد بن جُبَير وَجَعلْناكُمْ شُعُوبا وَقَبائِلَ قال: الشعوب: الجمهور, والقبائل: الأفخاذ.

24588ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: شُعُوبا قال: النسب البعيد. وَقَبائِلَ دون ذلك.

24589ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وَجَعَلْناكُمْ شُعُوبا وَقَبَائِلَ قال: الشعوب: النسب البعيد, والقبائل كقوله: فلان من بني فلان, وفلان من بني فلان.

حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة وَجَعَلْناكُمْ شُعُوبا قال: هو النسب البعيد. قال: والقبائل: كما تسمعه يقال: فلان من بني فلان.

24590ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: وَجَعَلْناكُمْ شُعُوبا قال: أما الشعوب: فالنسب البعيد.

وقال بعضهم: الشعوب: الأفخاذ. ذكر من قال ذلك:

24591ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن أبي حصين, عن سعيد بن جُبير وَجَعَلْناكُمْ شُعُوبا وَقَبائِلَ قال: الشعوب: الأفخاذ, والقبائل: القبائل.

وقال آخرون: الشعوب: البطون, والقبائل: الأفخاذ. ذكر من قال ذلك:

24592ـ حدثني يحيى بن طلحة, قال: حدثنا أبو بكر بن عياش, عن أبي حصين, عن سعيد بن جُبير, عن ابن عباس وَجَعَلْناكُمْ شُعُوبا وَقَبائِلَ قال: الشعوب: البطون, والقبائل: الأفخاذ الكبار.

وقال آخرون: الشعوب: الأنساب. ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد, قال: ثنى أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس: وَجَعَلْناكُمْ شُعُوبا وَقَبائِلَ قال: الشعوب: الأنساب.

وقوله: لِتَعارَفُوا يقول: ليعرف بعضكم بعضا في النسب, يقول تعالى ذكره: إنما جعلنا هذه الشعوب والقبائل لكم أيها الناس, ليعرف بعضكم بعضا في قرب القرابة منه وبعده, لا لفضيلة لكم في ذلك, وقُربة تقرّبكم إلى الله, بل أكرمكم عند الله أتقاكم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

24593ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي

نجيح, عن مجاهد وَقَبائِلَ لِتَعارَفُوا قال: جعلنا هذا لتعارفوا, فلان بن فلان من كذا وكذا.

وقوله: إنّ أكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللّهِ أتْقاكُمْ يقول تعالى ذكره: إن أكرمكم أيها الناس عند ربكم, أشدّكم اتقاء له بأداء فرائضه واجتناب معاصيه, لا أعظمكم بيتا ولا أكثركم عشيرة.

24594ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: ثني ابن لهيعة, عن الحارث بن يزيد, عن عليّ بن رباح, عن عقبة بن عامر, عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «النّاسُ لآدَمَ وَحَوّاءَ كَطَفّ الصّاعِ لَمْ يَملأوه, إنّ اللّهَ لا يسألُكُمْ عَنْ أحْسابِكُمْ وَلا عَنْ أنْسابِكُمْ يَوْمَ القِيامَةِ, إنّ أكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللّهِ أتْقاكُمْ».

24595ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: ثني ابن لهيعة, عن الحارث بن يزيد عن عليّ بن رباح, عن عقبة بن عامر, أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إنّ أنْسابَكُمْ هَذِه لَيْسَتْ بِمَسابّ عَلى أحَدٍ, وإنّمَا أنْتُمْ وَلَدُ آدَمَ طَفّ الصّاعِ لَمْ تملأوه, لَيْسَ لأحَدٍ على أحَد فَضْلٌ إلاّ بِدَيْنٍ أوْ عَمَلٍ صالِحٍ حَسْبُ الرّجُلَ أنْ يَكُونَ فاحِشا بَذِيّا بَخِيلاً جَبانا».

24596ـ حدثني يعقوب بن إبراهيم, قال: حدثنا ابن علية, عن ابن جُرَيج, قال: سمعت عطاء يقول: قال ابن عباس: ثلاث آيات جحدهنّ الناس: الإذن كله, وقال: إنّ أكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللّهِ أتْقاكُمْ وقال الناس أكرمكم: أعظمكم بيتا وقال عطاء: نسيت الثالثة.

وقوله: إنّ اللّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ يقول تعالى ذكره: إن الله أيها الناس ذو علم بأتقاكم عند الله وأكرمكم عنده, ذو خبرة بكم وبمصالحكم, وغير ذلك من أموركم, لا تخفى عليه خافية.

الآية : 14

القول في تأويل قوله تعالى: {قَالَتِ الأعْرَابُ آمَنّا قُل لّمْ تُؤْمِنُواْ وَلَـكِن قُولُوَاْ أَسْلَمْنَا وَلَمّا يَدْخُلِ الإيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِن تُطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ لاَ يَلِتْكُمْ مّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئاً إِنّ اللّهَ غَفُورٌ رّحِيمٌ }.

يقول تعالى ذكره: قالت الأعراب: صدّقنا بالله ورسوله, فنحن مؤمنون, قال الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل يا محمد لهم لَمْ تُؤْمِنُوا ولستم مؤمنين وَلَكِنْ قُولُوا أسْلَمْنا. وذُكر أن هذه الآية نزلت في أعراب من بني أسد. ذكر من قال ذلك:

24597ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قوله: قالَتِ الأعْرَابُ آمَنّا قال: أعراب بني أسد بن خُزيمة.

واختلفت أهل التأويل في السبب الذي من أجله قيل للنبيّ صلى الله عليه وسلم: قل لهؤلاء الأعراب: قولوا أسلمنا, ولا تقولوا آمنا, فقال بعضهم: إنما أمر النبيّ صلى الله عليه وسلم بذلك, لأن القوم كانوا صدّقوا بألسنتهم, ولم يصدّقوا قولهم بفعلهم, فقيل لهم: قولوا أسلمنا, لأن الإسلام قول, والإيمان قول وعمل ذكر من قال ذلك:

24598ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن الزهري قالَتِ الأعْرَاب آمَنّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أسْلَمْنا قال: إن الإسلام: الكلمة, والإيمان: العمل.

24599ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, وأخبرني الزهريّ, عن عامر بن سعد, عن أبيه, قال: أعطى النبيّ صلى الله عليه وسلم رجالاً, ولم يعط رجلاً منهم شيئا, فقال سعد: يا رسول الله أعطيت فلانا وفلانا, ولم تُعط فلانا شيئا, وهو مؤمن, فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم: «أوْ مُسْلِمٌ»؟ حتى أعادها سعد ثلاثا, والنبيّ صلى الله عليه وسلم يقول: «أوْ مُسْلِمٌ», ثم قال النبيّ صلى الله عليه وسلم «إنّي أعْطِي رِجالاً وأَدَعُ مَنْ هُوَ أحَبّ إليّ مِنْهُمْ, لا أعْطِيهِ شَيْئا مَخافَةَ أنْ يُكَبّوا فِي النّارِ عَلى وُجُوهِهِمْ».

24600ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: قَالتِ الأعْرَابُ آمَنّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا قال: لم يصدّقوا إيمانهم بأعمالهم, فردّ الله ذلك عليهم قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أسْلَمْنا, وأخبرهم أن المؤمنين الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا, وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله, أولئك هم الصادقون, صدّقوا إيمانهم بأعمالهم فمن قال منهم: أنا مؤمن فقد صدق قال: وأما من انتحل الإيمان بالكلام ولم يعمل فقد كذب, وليس بصادق.

24601ـ حدثنا ابن حُمَيد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, عن مُغيرة, عن إبراهيم وَلَكِنْ قُولُوا أسْلَمْنا قال: هو الإسلام.

وقال آخرون: إنما أمر النبيّ صلى الله عليه وسلم بقيل ذلك لهم, لأنهم أرادوا أن يتسموا بأسماء المهاجرين قبل أن يهاجروا, فأعلمهم الله أن لهم أسماء الأعراب, لا أسماء المهاجرين. ذكر من قال ذلك:

24602ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثنى أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: قالَتِ الأعْرَابُ آمَنّا... الآية, وذلك أنهم أرادوا أن يتسَمّوا باسم الهجرة, ولا يتسَمّوا بأسمائهم التي سماهم الله, وكان ذلك في أوّل الهجرة قبل أن تنزل المواريث لهم.

وقال آخرون: قيل لهم ذلك لأنهم منوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بإسلامهم, فقال الله لنبيه صلى الله عليه وسلم: قل لهم لم تؤمنوا, ولكن استسلمتم خوف السباء والقتل. ذكر من قال ذلك:

24603ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: قالَتِ الأعْرَابُ آمَنّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا ولعمري ما عمت هذه الآية الأعراب, إن من الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر, ولكن إنما أنزلت في حيّ من أحياء الأعراب امتنوا بإسلامهم على نبيّ الله صلى الله عليه وسلم, فقالوا: أسلمنا, ولم نقاتلك, كما قاتلك بنو فلان وبنو فلان, فقال الله: لا تقولوا آمنا, ولكن قولوا أسلمنا حتى بلغ في قلوبكم.

حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن قتادة لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أسْلَمْنا قال: لم تعمّ هذه الآية الأعراب, إن من الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر, ويتخذ ما ينفق قربات عند الله, ولكنها في طوائف من الأعراب.

24604ـ حدثنا ابن حُمَيد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, عن رَباح, عن أبي معروف, عن سعيد بن جُبَير قالَت الأعْرَابُ آمَنّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أسْلَمْنا قال: استسلمنا لخوف السباء والقتل.

24605ـ حدثنا ابن حُمَيد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, عن رجل, عن مجاهد قُولُوا أسْلَمْنا قال: استسلمنا.

24606ـ حدثنا يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, وقرأ قول الله قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أسْلَمْنا استسلمنا: دخلنا في السلم, وتركنا المحاربة والقتال بقولهم: لا إله إلاّ الله, وقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أُمِرْتُ أنْ أُقاتِلَ النّاسَ حتى يَقُولُوا لا إلَهَ إلاّ اللّهُ, فإذا قالُوا لا إلَهَ إلاّ اللّهُ, عَصَمُوا مِنّي دِماءَهُمْ وأمْوَالَهُمْ إلاّ بِحَقّها وَحِسابُهُمْ على اللّهِ».

وأولى الأقوال بالصواب في تأويل ذلك القول الذي ذكرناه عن الزهريّ وهو أن الله تقدّم إلى هؤلاء الأعراب الذين دخلوا في الملة إقرارا منهم بالقول, ولم يحققوا قولهم بعملهم أن يقولوا بالإطلاق آمنا دون تقييد قولهم بذلك بأن يقولوا آمنا بالله ورسوله, ولكن أمرهم أن يقولوا القول الذي لا يشكل على سامعيه والذي قائله فيه محقّ, وهو أن يقولوا أسلمنا, بمعنى: دخلنا في الملة والأموال, والشهادة الحقّ.

قوله: وَلمّا يَدْخُلِ الإيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ يقول تعالى ذكره: ولما يدخل العلم بشرائع الإيمان, وحقائق معانيه في قلوبكم.

وقوله: وَإنْ تُطِيعُوا الله وَرَسُولَهُ لا يَلِتْكُمْ أعمالِكُمْ شَيئا يقول تعالى ذكره: لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل لهؤلاء الأعراب القائلين آمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبهم, إن تطيعوا الله ورسوله أيها القوم, فتأتمروا لأمره وأمر رسوله, وتعملوا بما فرض عليكم, وتنتهوا عما نهاكم عنه, لا يَلِتْكُمْ مِنْ أعمالِكُمْ شَيْئا يقول: لا يظلمكم من أجور أعمالكم شيئا ولا ينقصكم من ثوابها شيئا. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

24607ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: لا يَلِتْكُمْ لا ينقصكم.

24608ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله لا يَلِتْكُمْ مِنْ أعمالِكُمْ شَيْئا يقول: لن يظلمكم من أعمالكم شيئا.

24609ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد في وَإنْ تُطِيعُوا اللّهَ وَرَسُولَهُ قال: إن تصدقوا إيمانكم بأعمالكم يقبل ذلك منكم. وقرأت قرّاء الأمصار لا يَلِتْكُمْ مِنْ أعمالِكُم بغير همز ولا ألف, سوى أبي عمرو, فإنه قرأ ذلك «لا يألَتْكُمْ» بألف اعتبارا منه في ذلك بقوله: وَما ألَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ فمن قال: ألت, قال: يألت. وأما الآخرون فإنهم جعلوا ذلك من لات يليت, كما قال رُؤبةُ بن العجاج:

وَلَيْلَةٍ ذَاتِ نَدًى سَرَيْتُولَمْ يَلِتْنِي عَنْ سُرَاها لَيْتُ

والصواب من القراءة عندنا في ذلك, ما عليه قرّاء المدينة والكوفة لا يَلِتْكُمْ بغير ألف ولا همز, على لغة من قال: لات يليت, لغتين: إحداهما: إجماع الحجة من القرّاء عليها. والثانية أنها في المصحف بغير ألف, ولا تسقط الهمزة في مثل هذا الموضع, لأنها ساكنة, والهمزة إذا سكنت ثبتت, كما يقال: تأمرون وتأكلون, وإنما تسقط إذا سكن ما قبلها, ولا يحمل حرف في القرآن إذا أتى بلغة على آخر جاء بلغة خلافها إذا كانت اللغتان معروفتين في كلام العرب. وقد ذكرنا أن ألت ولات لغتان معروفتان من كلامهم.

وقوله: إنّ اللّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ يقول تعالى ذكره: إن الله ذو عفو أيها الأعراب لمن أطاعه, وتاب إليه من سالف ذنوبه, فأطيعوه, وانتهوا إلى أمره ونهيه,

يغفر لكم ذنوبكم, رحيم بخلقه التائبين إليه أن يعاقبهم بعد توبتهم من ذنوبهم على ما تابوا منه, فتوبوا إليه يرحمكم. كما:
24610ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة إنّ اللّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ غفور للذنوب الكثيرة أو الكبيرة, شكّ يزيد, رحيم بعباده.

الآية : 15

القول في تأويل قوله تعالى: {إِنّمَا الْمُؤْمِنُونَ الّذِينَ آمَنُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ ثُمّ لَمْ يَرْتَابُواْ وَجَاهَدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصّادِقُونَ }.
يقول تعالى ذكره للأعراب الذين قالوا آمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبهم: إنما المؤمنون أيها القوم الذين صدّقوا الله ورسوله, ثم لم يرتابوا, يقول: ثم لم يشكوا في وحدانية الله, ولا في نبوّة نبيه صلى الله عليه وسلم, وألزم نفسه طاعة الله وطاعة رسوله, والعمل بما وجب عليه من فرائض الله بغير شكّ منه في وجوب ذلك عليه وَجاهَدُوا بأَمْوَالِهِمْ وأنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ يقول: جاهدوا المشركين بإنفاق أموالهم, وبذل مُهَجِهم في جهادهم, على ما أمرهم الله به من جهادهم, وذلك سبيله لتكون كلمة الله العليا, وكلمة الذين كفروا السفَلى.
وقوله: أُولَئِكَ هُمُ الصّادِقُونَ يقول: هؤلاء الذين يفعلون ذلك هم الصادقون في قولهم: إنا مؤمنون, لا من دخل في الملة خوف السيف ليحقن دمه وماله. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
24611ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: أُولَئِكَ هُمُ الصّادِقونَ قال: صدّقوا إيمانهم بأعمالهم.

الآية : 16

القول في تأويل قوله تعالى: {قُلْ أَتُعَلّمُونَ اللّهَ بِدِينِكُمْ وَاللّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَاللّهُ بِكُلّ شَيْءٍ عَلِيمٌ }.
يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل يا محمد لهؤلاء الأعراب القائلين آمنا ولمّا يدخل الإيمان في قلوبهم: أتُعَلّمُونَ اللّهَ أيها القوم بدينكم, يعني بطاعتكم ربكم وَاللّهُ يَعْلَمُ ما في السّمَوَاتِ ومَا فِي الأرْضِ يقول: والله الذي تعلّمونه أنكم مؤمنون, عَلاّم جميع ما في السموات السبع والأرضين السبع, لا يخفى عليه منه شيء, فكيف تعلمونه بدينكم, والذي أنتم عليه من الإيمان, وهو لا يخفى عليه خافية, في سماء ولا أرض, فيخفى عليه ما أنتم عليه من الدين وَاللّهُ بِكُلّ شَيْءٍ عَلِيمٌ يقول: والله بكلّ ما كان, وما هو كائن, وبما يكون ذو علم. وإنما هذا تقدّم من الله إلى هؤلاء الأعراب بالنهي, عن أن يكذّبوا ويقولوا غير الذي هم عليه في دينهم. يقول: الله محيط بكلّ شيء عالم به, فاحذروا أن تقولوا خلاف ما يعلم من ضمائر صدوركم, فينالكم عقوبته, فإنه لا يخفى عليه شيء.

الآية : 17

القول في تأويل قوله تعالى: {يَمُنّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُواْ قُل لاّ تَمُنّواْ عَلَيّ إِسْلاَمَكُمْ بَلِ اللّهُ يَمُنّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَداكُمْ لِلإيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ }.
يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: يمنّ عليك هؤلاء الأعراب يا محمد أن أسلموا قُلْ لا تَمُنّوا عَليّ إسْلاَمَكُمْ بَلِ اللّهُ يَمُنّ عَلَيْكُمْ أنْ هَدَاكُمْ للإيمَانِ يقول: بل الله يمن عليكم أيها القوم أن وفقكم للإيمان به

وبرسوله إنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ يقول: إن كنتم صادقين في قولكم آمنا, فإن اللـه هو الذي منّ عليكم بأن هداكم له, فلا تمنوا عليّ بإسلامكم.
وذُكر أن هؤلاء الأعراب من بني أسد, امتنوا على رسول اللـه صـلى اللـه عليه وسلم, فقالوا: آمنا من غير قتال, ولم نقاتلك كما قاتلك غيرنـا, فـأنزل الله فيهم هذه الآيات: ذكر من قال ذلك:
24612ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا محمد بن جعفر, قال: حدثنا شـعبة, عن أبي بشر, عن سعيد بن جُبَير في هذه الآية يَمُنّونَ عَلَيْكَ أنْ أسْـلَمُوا أهـم بنو أسد؟ قال: قد قيل ذلك.
حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا سهل بن يوسف, قال: حدثنا شعبة, عن أبي بشر, قال: قلت لسعيد بن جُبَير يمُنّونَ عَلَيْكَ أنْ أسْلَمُوا أهم بنو أسد؟ قـال: يزعمون ذاك.
24613ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, عن حـبيب بـن أبي عمرة, قال: كان بشر بن غالب ولبيد بـن عطـارد, أو بشـر بـن عطـارد, ولبيد بن غالب عند الحجاج جالسين, فقال بشر بن غالب للبيـد بـن عطـارد: نزلت في قومك بني تميم إنّ الّذِينَ يُنادُنَكَ مِنْ وَرَاءِ الحُجُرَاتِ فـذكرت ذلـك لسعيد بن جُبير, فقال: إنه لو علم بآخر الآية أجابه يَمُنّـونَ عَلَيْـكَ أنْ أسْـلَمُوا قالوا أسلمنا ولم نقاتلك بنو أسد.
24614ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة لا تَمُنّوا أنا أسلمنا بغير قتال لم نقاتلك كما قاتلك بنـو فلان وبنـو فلان, فقـال الله لنبيه صلى الله عليه وسلم: قُلْ لهم لا تَمُنّوا عَليّ إسْلامَكُمْ بَلِ اللّهُ يَمُـنّ عَلَيْكُمْ أنْ هَدَاكُمْ للإيمَانِ.
24615ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قـال ابـن زيـد, فـي قوله: يَمُنّونَ عَلَيْكَ أنْ أسْلَمُوا قُلْ لا تَمُنّوا عَليّ إسْلامَكُمْ قال: فهـذه الآيـات نزلت في الأعراب.

الآية : 18

القول فـي تأويـل قـوله تعـالى: {إِنّ اللّـهَ يَعْلَـمُ غَيْـبَ السّـمَاوَاتِ وَالأرْضِ وَاللّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ }.
يقول تعالى ذكره: إن الله أيها الأعراب لا يخفى عليه الصادق منكم مـن الكاذب, ومن الداخل منكم في ملـة الإسـلام رغبـة فيـه, ومـن الـداخل فيـه رهبة من رسولنا محمد صـلى اللـه عليـه وسـلم وجنـده, فلا تعلمونـا دينكـم وضمائر صدوركم, فإن الله يعلـم مـا تكنـه ضـمائر صـدوركم, وتحـدّثون بـه أنفسكم, ويعلم ما غـاب عنكـم, فاستسـرّ فـي خبايـا السـموات والأرض, لا يخفى عليه شيء من ذلـك واللّـهُ بَصِـيرٌ بِمـا تَعْمَلُـونَ يقـول: واللـه ذو بصـر بأعمالكم التي تعملونها, أجهرا تعملون أم سرّا, طاعـة تعملـون أو معصـية؟ وهو مجازيكم على جميع ذلك, إن خيرا فخير, وإن شرّا فشرّ وكُفُؤه.
وإنْ في قوله: يَمُنّوا عَلَيْكَ أنْ أسْلَمُوا في موضع نصب بوقوع يمنون عليها, وذكر أن ذلك في قراءة عبد الله «يَمُنّونَ عَلَيْكَ إسْلامَهُمْ», وذلك دليل علـى صحة ما قلنا, ولو قيل: هي نصب بمعنـى: يمنـون عليـك لأن أسـلموا, لكـان وجها يتجه. وقال بعض أهـل العربيـة: هـي فـي موضـع خفـض. بمعنـى: لأن أسلموا.
وأما أن التي في قوله: بَلِ اللّهُ يَمُنّ عَلَيْكُمْ أنْ هَدَاكُمْ فإنها في موضع نصب بسقوط الصلة لأن معنى الكلام: بل الله يمنّ عليكم بأن هداكم للإيمان.

سورة ق

سورة ق مكية
وآياتها خمس وأربعون

بِسم الله الرحمَن الرحيم

الآية : 1-2

القول في تأويل قوله تعالى: {قَ وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ * بَلْ عَجِبُوَاْ أَن جَآءَهُمْ مّنذِرٌ مّنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَـَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ }.

اختلف أهل التأويل في قوله: ق, فقال بعضهم: هو اسم من أسماء الله تعالى أقسم به ذكر من قال ذلك:

24616ـ حدثني عليّ بن داود, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس في قوله: ق و ن وأشباه هذا, فإنه قسم أقسمه الله, وهو اسم من أسماء الله.

وقال آخرون: هو اسم من أسماء القرآن. ذكر من قال ذلك:

24617ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة, في قوله ق قال: اسم من أسماء القرآن.

وقال آخرون: ق اسم الجبل المحيط بالأرض, وقد تقدّم بياننا في تأويل حروف المعجم التي في أوائل سور القرآن بما فيه الكفاية عن إعادته في هذا الموضع.

وقوله: وَالقُرآنِ المَجِيدِ يقول: والقرآن الكريم. كما:

24618ـ حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا يحيى بن يمان, عن أشعث بن إسحاق, عن جعفر بن أبي المغيرة, عن سعيد بن جُبَير ق والقرآن المَجِيدِ قال: الكريم.

واختلف أهل العربية في موضع جواب هذا القسم, فقال بعض نحوّيي البصرة ق والقُرآنِ المَجِيدِ قسم على قوله: قَدْ عَلِمْنا ما تَنْقُصُ الأرْضُ مِنْهُمْ وقال بعض نحوّيي أهل الكوفة: فيها المعنى الذي أقسم به, وقال: ذكر أنها قضى والله, وقال: يقال: إن قاف جبل محيط بالأرض, فإن يكن كذلك فكأنه في موضع رفع: أي هو قاف والله قال: وكان ينبغي لرفعه أن يظهر لأنه اسم وليس بهجاء قال: ولعلّ القاف وحدها ذكرت من اسمه, كما قال الشاعر:

(قُلْت لهَا قِفِي لَنَا قالَتْ قافْ)

ذُكرت القاف إرادة القاف من الوقف: أي إني واقفة.

وهذا القول الثاني عندنا أولى القولين بالصواب, لأنه لا يعرف في أجوبة الإيمان قد, وإنما تجاب الأيمان إذا أجيبت بأحد الحروف الأربعة: اللام, وإن, وما, ولا, أو بترك جوابها فيكون ساقطا.

وقوله: بَلْ عَجِبُوا أنْ جاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ما كذّبك يا محمد مشركو قومك أن لا يكونوا عالمين بأنك صادق محقّ, ولكنهم كذّبوا تعجبا من أن جاءهم منذر ينذرهم عقاب الله منهم, يعني بشرا منهم من بني آدم, ولم يأتهم مَلك برسالة من عند الله وقوله: فَقالَ الكافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ يقول تعالى ذكره: فقال المكذّبون

بالله ورسوله من قريش إذ جاءهم منذر منهم هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ: أي مجيء رجل منا من بني آدم برسالة الله إلينا, هَلاّ أُنْزِلَ إلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرا.

الآية : 3-4

القول في تأويل قوله تعالى: {أَإِذَا مِتْنَا وَكُنّا تُرَاباً ذَلِكَ رَجْعُ بَعِيدٌ * قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ الأرْضَ مِنْهُمْ وَعِندَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ }.

يقول القائل: لم يجر للبعث ذكر, فيخبر عن هؤلاء القوم بكفرهم ما دعوا إليه من ذلك, فما وجه الخبر عنهم بإنكارهم ما لم يدعوا إليه, وجوابهم عما لم يُسألوا عنه. قيل: قد اختلف أهل العربية في ذلك, فنذكر ما قالوا في ذلك, ثم نتبعه البيان إن شاء الله تعالى, فقال في ذلك بعض نحوّيي البصرة قال: أئذا مِتْنا وكُنّا تُرَابا ذَلكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ, لم يذكر أنه راجع, وذلك والله أعلم لأنه كان على جواب, كأنه قيل لهم: إنكم ترجعون, فقالوا: أئِذَا متنا وكُنّا تُرَابا ذَلكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ وقال بعض نحوّيي الكوفة قوله: أئِذَا متْنا وكُنّا تُرَابا كلام لم يظهر قبله, ما يكون هذا جوابا له, ولكن معناه مضمر, إنما كان والله أعلم: ق والقرآن المجيد لَتُبْعثنّ بعد الموت, فقالوا: أئذَا كنا ترابا بُعثنا؟ جحدوا البعث, ثم قالوا: ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ جحدوه أصلاً, قوله: بَعِيدٌ كما تقول للرجل يخطىء في المسألة, لقد ذهبت مذهبا بعيدا من الصواب: أي أخطأت. والصواب من القول في ذلك عندنا, أن في هذا الكلام متروكا استغني بدلالة ما ذُكر عليه من ذكره, وذلك أن الله دلّ بخبره عن تكذيب هؤلاء المشركين الذين ابتدأ هذه السورة بالخبر عن تكذيبهم رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم بقوله: بَلْ عَجِبُوا أنْ جاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقالَ الكافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ على وعيده إياهم على تكذيبهم محمدا صلى الله عليه وسلم, فكأنه قال لهم: إذ قالوا منكرين رسالة الله رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ ستعلمون أيها القوم إذا أنتم بُعثتم يوم القيامة ما يكون حالكم في تكذيبكم محمدا صلى الله عليه وسلم, وإنكاركم نبوّته, فقالوا مجيبين رسول الله صلى الله عليه وسلم أئِذَا مِتْنا وكُنّا تُرابا نعلم ذلك, ونرى ما تعدنا على تكذيبك ذلكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ: أي أن ذلك غير كائن, ولسنا راجعين أحياء بعد مماتنا, فاستغني بدلالة قوله: بَلْ عَجِبُوا أنْ جاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فقال الكافرون هَذَا شَيْءٌ عَجيبٌ من ذكر ما ذكرت من الخبر عن وعيدهم. وفيما:

24619ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: حدثنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول قي قوله: أئِذَا متْنا وكُنّا تُرَابا ذلكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ قالوا: كيف يحيينا الله, وقد صرنا عظاما ورفاتا, وضللنا في الأرض, دلالة على صحة ما قلنا من أنهم أنكروا البعث إذا توعّدوا به.

وقوله: قَدْ عَلِمْنا ما تَنْقُصُ الأرْضُ مِنْهُمُ يقول تعالى ذكره: قد علمنا ما تأكل الأرض من أجسامهم بعد مماتهم, وعندنا كتاب بما تأكل الأرض وتفني من أجسامهم, ولهم كتاب مكتوب مع علمنا بذلك, حافظ لذلك كله, وسماه الله تعالى حفيظا, لأنه لا يدرس ما كتب فيه, ولا يتغير ولا يتبدل. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

24620ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: قَدْ عَلِمْنا ما تَنْقُصُ الأرْضُ مِنْهُمْ يقول: ما تأكل الأرض من لحومهم وأبشارهم وعظامهم وأشعارهم.

24621ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابـن أبـي نجيح, عن مجاهد, قوله: ما تَنْقُصُ الأرْضُ مِنْهُمْ قال: من عظامهم.
24622ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتـادة, فـي قوله: قَدْ عَلِمْنا ما تَنْقُصُ الأرْضُ مِنْهُمُ يقول: ما تأكل الأرض منهم.
حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة قَدْ عَلِمْنا ما تَنْقُصُ الأرْضُ مِنْهُمْ قال: يعني الموت, يقول: من يموت منهم, أو قال: ما تأكل الأرض منهم إذا ماتوا.
24623ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقـول: أخبرنـا عبيـد, قال: سمعت الضحاك يقول, قال الله قَدْ عَلِمْنا ما تَنْقُصُ الأرْضُ مِنْهُمْ يقول: ما أكلت الأرض منهم ونحن عالمون به, وهم عندي مع علمي فيهم في كتاب حفيظ.

الآية : 5-6

القول فـي تأويـل قوله تعالى: {بَلْ كَذّبُواْ بِالْحَقّ لَمّا جَآءَهُمْ فَهُـمْ فِـيَ أَمْـرٍ مّرِيجٍ * أَفَلَمْ يَنظُرُوَاْ إِلَى السّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْـفَ بَنَيْنَاهَـا وَزَيّنّاهَـا وَمَـا لَهَـا مِـن فُرُوجٍ }.
يقول تعالى ذكره: ما أصاب هؤلاء المشركون القائلون أئِذَا مِتْنا وكُنّا تُرَابا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ في قيلهم هذا بَلْ كَذّبُوا بالحَقّ, وهـو القـرآن لَمّـا جَـاءَهُمْ مـن الله. كالذي:
24624ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سـعيد, عـن قتـادة بَـلْ كَذّبُوا بالحَقّ لَمّا جاءَهُمْ أي كذّبوا بالقرآن فَهُمْ فِي أمْرٍ مَرِيجٍ يقول: فهم فـي أمر مختلط عليهم ملتبس, لا يعرفون حقه من باطله, (يقَالُ) قـد مـرج أمـر الناس إذا اختلط وأهمل.
وقد اختلفت عبارات أهل التأويل في تأويلها, وإن كانت متقاربات المعاني, فقال بعضهم: معناها: فهم في أمر منكر وقال: المريج: هو الشيء المنكـر. ذكر من قال ذلك:
24625ـ حدثني محمد بن خالد بن خداش, قال: ثني سلم بن قُتيبة, عـن وهب بن حبيب الاَمديّ, عن أبي حمزة, عن ابن عباس أنه سُـئل عـن قـوله: أمْرٍ مَرِيجٍ قال: المريج: الشيء المنكر أما سمعت قول الشاعر:
فَجالَتْ والْتَمَسَتْ بهِ حَشاهَافَخَرّ كأنّهُ خُوطٌ مَرِيج
وقال آخرون: بل معنى ذلك: في أمر مختلف. ذكر من قال ذلك:
24626ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن علـيّ, عن ابن عباس, قوله فِي أمْرٍ مَرِيجٍ يقول: مختلف.
وقال آخرون: بل معناه: في أمر ضلالة.
ذكر من قال ذلك:
24627ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس فَهُمْ فِي أمْرٍ مَرِيجٍ قال: هم في أمر ضلالة.
وقال آخرون: بل معناه: في أمر مُلْتبِس. ذكر من قال ذلك:
24628ـ حدثنا أبو كُرَيب, قال: حـدثنا يحيـى بـن يمـان, عـن أشـعث بـن إسحاق, عن جعفر بن أبي المغيرة, عن سعيد بن جُبَير, في قوله: فَهُـمْ فِـي أمْرٍ مَرِيجٍ قال: مُلْتَبِسٍ.

24629ـ حدثنا محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبـي نجيح, عن مجاهد, قوله: أَمْرٍ مَرِيجٍ قال: ملتبس.
24630ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ ملتبس عليهم أمره.
24631ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حـدثنا ابـن ثـور, عـن معمـر, قـال: والتبس عليه دينه.
وقال آخرون: بل هو المختلط. ذكر من قال ذلك:
24632ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قـال ابـن زيـد, فـي قوله: فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ قال: المريج: المختلط.
وإنما قلت: هذه العبارات وإن اختلفت ألفاظها فهي في المعنى متقاربات, لأن الشيء مختلف ملتبس, معناه مشكل. وإذا كان كـذلك كـان منكـرا, لأن المعروف واضح بين, وإذا كان غير معروف كـان لا شـكّ ضـلالة, لأن الهـدى بيّن لا لبس فيه.
وقوله: أَفَلَمْ يَنظُرُوا إلى السّماء فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهـا يقـول تعـالى ذكـره: أفلم ينظر هؤلاء المكذّبون بالبعث بعد الموت المُنكرون قُدرتنا على إحيائهم بعد بلائهم إلى السّماءِ فَوْقَهُمْ كَيْف بَنَيْنَاها فسوّيناها سقفا محفوظا, وزيناهـا بالنجوم وَما لَهَا مِنْ فُرُوج يعني: وما لها من صدوع وفُتوق. وبنحو الـذي قلنـا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
24633ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبـي نجيح, عن مجاهد, قوله: مِنْ فُرُوجٍ قال: شَقّ.
24634ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قـال ابـن زيـد, فـي قوله: وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ قلت له, يعني ابن زيد: الفـروج: الشـيء المتـبرىء بعضه من بعض, قال: نعم.

الآية : 7-8

القول فـي تأويـل قـوله تعـالى: {وَالأرْضَ مَـدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَـا فِيهَـا رَوَاسِـيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلّ زَوْجٍ بَهِيجٍ * تَبْصِرَةً وَذِكْرَىَ لِكُلّ عَبْدٍ مّنِيبٍ }.
وقوله: والأرْضَ مَدَدْنَاهَا يقـول: والأرض بسـطناها وألْقَيْنَـا فِيهـا رَوَاسِـيَ يقول: وجعلنا فيها جبالاً ثوابت, رست في الأرض, وأنْبَتْنا فِيهـا مِـنْ كُـلّ زَوْجٍ بَهِيجٍ يقول تعالى ذكره: وأنبتنا في الأرض من كلّ نوع من نبات حسـن, وهـو البهيج. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
24635ـ حدثنا عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية بن صالح, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: بَهِيجٍ يقول: حسن.
24636ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وأَلْقَيْنا فِيها رَوَاسِيَ والرواسي الجبال وأَنْبَتْنا فيها مِنْ كُلّ زَوْجٍ بَهِيـج: أي مـن كلّ زوج حسن.
24637ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قلت لابن زيد البهيج: هو الحسن المنظر؟ قال نعم: وقوله تَبْصِرَةً يقول: فعلنـا ذلـك تبصـرة لكـم أيها الناس بنصركم بها قدرة ربكم على مـا يشـاء, وَذِكْـرَى لِكُـلّ عَبْـدٍ مُنِيـبٍ يقول: وتذكيرا من الله عظمته وسلطانه, وتنبيهـا علـى وحـدانيته لِكُـلّ عَبْـدٍ

مُنِيبٍ يقول: لكل عبد رجع إلى الإيمان بالله, والعمل بطـاعته. وبنحـو الـذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
24638ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة قوله: تَبْصِرَة نعمة من الله يبصرها العباد وَذِكْرَى لِكُلّ عَبْدٍ مُنِيـبٍ: أي مقبـل بقلبـه إلى الله.
حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمـر, عـن قتـادة, فـي قوله: تَبْصِرَةً وَذِكْرَى قال: تبصرة من الله.
24639ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبـي نجيح, عن مجاهد, قوله: تَبْصِرَةً قال: بصيرة.
24640ـ حدثنا ابن حُمَيد قال: حدثنا مهران, عن سفيان, عن جـابر, عـن عطاء ومجاهد لِكُلّ عَبْدٍ مُنِيبٍ قالا مجيب.

الآية : 9-11

القول فـي تأويـل قوله تعالى: {وَنَزّلْنَا مِنَ السّـمَآءِ مَـآءً مّبَارَكـاً فَأَنبَتْنَـا بِـهِ جَنّاتٍ وَحَبّ الْحَصِيدِ * وَالنّخْلَ بَاسِقَاتٍ لّهَا طَلْعٌ نّضِيدٌ * رّزْقاً لّلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَـا بِهِ بَلْدَةً مّيْتاً كَذَلِكَ الْخُرُوجُ }.
يقول تعالى ذكره: وَنَزّلْنا مِنَ السّماءِ ماءً مطرا مباركا, فأنبتنا به بساتين أشجارا, وحبّ الزرع المحصود من البرّ والشعير, وسائر أنواع الحبوب. كما:
24641ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وَحَبّ الحَصِيدِ هذا البرّ والشعير.
حدثني ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة وَحَـبّ الْحَصِيدِ قال: هو البرّ والشعير.
24642ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبـي نجيح, عن مجاهد وَحَبّ الحَصِيدِ قال: الحِنطة.
وكان بعض أهل العربية يقول في قوله: وحَبّ الْحَصِيدِ الحبّ هو الحصـيد, وهو مما أضيف إلى نفسه مثل قوله: إنّ هَذَا لَهُوَ حَقّ اليَقِينِ.
وقوله: والنّخْلَ باسِقاتٍ يقول: وأنبتنا بالماء الذي أنزلنا من السماء النخل طوالاً, والباسق: هو الطويل يقال للجبل الطويل: جبل باسق, كما قـال أبـو نوفل لابن هُبَيرة:
يا بْنَ الّذِينَ بِفَضْلِهِمْبَسَقَتْ عَلى قَيْسٍ فَزَارَهْ
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
24643ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح قال: ثني معاوية, عـن علـي, عن ابن عباس, قوله: باسِقاتٍ يقول: طوال.
حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله والنّخْلَ باسِقاتٍ قال: النخل الطوال.
24644ـ حدثني يعقوب بن إبراهيم, قال: حدثنا هشيم, عن إسماعيل بن أبي خالد, عن عبد الله بن شدّاد في قوله: والنّخْلَ باسِـقاتٍ قـال: بُسـوقها: طولها في إقامة.
24645ـ حدثنا هناد, قال: حدثنا أبو الأحوص, عن سماك, عن عكرِمة, في قوله: والنّخْلَ باسِقاتٍ الباسقات: الطوال.

24646ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبـي نجيح, عن مجاهد, قوله: باسِقاتٍ قال: الطوال.
24647ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة والنّخْلِ باسِقاتٍ قال: بسوقها طولها.
حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة والنّخْلَ باسِقاتٍ قال: يعني طولها.
24648ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قـال ابـن زيـد, فـي قوله والنّخْلَ باسِقاتٍ قال: البسوق: الطول.
وقوله: لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ يقول: لهذا النخل الباسقات طلع وهو الكُفُرّي, نضيد: يقول: منضود بعضه على بعض متراكب. وبنحو الذي قلنا في ذلك قـال أهـل التأويل. ذكر من قال ذلك:
24649ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي عن أبيه, عن ابن عباس لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ قال: يقول بعضه على بعض.
24650ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبـي نجيح, عن مجاهد, قوله: نَضِيدٌ قال: المنضّد.
24651ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ يقول: بعضه على بعض.
حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ ينضد بعضه على بعض.
وقوله: رِزْقا لِلْعِبادِ يقول: أنبتنا بهذا الماء الذي أنزلنـاه مـن السـماء هـذه الجنات, والحَبّ والنخل قوتا للعباد, بعضها غذاء, وبعضها فاكهة ومتاعا.
وقوله: وأَحْيَيْنا بِهِ بَلْدَةً مَيْتا يقول تعالى ذكره وأحيينا بهذا الماء الذي أنزلناه من السماء بلدة ميتا قد أجدبت وقحطت, فلا زرع فيها ولا نبت.
وقوله: كَذَلكَ الخُرُوجُ يقول تعالى ذكره: كما أنبتنا بهذا المـاء هـذه الأرض الميتة, فأحييناها به, فأخرجنـا نباتهـا وزرعهـا, كـذلك نخرجكـم يـوم القيامـة أحياء من قبوركم من بعد بلائكم فيها بما ينزل عليها من الماء.

الآية : 12-14

القول فـي تأويـل قوله تعالى: {كَذّبَتْ قَبْلَهُـمْ قَـوْمُ نُـوحٍ وَأَصْـحَابُ الـرّسّ وَثَمُودُ * وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ * وَأَصْحَابُ الأيْكَةِ وَقَوْمُ تُبّعٍ كُلّ كَـذّبَ الرّسُلَ فَحَقّ وَعِيدِ }.
يقول تعالى ذكره كذّبتْ قبل هؤلاء المشركين الذين كذّبوا محمدا صـلى الله عليه وسلم من قومه قَوْمُ نوحٍ وأصحْابُ الـرّسّ وقـد مضـى ذكرنـا قبـل أمر أصحاب الرسّ, وأنهم قوم رسَّوا نبيهم في بئر.
24652ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, عن أبـي بكـر, عن عكرِمة بذلك.
24653ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقـول: أخبرنـا عبيـد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: أصْحابُ الرّسّ والرس: بئر قُتل فيهـا صاحب يس.

24654ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبـي نجيح, عن مجاهد, قوله: أصْحابُ الرّسّ قال: بئر.

24655ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابـن وهـب, قـال: أخبرنـا عمـرو بـن الحارث, عن سعيد بن أبي هلال, عن عمرو بن عبد الله, عن قتادة أنه قـال: إن أصحاب الأيكة, والأيكة: الشـجر الملتـفّ, وأصـحاب الـرّسّ كانتـا أمـتين, فبعث الله إليهم نبيا واحدا شعيبا, وعذّبهما الله بعذابين وثَمُودُ وعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ وأصْحابُ الأيْكَةِ وهم قوم شعيب, وقد مضى خبرهم قبل وَقَوْمُ تُبّعٍ.

وكان قوم تُبّعٍ أهل أوثان يعبدونها, فيما:

24656ـ حدثنا به ابن حُمَيد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق.

وكان من خبره وخبر قومه ما:

24657ـ حدثنا به مجاهد بن موسى, قال: حدثنا يزيد, قال: أخبرنا عمران بن حُدَير, عن أبي مجلز, عن ابن عباس, أنه سأل عبد الله بن سلام, عن تُبّع ما كان؟ فقال: إن تبعا كان رجلاً من العرب, وإنه ظهر على النـاس, فاختـار فِتية من الأخيار فاستبطنهم واستدخلهم, حتى أخذ منهم وبايعهم, وإن قـومه استكبروا ذلك وقالوا: قـد تـرك دينكـم, وبـايع الفِتيـة فلمـا فشـا ذلـك, قـال للفتية, فقال الفتية: بيننا وبينهم النار تُحْـرِق الكـاذب, وينجـو منهـا الصـادق, ففعلوا, فعلق الفتية مصاحفهم في أعناقهِم, ثم غدوا إلى النار, فلمـا ذهبـوا أن يـدخلوها, سـفعت النـار فـي وجـوههم, فنكصـوا عنهـا, فقـال لهـم تبّـع: لتدخلنها فلما دخلوها أفرجت عنهم حتى قطعوها, وأنه قال لقـومه ادخلوهـا فلما ذهبوا يدخلونهاسفعت النـار وجـوههم, فنكصـوا عنهـا, فقـال لهـم تُبّـع: لتـدخلنها, فلمـا دخلوهـا أفرجـت عنهـم, حـتى إذا توسـطوا أحـاطت بهـم, فأحرقتهم, فأسلم تُبع, وكان تُبّع رجلاً صالحا.

24658ـ حدثنا ابن حُمَيد, قال: حدثنا سلمة, عن ابـن إسـحاق, عـن أبـي مالك بن ثعلبة بـن أبـي مالـك القرظـي, قـال: سـمعت إبراهيـم بـن محمـد القرظي, قال: سمعت إبراهيم بن محمد بن طلحة بـن عبـد اللـه يحـدّث أن تبعا لما دنا من اليمن ليدخلها, حالت حِمْيَر بينه وبين ذلـك, وقـالوا لا تـدخلها علينا, وقد فارقت ديننا فدعاهم إلى دينه, وقـال: إنـه ديـن خيـر مـن دينكـم, قالوا: فحاكمنا إلى النار, قال نعم, قال: وكانت في اليمـن فيمـا يزعـم أهـل اليمن نار تحكم فيما بينهم فيما يختلفون فيه, تأكل الظالم ولا تضرّ المظلوم فلما قالوا ذلك لتبّع, قال: أنصفتم, فخرج قومه بأوثانهم, وما يتقرّبون به في دينهم قال: خرج الحبران بمصاحفهما في أعناقهما متقلـديهما, حـتى قعـدوا للنار عند مخرجها التي تخرج منه, فخرجت النار إليهـم فلمـا أقبلـت نحـوهم حادوا عنها وهابوها, فرموهم من حضرهم من الناس, وأمروهم بالصـبر لهـا, فصبروا حتى غشيتهم فأكلت الأوثان وما قرّبوا معهـا, ومـن حمـل ذلـك مـن رجال حِمْيَر وخرج الحـبران بمصـاحفهما فـي أعناقهمـا, تعـرق جباههمـا لـم تضرّهما, فأطبقت حِمْيَر, عند ذلك على دينـه, فمـن هنالـك وغيـر ذلـك كـان أصل اليهودية باليمن.

24659ـ حدثنا ابن حُمَيد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسـحاق عـن بعـض أصحابه أن الحَبرين, ومن خرج معهما من حِمْيَر, إنمـا اتبعـوا النـار ليردّوهـا, وقالوا: مـن ردّهـا فهـو أولـى بـالحقّ فـدنا منهـم رجـال مـن حميـر بأوثـانهم

ليردّوها, فدنت منهم لتأكلهم, فحادوا فلم يستطيعوا ردّها, ودنا منها الحبران بعد ذلك وجعلا يتلوان التوراة, وتنكص حتى ردّاها إلى مخرجها الذي خرجت منه, فأطبقت عند ذلك على دينهما, وكان رئام بيتا لهم يعظمونه, وينحرون عنده, ويكلمون منه, إذ كانوا على شركهم, فقال الحبران لتبّع إنما هو شيطان يعينهم ويلعب بهم, فخلّ بيننا وبينه, قال: فشأنكما به فاستخرجا منه فيما يزعم أهل اليمن كلبا أسود, فذبحاه, ثم هدما ذلك البيت, فبقاياه اليوم باليمن كما ذُكر لي.

24660ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن لهيعة, عن عمرو بن جابر الحضرميّ, حدثه قال: سمعت سهل بن سعد الساعدي, يحدّث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لا تَلْعَنُوا تُبّعا فإنّهُ كانَ قَدْ أسْلَمَ».

24661ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: أخبرني ابن لهيعة, عن الحارث بن يزيد أن شعيب بن زرعة المعافريّ, حدثه, قال: سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص وقال له رجل: إن حِمْيَر تزعم أن تبعا منهم, فقال: نعم والذي نفسي بيده, وإنه في العرب كالأنف بين العينين, وقد كان منهم سبعون ملكا.

وقوله: كُلّ كَذّب الرّسُلَ فَحَقّ وَعَيِدِ يقول تعالى ذكره: كلّ هؤلاء الذين ذكرناهم كذّبوا رسل الله الذين أرسلهم فَحَقّ وَعِيد يقول: فوجب لهم الوعيد الذي وعدناهم على كفرهم بالله, وحل بهم العذاب والنقمة. وإنما وصف ربنا جلّ ثناؤه ما وصف في هذه الآية من إحلاله عقوبته بهؤلاء المكذّبين الرسل ترهيبا منه بذلك مشركي قريش وإعلاما منه لهم أنهم إن لم ينيبوا من تكذيبهم رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم, أنه محلّ بهم من العذاب, مثل الذي أحلّ بهم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

24662ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: فَحَقّ وَعِيدِ قال: ما أهلكوا به تخويفا لهؤلاء.

الآية : 15-16

القول في تأويل قوله تعالى: {أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الأوّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ * وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ }.

وهذا تقريع من الله لمشركي قريش الذين قالوا: أَئِذَا مِتْنَا وكُنّا تُرَابا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ يقول لهم جلّ ثناؤه: أفعيينا بابتداع الخلق الأوّل الذي خلقناه, ولم يكن شيئا فنعيا بإعادتهم خلقا جديدا بعد بلائهم في التراب, وبعد فنائهم يقول: ليس يعيينا ذلك, بل نحن عليه قادرون. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

24663ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: أفَعَيِينا بالخَلْقِ الأوّلِ يقول: لم يعينا الخلق الأوّل.

24664ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: أفَعَيِينا بالخَلْقِ الأوّلِ يقول: أفعيي علينا حين أنشأناكم خلقا جديدا, فتمتروا بالبعث.

24665ـ حدثنا ابن حُمَيد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, عن عطاء بن السائب, عن أبي ميسرة أفَعَيِينا بالخَلْقِ الأوّلِ قال: إنا خلقناكم.
وقوله: بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ يقول تعالى ذكره: ما يشكّ هؤلاء المشركون المكذّبون بالبعث أنا لم نعي بالخلق الأوّل, ولكنهم في شكّ من قُدرتنا على أن نخلقهم خلقا جديدا بعد فنائهم, وبَلائهم في قبورهم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
24666ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: بَلْ هُمْ في لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ؟ يقول: في شكّ من البعث.
24667ـ حدثنا ابن حُمَيد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, عن عطاء بن السائب, عن أبي ميسرة بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ قال: الكفار مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ قال: أن يخلقوا من بعد الموت.
24668ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ: أي شكّ والخلق الجديد: البعث بعد الموت, فصار الناس فيه رجلين: مكذّب, ومصدّق.
حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة, في قوله فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ قال: البعث من بعد الموت.
وقوله: وَلَقَدْ خَلَقْنا الإنْسانَ وَنَعْلَمُ ما تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ يقول تعالى ذكره: ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما تحدّث به نفسه, فلا يخفى علينا سرائره وضمائر قلبه ونَحْنُ أقْرَبُ إلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الوَرِيدِ يقول: ونحن أقرب للإنسان من حبل العاتق والوريد: عرق بين الحلقوم والعلباوين, والحبل: هو الوريد, فأضيف إلى نفسه لاختلاف لفظ اسميه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
24669ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: ونَحْنُ أقْرَبُ إلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الوَرِيدِ يقول: عرق العنق.
24670ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد حَبْلِ الوَرِيدِ قال: الذي يكون في الحلق.
وقد اختلف أهل العربية في معنى قوله: ونَحْنُ أقْرَبُ إلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الوَرِيدِ فقال بعضهم: معناه: نحن أملك به, وأقرب إليه في المقدرة عليه. وقال آخرون: بل معنى ذلك: ونَحْنُ أقْرَبُ إلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الوَرِيد بالعلم بما تُوَسْوس به نفسه.

الآية : 17-18

القول في تأويل قوله تعالى: {إذْ يَتَلَقّى الْمُتَلَقّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشّمَالِ قَعِيدٌ * مّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إلاّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ }.
يقول تعالى ذكره: ونحن أقرب إلى الإنسان من وريد حلقه, حين يتلقى الملَكان, وهما المتلقيان عَنِ اليَمِينِ وَعَنِ الشّمالِ قَعِيد وقيل: عنى بالقعيد: الرصد. ذكر من قال ذلك:
24671ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: قَعِيدٌ قال: رَصَد.

واختلف أهل العربية في وجه توحيد قعيد, وقد ذُكر من قبل متلقيان, فقال بعض نحويي البصرة: قيل: عَنِ اليَمِينِ وَعَنِ الشّمالِ قَعِيدٌ ولم يقل: عن اليمين قعيد, وعن الشمال قعيد, أي أحدهما, ثم استغنى, كما قال: نُخْرِجْكُمْ طِفْلاً ثم استغنى بالواحد عن الجمع, كما قال: فإنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسا. وقال بعض نحويي الكوفة قَعِيدٌ يريد: قعودا عن اليمين وعن الشمال, فجعل فعيل جمعا, كما يجعل الرسول للقوم وللاثنين, قال الله عزّ وجلّ: إنا رَسُولُ رَبّ العالَمِينَ لموسى وأخيه, وقال الشاعر:

أَلِكْنِي إلَيْها وَخَيْرُ الرّسُولِ أعْلَمُهُمْ بِنَوَاحي الخَبرْ

فجعل الرسول للجمع, فهذا وجه وإن شئت جعلت القعيد واحدا اكتفاء به من صاحبه, كما قال الشاعر:

نَحْنُ بِمَا عِنْدَنا وأنْتَ بِمَاعِنْدَكَ رَاضٍ والرّأيُ مُخْتَلِفُ

ومنه قول الفَرَزدق:

إنّي ضَمِنْتُ لِمَنْ أتانِي ما جَنوأَبى فَكانَ وكُنْتُ غَيرَ غَدُورِ

ولم يقل: غَدُورَيْن. وقوله: ما يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إلاّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ يقول تعالى ذكره: ما يلفظ الإنسان من من قول فيتكلم به, إلا عندما يلفظ به من قول رقيب عَتيد, يعني حافظ يحفظه, عتيد مُعَدّ. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

24672ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن منصور, عن مجاهد عن اليمين وَعَنِ الشّمالِ قَعِيدٌ قال: عن اليمين الذي يكتب الحسنات, وعن الشمال الذي يكتب السيئات.

24673ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن الأعمش, عن إبراهيم التيميّ, في قوله: إذْ يَتَلَقّى المُتَلَقّيانِ عَنِ اليَمِينِ وَعَنِ الشّمالِ قَعِيدٌ قال: صاحب اليمين أمير أو أمين على صاحب الشمال, فإذا عمل العبد سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال: أمسك لعله يتوب.

حدثنا ابن حُمَيد, قال: حدثنا حكام, قال: حدثنا عمرو, عن منصور, عن مجاهد إذ يَتَلَقّى المُتَلَقّيانِ عن اليَمِينِ وَعَنِ الشّمالِ قَعِيدٌ قال ملك عن يمينه, وآخر عن يساره, فأما الذي عن يمينه فيكتب الخير, وأما الذي عن شماله فيكتب الشرّ.

قال: ثنا جرير, عن منصور, عن مجاهد, قال: مع كل إنسان مَلكان: ملك عن يمينه, وملك عن يساره قال: فأما الذي عن يمينه, فيكتب الخير, وأما الذي عن يساره فيكتب الشرّ.

24674ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: وَلَقَدْ خَلَقْنا الإنْسانَ وَنَعْلَمُ م ا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ... إلى عَتِيدٌ قال: جعل الله على ابن آدم حافظين في الليل, وحافظين في النهار, يحفظان عليه عمله, ويكتبان أثره.

24675ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: إذْ يَتَلَقّى المُتَلَقّيانِ عَنِ اليَمِينِ وَعَنِ الشّمالِ قَعِيدٌ, حتى بلغ عَتِيدٌ قال الحسن وقتادة ما يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ أي ما يتكلم به من شيء إلا كتب عليه. وكان عكرِمة يقول: إنما ذلك في الخير والشرّ يكتبان عليه.

24676ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة, قال: تلا الحسن عَنِ اليَمِينِ وَعَنِ الشّمالِ قَعِيدٌ قال: فقال: يا ابن آدم بُسِطت لك صحيفة, ووكل بك ملَكان كريمان, أحدهما عن يمينك, والآخر

عن شمالك فأما الذي عن يمينك فيحفظ حسناتك وأما الذي عن شمالك فيحفظ سيئاتك, فاعمل بما شئت أقلل أو أكثر, حتى إذا متّ طويت صحيفتك, فجعلت في عنقك معك في قبرك, حتى تخرج يوم القيامة, فعند ذلك يقول: وكُلّ إنْسانٍ أَلْزَمْناهُ طائِرَهُ فِي عُنُقِهِ... حتى بلغ حَسِيبا عَدَل والله عليك من جعلك حسيب نفسك.

حدثنا ابن حُمَيْد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, عن منصور, عن مجاهد عَنِ اليَمِينِ وَعَنِ الشِّمالِ قَعِيدٌ قال: كاتب الحسنات عن يمينه, وكاتب السيئات عن شماله.

24677ـ قال: ثنا مهران, عن سفيان, قال: بلغني أن كاتب الحسنات أمير على كاتب السيئات, فإذا أذنب قال له: لا تعجل لعله يستغفر.

24678ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: ما يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إلاّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ قال: جعل معه من يكتب كلّ ما لفظ به, وهو معه رقيب.

24679ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: أخبرني عمرو بن الحارث, عن هشام الحمصي, أنه بلغه أن الرجل إذا عمل سيئة قال كاتب اليمين لصاحب الشمال: اكتب, فيقول: لا بل أنت اكتب, فيمتنعان, فينادي مناد: يا صاحب الشمال اكتب ما ترك صاحب اليمين.

الآية : 19-20

القول في تأويل قوله تعالى: {وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقّ ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ * وَنُفِخَ فِي الصّورِ ذَلِكَ يَوْمَ الْوَعِيدِ }.

وفي قوله: وَجاءَتْ سَكْرَةُ المَوْتِ بالحَقّ وجهان من التأويل, أحدهما: وجاءت سكرة الموت وهي شدّته وغلبته على فهم الإنسان, كالسكرة من النوم أو الشراب بالحقّ من أمر الآخرة, فتبينه الإنسان حتى تثبته وعرفه. والثاني: وجاءت سكرة الموت بحقيقة الموت.

وقد ذُكر عن أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه أنه كان يقرأ «وَجاءَتْ سَكْرَةُ الحَقّ بالمَوْتِ». ذكر الرواية بذلك:

24680ـ حدثنا محمد بن المثنى, قال: حدثنا محمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, عن واصل, عن أبي وائل, قال: لما كان أبو بكر رضي الله عنه يقضي, قالت عائشة رضي الله عنها هذا, كما قال الشاعر:

إذَا حَشْرَجَتْ يَوْما وَضَاقَ بِها الصّدْرُ

فقال أبو بكر رضي الله عنه: لا تقولي ذلك, ولكنه كما قال الله عزّ وجلّ: وَجاءَتْ سَكْرَةُ المَوْتِ بالحَقّ ذلكَ ما كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ. وقد ذُكر أن ذلك كذلك في قراءة ابن مسعود. ولقراءة من قرأ ذلك كذلك من التأويل وجهان::

أحدهما: وجاءت سكرة الله بالموت, فيكون الحقّ هو الله تعالى ذكره. والثاني: أن تكون السكرة هي الموت أضيفت إلى نفسها, كما قيل: إنّ هذَا لهُوَ حَقّ اليَقِينِ. ويكون تأويل الكلام: وجاءت السكرةُ الحقّ بالموت.

وقوله: ذلكَ ما كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ يقول: هذه السكرة التي جاءتك أيها الإنسان بالحقّ هو الشيء الذي كنت تهرب منه, وعنه تروغ.

وقوله: وَنُفِخَ فِي الصّورِ ذلكَ يَوْمُ الوَعِيدِ قد تقدّم بياننا عن معنى الصّور, وكيف النّفخ فيه بذكر اختلاف المختلفين. والذي هو أولى الأقوال عندنا فيه بالصواب, بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع.

وقوله: ذلكَ يَوْمُ الوَعِيدِ يقول: هذا اليوم الذي ينفخ فيه هو يوم الوعيد الذي وعده الله الكفار أن يعذّبهم فيه.

الآية : 21-22

القول في تأويل قوله تعالى: {وَجَآءَتْ كُلّ نَفْسٍ مّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ * لّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مّنْ هَـذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ }.

يقول تعالى ذكره: وجاءت يوم ينفخ في الصور كلّ نفس ربها, معها سائق يسوقها إلى الله, وشهيد يشهد عليها بما في الدنيا من خير أو شرّ. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

24681ـ حدثنا ابن حُمَيد, قال: حدثنا مهران, عن إسماعيل بن أبي خالد, عن يحيى بن رافع مولى لثقيف, قال: سمعت عثمان بن عفان رضي الله عنه يخطب, فقرأ هذه الآية سائِقٌ وشَهِيدٌ قال: سائق يسوقها إلى الله, وشاهد يشهد عليها بما عملت.

24682ـ قال: ثنا حكام, عن إسماعيل, عن أبي عيسى, قال: سمعت عثمان بن عفان رضي الله عنه يخطب, فقرأ هذه الآية وَجاءَتْ كُلّ نَفْسٍ مَعَها سائِقٌ وشَهِيدٌ قال: السائق يسوقها إلى أمر الله, والشهيد يشهد عليها بما عملت.

24683ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: وَجاءَتْ كُلّ نَفْسٍ مَعَها سائِقٌ وَشَهِيدٌ قال: السائق من الملائكة, والشهيد: شاهد عليه من نفسه.

24684ـ حدثنا ابن حُمَيد, قال: حدثنا سفيان, عن مهران, عن خصِيف, عن مجاهد سائِقٌ وشَهِيدٌ سائق يسوقها إلى أمر الله, وشاهد يشهد عليها بما عملت.

حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد سائِقٌ وشَهِيدٌ سائق يسوقها إلى أمر الله, وشاهد يشهد عليها بما عملت.

24685ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن نجيح, عن مجاهد في قول الله سائِقٌ وشَهِيدٌ قال: المَلكان: كاتب, وشهيد.

24686ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَجاءَتْ كُلّ نَفْسٍ مَعَها سائِقٌ وشَهِيدٌ قال: سائق يسوقها إلى ربها, وشاهد يشهد عليها بعملها.

حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا سليمان بن حرب, قال: حدثنا أبو هلال, قال: حدثنا قتادة, في قوله: وَجاءَتْ كُلّ نَفْسٍ مَعَها سائِقٌ وشَهِيدٌ قال: سائق يسوقها إلى حسابها, وشاهد يشهد عليها بما عملت.

24687ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن الحسن مَعَها سائِقٌ وشَهِيدٌ قال: سائق يسوقها, وشاهد يشهد عليها بعملها.

24688ـ حدثنا ابن حُمَيد, قال: حدثنا مهران, عن أبي جعفر, عن الربيع بن أنس سائِقٌ وشَهِيدٌ قال: سائق يسوقها, وشاهد يشهد عليها بعملها.

24689ـ وحُدّثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: وَجاءَتْ كُلّ نَفْسٍ مَعَها سائِقٌ وشَهِيدٌ

السائق من الملائكة, والشاهد من أنفسهم: الأيدي, والأرجل, والملائكة أيضا شهداء عليهم.

24690ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله سائِقٌ وشَهِيدٌ قال: مَلك وُكِّل به يحصي عليه عمله, ومَلك يسوقه إلى محشره حتى يوافي محشره يوم القيامة.

واختلف أهل التأويل في المعنيّ بهذه الآيات فقال بعضهم: عنى بها النبيّ صلى الله عليه وسلم. وقال بعضهم: عنى أهل الشرك, وقال بعضهم: عُنِي بها كلّ أحد. ذكر من قال ذلك:

24691ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب قال: ثني يعقوب بن عبد الرحمن الزهريّ, قال: سألت زيدبن أسلم, عن قوله الله: وَجاءَتْ سَكْرَةُ المَوْتِ بالحَقّ... الآية, إلى قوله: سائِقٌ وشَهِيدٌ, فقلت له: من يُراد بهذا؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم, فقلت له رسول الله؟ فقال: ما تنكر؟ قال الله عزّ وجلّ: أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيما فآوَى وَوَجَدَكَ ضَالاّ فَهَدَى قال: ثم سألت صالح بن كيسان عنها, فقال لي: هل سألت أحدا؟ فقلت: نعم, قد سألت عنها زيدبن أسلم, فقال: ما قال لك؟ فقلت: بل تخبرني ما تقول, فقال: لأخبرنك برأيي الذي عليه رأيي, فأخبرني ما قال لك؟ قلت: قال: يُراد بهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم, فقال: وما علم زيد؟ والله ما سنّ عالية, ولا لسان فصيح, ولا معرفة بكلام العرب, إنما يُراد بهذا الكافر. ثم قال: اقرأ ما بعدها يدلك على ذلك, قال: ثم سألت حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس, فقال لي مثل ما قال صالح: هل سألت أحدا فأخبرني به؟ قلت: إني قد سألت زيد بن أسلم وصالح بن كيسان, فقال لي: ما قالا لك؟ قلت: بل تخبرني بقولك, قال: لأخبرنك بقولي, فأخبرته بالذي قالا لي, قال: أخالفهما جميعا, يريد بها البرّ والفاجر, قال الله: وَجاءَتْ سَكْرَةُ المَوْتِ بالحَقّ ذلكَ ما كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ فَكَشَفْنا عَنْكَ غِطاءَكَ فَبَصَرُك اليَوْمَ حَدِيدٌ قال: فانكشف الغطاء عن البرّ والفاجر, فرأى كلّ ما يصير إليه.

24692ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: وَجاءَتْ كُلّ نَفْسٍ مَعَها سائِقٌ وشَهِيدٌ يعني المشركين.

وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال: عنى بها البرّ والفاجر, لأن الله أتبع هذه الآيات قوله: وَلَقَدْ خَلَقْنا الإنْسانَ وَنَعْلَمُ ما تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُه والإنسان في هذا الموضع بمعنى: الناس كلهم, غير مخصوص منهم بعض دون بعض. فمعلوم إذا كان ذلك كذلك أن معنى قوله: وَجاءَتْ سَكْرَةُ المَوْتِ بالحَقّ وجاءتك أيها الإنسان سكرة الموت بالحقّ ذلكَ ما كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ وإذا كان ذلك كذلك كانت بينةٌ صحة ما قلنا.

وقوله: لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا يقول تعالى ذكره: يقال له: لقد كنت في غفلة من هذا الذي عاينت اليوم أيها الأنسان من الأهوال والشدائد فَكَشَفْنا عَنْكَ غطاءَكَ يقول: فجلينا ذلك لك, وأظهرناه لعينيك, حتى رأيته وعاينته, فزالت الغفلة عنك. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل, وإن اختلفوا في المقول ذلك له, فقال بعضهم: المقول ذلك له الكافر. وقال آخرون: هو نبيّ الله صلى الله عليه وسلم. وقال آخرون: هو جميع الخلق من الجنّ والإنس. ذكر من قال: هو الكافر.

24693ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنا عَنْكَ غِطاءَكَ وذلك الكافر.
24694ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: فَكَشَفْنا عَنْكَ غِطاءَكَ قال: للكافر يوم القيامة.
24695ـ حدثنا ابن حُمَيد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان فَكَشَفْنا عَنْك غِطاءَكَ قال: في الكافر. ذكر من قال: هو نبيّ الله صلى الله عليه وسلم.
24696ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا قال: هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم, قال: لقد كنت في غفلة من هذا الأمر يا محمد, كنت مع القوم في جاهليتهم فَكَشَفْنا عَنْكَ غِطاءَكَ فَبَصَرُكَ اليَوْمَ حَدِيدٌ.
وعلى هذا التأويل الذي قاله ابن زيد يجب أن يكون هذا الكلام خطابا من الله لرسوله صلى الله عليه وسلم أنه كان في غفلة في الجاهلية من هذا الدين الذي بعثه به, فكشف عنه غطاءه الذي كان عليه في الجاهلية, فنفذ بصره بالإيمان وتبيّنه حتى تقرّر ذلك عنده, فصار حادّ البصر به. ذكر من قال: هو جميع الخلق من الجنّ والإنس.
24697ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: ثني يعقوب بن عبد الرحمن الزهريّ, قال: سألت عن ذلك الحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس, فقال: يريد به البرّ والفاجر, فَكَشَفْنا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكُ اليَوْمَ حَدِيدٌ قال: وكُشِف الغطاء عن البرّ والفاجر, فرأى كلّ ما يصير إليه. وبنحو الذي قلنا في معنى قوله: فَكَشَفْنا عَنْكَ غِطاءَكَ قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
24698ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: فَكَشَفْنا عَنْكَ غِطاءَكَ قال: الحياة بعد الموت.
24699ـ حدثنا بشر قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنا عَنْكَ غِطاءَكَ قال: عاين الآخرة.
وقوله: فَبَصَرُكَ اليَوْمَ حَدِيدٌ يقول: فأنت اليوم نافذ البصر, عالم بما كنت عنه في الدنيا في غفلة, وهو من قولهم: فلان بصير بهذا الأمر: إذا كان ذا علم به, وله بهذا الأمر بصر: أي علم.
وقد رُوي عن الضحاك إنه قال: معنى ذلك فَبَصَرُكَ اليَوْمَ حَدِيدٌ لسان الميزان, وأحسبه أراد بذلك أن معرفته وعلمه بما أسلف في الدنيا شاهد عدل عليه, فشبّه بصره بذلك بلسان الميزان الذي يعدل به الحقّ في الوزن, ويعرف مبلغه الواجب لأهله عما زاد على ذلك أو نقص, فكذلك علم من وافى القيامة بما اكتسب في الدنيا شاهد عليه كلسان الميزان.

الآية : 23-25

القول في تأويل قوله تعالى: {وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَيّ عَتِيدٌ * أَلْقِيَا فِي جَهَنّمَ كُلّ كَفّارٍ عَنِيدٍ * مّنّاعٍ لّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مّرِيبٍ }.
يقول تعالى ذكره: وقال قرين هذا الإنسان الذي جاء به يوم القيامة معه سائق وشهيد. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

24700ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا ما لَدَيّ عَتِيدٌ الملك.
24701ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وقَالَ قَرِينُهُ هَذَا ما لَدَيّ عَتِيدٌ... إلى آخر الآية, قال: هذا سائقه الذي وُكِّل به, وقرأ وَجاءَتْ كُلّ نَفْسٍ مَعَها سائِقٌ وَشَهِيدٌ.
وقوله: هَذَا ما لَدَيّ عَتِيدٌ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قِيل قَرِينِ هذا الإنسان عند موافاته ربه به, ربّ هذا ما لديّ عتيد: يقول: هذا الذي هو عندي معدّ محفوظ. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: هَذَا ما لَدَيّ عَتِيدٌقال: والعتيد: الذي قد أخذه, وجاء به السائق والحافظ معه جميعا.
وقوله: أَلْقِيا فِي جَهَنّمَ كُلّ كَفّارٍ عَنِيدٍ فيه متروك استغنى بدلالة الظاهر عليه منه, وهو: يقال ألقيا في جهنم, أو قال تعالى: ألقيا, فأخرج الأمر للقرين, وهو بلفظ واحد مخرج خطاب الاثنين. وفي ذلك وجهان من التأويل: أحدهما: أن يكون القرين بمعنى الاثنين, كالرسول, والاسم الذي يكون بلفظ الواحد في الواحد, والتثنية والجمع, فردّ قوله: أَلْقِيا في جَهَنّمَ إلى المعنى. والثاني: أن يكون كما كان بعض أهل العربية يقول, وهو أن العرب تأمر الواحد والجماعة بما تأمر به الاثنين, فتقول للرجل ويلك أرحلاها وازجراها, وذكر أنه سَمِعها من العرب قال: وأنشدني بعضهم:
فَقُلْتُ لصَاحِبي لا تَحْبسانابنزْعِ أُصُولهِ واجْتَزّ شيحا
وقال: وأنشدني أبو ثروان:
فإنْ تَزْجُرانِي يا بْنَ عَفّانَ أنْزَجِرْوَإنْ تَدَعانِي أحْمِ عِرْضا مُمَنّعا
قال: فيروي أن ذلك منهم أن الرجل أدنى أعوانه في إبله وغنمه اثنان, وكذلك الرفقة أدنى ما تكون ثلاثة, فجرى كلام الواحد على صاحبيه, وقال: ألا ترى الشعراء أكثر قيلاً يا صاحبيّ يا خليليّ, وقال امرؤ القَيس:
خَلِيلَيّ مُرّا بِي على أُمّ جُنْدَبِنُقَضّ لُباناتِ الفُؤَادِ المُعَذّبِ
ثم قال:
أَلَمْ تَرَ أنّي كُلّما جِئْتُ طارِقاوَجَدْتُ بِها طِيْبا وَإنْ لّمْ تَطَيّبِ
فرجع إلى الواحد, وأوّل الكلام اثنان قال: وأنشدني بعضهم:
خَلِيلَيّ قُوما في عَطالَةَ فانْظُرَا:أنارٌ تُرَى مِنْ ذِي أبانَيْنِ أمْ بَرْقا
وبعضهم يروي: أنارا نرى.
كُلّ كَفّارٍ عَنِيدٍ يعني: كل جاحد وحدانية الله عنيد, وهو العانِد عن الحقّ وسبيل الهدى.
وقوله: مَنّاعٍ لِلْخَيْرِ كان قتادة يقول في الخير في هذا الموضع: هو الزكاة المفروضة.
24702ـ حدثنا بذلك بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة.
والصواب من القول في ذلك عندي أنه كلّ حقّ وجب لله, أو لآدمي في ماله, والخير في هذا الموضع هو المال.
وإنما قلنا ذلك هو الصواب من القول, لأن الله تعالى ذكره عمّ بقوله مناع للخير عنه أنه يمنع الخير ولم يخصص منه شيئا دون شيء, فذلك على كلّ خير يمكن منعه طالبه.
وقوله: مُعْتَدٍ يقول: معتد على الناس بلسانه بالبذاء والفحش في المنطق, وبيده بالسطوة والبطش ظلما. كما:

24703ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة: معتد في منطقه وسيرته وأمره.
وقوله: مُرِيبٍ يعني: شاكّ في وحدانية الله وقُدرته على ما يشاء. كما:
24704ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: مُرِيبٌ: أي شاكّ.

الآية : 26

القول في تأويل قوله تعالى: {الّذِي جَعَلَ مَعَ اللّهِ إِلَـهاً آخَـرَ فَأَلْقِيَـاهُ فِـي الْعَذَابِ الشّدِيدِ }.
يقول تعالى ذكره: الذي أشرك بالله فعبد معه معبودا آخر من خلقه فأَلْقِياهُ فِي العَذَابِ الشّدِيدِ يقول: فألقياه في عذاب جهنم الشديد.

الآية : 27-28

القول في تأويل قوله تعالى: {قَالَ قرِينُهُ رَبّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُ وَلَـكِن كَـانَ فِـي ضَلاَلٍ بَعِيدٍ * قَالَ لاَ تَخْتَصِمُواْ لَدَيّ وَقَدْ قَدّمْتُ إِلَيْكُم بِالْوَعِيدِ }.
يقول تعالى ذكره: قال قرين هذا الإنسان الكفّار المنّاع للخير, وهو شيطانه الذي كان موكلاً به في الدنيا. كما:
24705ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس قوله: قالَ قَرِينُهُ رَبّنا ما أطْغَيْتُهُ قال: قرينه شيطانه.
24706ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: قالَ قَرِينُهُ قال: الشيطان قُيّض له.
24707ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: الّذِي جَعَلَ مَعَ اللّهِ إلَها آخَرَ هو المشرك قالَ قَرِينُهُ رَبّنا ما أطْغَيْتُهُ قال: قرينه الشيطان.
حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة قالَ قَرِينُهُ رَبّنا ما أطْغَيْتُهُ قال: قرينه: الشيطان.
24708ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: قالَ قَرِينُهُ رَبّنا ما أطْغَيْتُهُ قال: قرينه: شيطانه.
24709ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: قالَ قَرِينُهُ رَبّنا ما أطْغَيْتُهُ قال: قرينه من الجنّ: ربنا ما أطغيته, تبرأ منه.
وقوله: رَبّنا ما أطْغَيْتُهُ يقول: ما أنا جعلته طاغيا متعدّيا إلى ما ليس له, وإنما يعني بذلك الكفر بالله وَلَكِنْ كانَ فِي ضَلالٍ بَعِيدٍ يقول: ولكن كان في طريق جائر عن سبيل الهدى جورا بعيدا. وإنما أخبر تعالى ذكره هذا الخبر, عن قول قرين الكافر له يوم القيامة, إعلاما منه عباده, تبرأ بعضهم من بعض يوم القيامة. كما:
24710ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: رَبّنا ما أطْغَيْتُهُ قال: تبرأ منه.
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

24711ـ حدثني عبد الله بن أبي زياد, قال: حدثنا عبد الله بـن أبـي بكـر, قال: حدثنا جعفر, قال: سمعت أبا عمران يقول في قـوله: رَبّنـا مـا أَطْغَيْتُـهُ تبرأ منه.

وقوله: لا تَخْتَصِمُوا لَدَيّ يقول تعالى ذكـره: قـال اللـه لهـؤلاء المشـركين الذين وصف صفتهم, وصفة قرنائهم من الشـياطين لا تَخْتَصِـمُوا لَـدَيّ اليـوم وَقَدْ قَدّمْتُ إلَيْكُمْ فـي الـدنيا قبـل اختصـامكم هـذا, بالوعيـد لمـن كفـر بـي, وعصاني, وخالف أمري ونهي في كتبي, وعلى ألسـن رسـلي. وبنحـو الـذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

24712ـ حدثني عبد الله بن أبي زياد, قال: حدثنا عبد الله بـن أبـي بكـر, قال: حدثنا جعفر, قال: سمعت أبا عمران يقول في قوله: وَقَدْ قَدّمْتُ إلَيْكُمْ بالوَعِيدِ قال: بالقرآن.

24713ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن علـيّ, عن ابن عباس, في قوله: لا تَخْتَصِمُوا لَـدَيّ قـال: إنهـم اعتـذروا بغيـر عـذر, فأبطل الله حجتهم, وردّ عليهم قولهم.

24714ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قـال ابـن زيـد, فـي قوله: لا تَخْتَصِمُوا لَدَيّ وَقَدْ قَدّمْتُ إلَيْكُـمْ بالوَعِيـدِ قـال: يقـول: قـد أمرتكـم ونهيتكم, قال: هذا ابن آدم وقرينه من الجن.

حدثنا ابن حُمَيد, قال: حدثنا مهران, عن أبي جعفر, عن الربيع, قال: قلت لأبـي العاليـة لا تَخْتَصِـمُوا لَـدَيّ وَقَـدْ قَـدّمْتُ إلَيْكُـمْ بالوَعِيـدِ قـال أبـو جعفـر الطبريّ: أحسبه قال: هم أهل الشرك, وقال فـي آيـة أخـرى ثُـمّ إنّكُـمْ يَـوْمَ القِيامَةِ عِنْدَ رَبّكُمْ تَخْتَصِمُونَ فهم أهل القبلة.

الآية : 29-30

القول فـي تأويـل قوله تعالى: {مَا يُبَدّلُ الْقَوْلُ لَدَيّ وَمَآ أَنَاْ بِظَلاّمٍ لّلْعَبِيدِ * يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنّمَ هَلِ امْتَلأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مّزِيدٍ }.

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيله للمشـركين وقرنـائهم مـن الجـنّ يـوم القيامة, إذ تبرأ بعضهم من بعض: ما يغير القول الذي قلتـه لكـم فـي الـدنيا, وهو قوله لأَمْلأَنّ جَهَنّمَ مِنَ الجِنّةِ وَالنّاسِ أجمَعِيـنَ, ولا قضـائي الـذي قضـيته فيهم فيها. كما:

24715ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبـي نجيح, عن مجاهد, قوله: ما يُبَدّلُ القَوْلُ لَدَيّ قد قضيت ما أنا قاض.

حدثنا ابن حُمَيد, قال: حـدثنا حكـام, عـن عنبسـة, عـن محمـد بـن عبـد الرحمن, عن القاسم بن أبي بزّة, عن مجاهد, في قوله: ما يُبَدّلُ القَوْلُ لَدَيّ قال: قد قضيت ما أنا قاض.

وقوله: وَما أنا بِظَلاّمٍ للْعَبِيدِ يقول: ولا أنا بمعاقب أحدا مـن خلقـي بجـرم غيره, ولا حامل على أحَد منهم ذنب غيره فمعذّبه به.

وقوله: يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنّمَ يقول: وما أنا بظلام للعبيد في يَوْمَ نَقُـولُ لجَهَنّـمَ هَلْ امْتَلأْتِ وذلك يوم القيامة, ويوم نقول من صلة ظلاّم. وقال تعالى ذكــره لجهنم يوم القيامة: هَلِ امْتَلأْتِ؟ لما سبق مـن وعـده إياهـا بـأنه يملأهـا مـن الجِنّة والناس أجمعين.

وأما قوله: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ فإن أهل التأويل اختلفوا في تأويله, فقال بعضهم: معناه: ما من مزيد. قالوا: وإنما يقول الله لها: هل امتلأت بعد أن يضع قدمه

فيها, فينزوي بعضها إلى بعض, وتقول: قطِ قطِ, من تضايقها فإذا قال لها وقد صارت كذلك: هل امتلأت؟ قالت حينئذ: هل من مزيد: أي ما من مزيد, لشدّة امتلائها, وتضايق بعضها إلى بعض. ذكر من قال ذلك:

24716ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنّمَ هَلِ امْتَلأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ قال ابن عباس: إن الله الملك تبارك وتعالى قد سبقت كلمته لأَمْلأَنّ جَهَنّمَ مِنَ الجِنّةِ والنّاسِ أجَمعِينَ فلما بعث الناس وأحضروا, وسيق أعداء الله إلى النار زمرا, جعلوا يقتحمون في جهنم فوجا فوجا, لا يلقى في جهنم شيء إلا ذهب فيها, ولا يملأها شيء, قالت: ألستَ قد أقسمت لتملأني من الجِنّة والناس أجمعين؟ فوضع قدمه, فقالت حين وضع قدمه فيها: قدِ قدِ, فإني قد امتلأت, فليس لي مزيد, ولم يكن يملأها شيء, حتى وَجَدَتْ مسّ ما وُضع عليها, فتضايقت حين جَعل عليها ما جعل, فامتلأت فما فيها موضع إبرة.

24717ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ قال: وعدها الله ليملأنها, فقال: هلا وفيتكِ؟ قالت: وهل من مَسلكٍ.

حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ, يقول: أخبرنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنّمَ هَلِ امْتَلأْتِ وتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ كان ابن عباس يقول: إن الله الملك, قد سبقت منه كلمة لأَمْلأَنّ جَهَنّمَ لا يلقى فيها شيء إلا ذهب فيها, لا يملأها شيء, حتى إذا لم يبق من أهلها أحد إلا دخلها, وهي لا يملأها شيء, أتاها الربّ فوضع قدمه عليها, ثم قال لها: هل امتلأتِ يا جهنم؟ فتقول: قطِ قطِ قد امتلأت, ملأتني من الجنّ والإنس فليس فيّ مزيد قال ابن عباس: ولم يكن يملأها شيء حتى وجدت مسّ قدم الله تعالى ذكره, فتضايقت, فما فيها موضع إبرة.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: زدني, إنما هو هل من مزيد, بمعنى الاستزادة. ذكر من قال ذلك:

24718ـ حدثنا ابن حُمَيد, قال: حدثنا يحيى بن واضح, قال: حدثنا الحسين بن ثابت, عن أنس, قال: يلقى في جهنم وتقول: هل من مزيد ثلاثا, حتى يضع قدمه فيها, فينزوي بعضها إلى بعض, فتقول: قطِ قطِ, ثلاثا.

24719ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنّمَ هَلِ امْتَلأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ لأنها قد امتلأت, وهل من مزيد: هل بقي أحد؟ قال: هذان الوجهان في هذا, والله أعلم, قال: قالوا هذا وهذا.

وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب قول من قال: هو بمعنى الاستزادة, هل من شيء أزداده؟

وإنما قلنا ذلك أولى القولين بالصواب لصحة الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بما:

24720ـ حدثني أحمد بن المقدام العجلي, قال: حدثنا محمد بن عبد الرحمن الطفاويّ, قال: حدثنا أيوب, عن محمد, عن أبي هُريرة, أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إذَا كانَ يَوْمُ القِيامَةِ, لَمْ يَظْلِمِ اللّهُ أحَدا

مِنْ خَلْقِهِ شَيْئا, وَيُلْقِي فِي النّارِ, تَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ, حتى يَضَعَ عَلَيْها قَـدَمَهُ, فَهُنالكَ يَمْلأُها, وَيُزْوَي بَعْضُها إلى بَعْضٍ وَتَقُولُ: قَطْ قَطْ».

24721ـ حدثنا أحمد بن المقدام, قال: حدثنا المعتمر بن سليمان, قال: سمعت أبي يحدّث عن قتادة, عن أنس, قال: ما تزال جهنم تقول: هل من مزيد؟ حتى يضع الله عليها قدمه, فتقول: قدِ قدِ, وما يزال في الجنة فضل حتى ينشىء الله خلقا, فيُسكنه فضول الجنة.

24722ـ حدثني يعقوب بن إبراهيم, قال: حدثنا ابن علية, قال: أخبرنا أيوب وهشام بن حسان, عن محمد بن سيرين, عن أبي هُريرة, قال: اختصمت الجنة والنار, فقالت الجنة: ما لي إنما يدخلني فقراء الناس وسقطهم وقالت النار: ما لي إنما يدخلني الجبارون والمتكبرون, فقال: أنت رحمتي أصيب بك من أشاء, وأنت عذابي أصيب بك من أشاء, ولكلّ واحدة منكما ملؤها. فأما الجنة فإن الله ينشىء لها من خلقه ما شاء. وأما النار فيُلقون فيها وتقول: هل من مزيد؟ ويلقون فيها وتقول هل من مزيد, حتى يضع فيها قدمه, فهناك تملأ, ويزوي بعضها إلى بعض, وتقول: قط, قط.

حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن ثور, عن محمد بن سيرين, عن أبي هريرة أن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال: «احْتَجّتِ الجَنّةُ والنّارُ, فَقالَتِ الجَنّةُ: مالي لا يَدْخُلُنِي إلا فُقَرَاءُ النّاسِ؟ وَقالتِ النّارُ: مالي لا يَدْخُلُنِي إلاّ الجَبّارُونَ والمُتَكَبّرُونَ؟ فَقالَ للنّارِ: أنْتِ عَذَابِي أُصِيبُ بِكِ مَنْ أشاءُ وَقالَ للْجَنّةِ: أنْتِ رَحْمَتِي أُصِيبُ بِكِ مَنْ أشاءُ, وَلِكُلّ وَاحِدَةٍ مِنْكُما مِلْؤُها فأمّا الجَنّةُ فإنّ الله عَزّ وَجَلّ يُنْشىءُ لَهَا ما شاء وأمّا النّارَ فَيُلْقُوْنَ فِيها وَتَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ, حتى يَضَعَ قَدَمَهُ فِيها, هُنالكَ تَمْتَلِىء, وَيَنـزْوِي بَعْضُها إلى بَعْضٍ, وَتَقُولُ: قَطْ, قَطْ».

24723ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, عن أنس, قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تَزَالُ جَهَنّمُ يُلْقَى فِيها وَتَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزيدٍ حتى يَضَعَ رَبّ العالَمِينَ قَدَمَهُ, فيَنْزَوي بَعْضُها إلى بَعْضٍ وَتَقُولُ: قَدْ, قَدْ, بِعِزّتِك وكَرَمِكَ, وَلا يَزَالُ فِي الجَنّةِ فَضْلٌ حتى يُنْشىءَ اللّهُ لَهَا خَلْقا فَيُسْكِنَهُمْ فَضْلَ الجَنّةِ».

حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا عبد الصمد, قال: حدثنا أبان العطار, قال: حدثنا قتادة, عن أنس, أن رسول الله صلى الله عليه وسلم, قال: «لا تَـزَالُ جَهَنّمُ تَقُول هَلْ مِنْ مَزيدٍ حتى يَضَعَ رَبّ العالَمِينَ فِيها قَدَمَه, فَيَنْـزَوِي بَعْضُها إلى بَعْض, فَتَقُولُ: بِعِزَّتِكَ قَطْ, قَطْ وَما يَزَالُ فِي الجَنّةِ فَضْـلٌ حـتى يُنْشِـىءَ اللّهُ خَلْقا فَيُسْكِنَه في فَضْلِ الجَنّةِ».

قال: ثنا عمرو بن عاصم الكلابي, قال: حدثنا المعتمر, عن أبيه, قال: حدثنا قتادة, عن أنس, قال: ما تزال جهنم تقول: هل من مزيد, فذكر نحوه غير أنه قال: أو كما قال.

حدثنا زياد بن أيوب, قال: حدثنا عبد الوهاب بن عطاء الخفاف, عن سعيد, عن قتادة, عن أنس, عن النبيّ صلى الله عليه وسلم, قال: «احْتَجّتِ الجَنّـةُ والنّارُ, فَقالَتِ النّارُ: يَدْخُلُنِي الجَبّـارُونَ والمُتَكَبّـرُونَ وَقـالَتِ الجَنّـةُ: يَـدْخُلُنِي الفُقَرَاءُ وَالمَساكِينُ فأوْحَى اللّهُ عَزّ وَجَلّ إلى الجَنّة: أنْتِ رَحْمَتِي أُصِـيبُ بِـكِ مَنْ أشاءُ وأوْحَى إلى النّارِ: أنْتِ عَذَابِي أُصِيبُ بِـكِ مَـن أشـاءُ, وَلِكُـلّ وَاحِـدَةٍ مِنْكُما مِلْؤُها فأمّا النّارُ فَتَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ؟ حتى يَضَعَ قَدَمَهُ فِيهـا, فتَقُـولُ: قَطْ قَطْ». ففي قول النبيّ صلى الله عليه وسلم: «لا تَزَالُ جَهَنّمُ تَقُـولُ هَـلْ

مِنْ مَزِيدٍ» دليل واضح على أن ذلك بمعنى الاستزادة لا بمعنى النفي, لأن قوله: «لا تزال» دليل على اتصال قول بعد قول.

الآية : 31-33

القول في تأويل قوله تعالى: {وَأُزْلِفَتِ الْجَنّةُ لِلْمُتّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ * هَـَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلّ أَوّابٍ حَفِيظٍ * مّنْ خَشِيَ الرّحْمَـَنَ بِالْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مّنِيبٍ}.

يعني تعالى ذكره بقوله: وأُزْلِفَتِ الجَنّةُ لِلْمُتّقِينَ غَيرَ بَعِيدٍ وأُدنيت الجنة وقرّبت للذين اتقوا ربهم, فخافوا عقوبته بأداء فرائضه, واجتناب معاصيه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

24724ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وأُزْلِفَتِ الجَنّةُ لِلْمُتّقِينَ يقول: وأدنيت غَيرَ بَعِيدٍ.

وقوله: هَذَا ما تُوعَدُونَ يقول: قال لهم: هذا الذي توعدون أيها المتقون, أن تدخلوها وتسكنوها وقوله: لِكُلّ أوّابٍ يعني: لكل راجع من معصية الله إلى طاعته, تائب من ذنوبه.

وقد اختلف أهل التأويل في معنى ذلك, فقال بعضهم: هو المسبح, وقال بعضهم: هو التائب, وقد ذكرنا اختلافهم في ذلك فيما مضى بما أغني عن إعادته, غير أنا نذكر في هذا الموضع ما لم نذكره هنالك.

24725ـ حدثني سليمان بن عبد الجبار, قال: حدثنا محمد بن الصلت, قال: حدثنا أبو كدينة, عن عطاء, عن سعيد بن جُبَير, عن ابن عباس لِكُلّ أوّابٍ قال: لكلّ مسبّح.

24726ـ حدثنا ابن حُمَيد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, عن مسلم الأعور, عن مجاهد, قال: الأوّاب: المسبح.

24727ـ حدثنا الحسن بن عرفة, قال: ثني يحيى بن عبد الملك بن أبي غنية, قال: ثني أبي, عن الحكم بن عُتيبة في قول الله: لِكُلّ أوّابٍ حَفِيظٍ قال: هو الذاكر الله في الخلاء.

24728ـ حدثنا ابن حُمَيد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, عن يونس بن خباب, عن مجاهد لِكُلّ أوّابٍ حَفِيظٍ قال: الذي يذكر ذنوبه فيستغفر منها.

24729ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: هَذَا ما تُوعَدُونَ لِكُلّ أوّابٍ.

24730ـ قال: ثنا مهران, عن خارجة, عن عيسى الحناط, عن الشعبيّ, قال: هو الذي يذكر ذنوبه في خلاء فيستغفر منها حَفِيظٍ: أي مطيع لله كثير الصلاة.

24731ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: لِكُلّ أوّابٍ حَفِيظٍ قال: الأوّاب: التوّاب الذي يؤوب إلى طاعة الله ويرجع إليها.

24732ـ حدثنا ابن حُمَيد, قال: حدثنا جرير, عن منصور, عن يونس بن خباب في قوله: لِكُلّ أوّابٍ حَفِيظٍ قال: الرجل يذكر ذنوبه, فيستغفر الله لها.

وقوله: حَفِيظٍ اختلف أهل التأويل في تأويله, فقال بعضهم: حفظ ذنوبه حتى تاب منها. ذكر من قال ذلك:

24733ـ حدثنا ابن حُمَيد, قال: حدثنا مهران, عـن أبـي سـنان, عـن أبـي إسحاق, عن التميمي, قال: سألت ابن عبـاس, عـن الأوّاب الحفيـظ, قـال: حفظ ذنوبه حتى رجع عنها.
وقال آخرون: معناه: أنه حفيظ على فرائض الله وما ائتمنه عليه. ذكر من قال ذلك:
24734ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة حَفِيظٍ قال: حفيظ لما استودعه الله من حقه ونعمته.
وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله تعالى ذكره وصف هـذا التائب الأوّاب بأنه حفيظ, ولم يخصّ به على حفظ نوع مـن أنـواع الطاعـات دون نوع, فالواجب أن يعمّ كما عمّ جلّ ثناؤه, فيقال: هو حفيظ لكـلّ مـا قـرّ به إلى ربه من الفرائض والطاعات والذنوب الـتي سـلَفت منـه للتوبـة منهـا والاستغفار.
وقوله: مَنْ خَشِيَ الرّحْمَنَ بالغَيْبِ يقول: من خاف الله في الدنيا من قبل أن يلقاه, فأطاعه, واتبع أمره.
وفي مَن في قوله: مَنْ خَشِيَ وجهان من الإعراب: الخفض على إتباعه كلّ في قوله: لِكُلّ أوّابٍ والرفع على الاستئناف, وهو مراد به الجزاء من خشـي الرحمن بالغيب, قيل له ادخـل الجنـة فيكـون حينئـذ قـوله: ادْخُلُوهـا بِسَلامٍ جوابا للجزاء أضمر قبله القول, وجعل فعلاً للجميع, لأن مَـن قـد تكـون فـي مذهب الجميع.
وقوله: وَجاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ يقول: وجاء الله بقلب تائب من ذنوبه, راجع مما يكرهه الله إلى ما يرضيه. كما:
24735ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَجاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ: أي منيب إلى ربه مُقْبل.

الآية : 34-36

القول فـي تأويـل قوله تعالى: {ادْخُلُوهَا بِسَلاَمٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ * لَهُم مّـا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ * وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدّ مِنْهُم بَطْشاً فَنَقّبُواْ فِي الْبِلاَدِ هَلْ مِن مّحِيصٍ }.
يعني تعالى ذكره بقوله: ادْخُلُوها بِسَلامٍ ادخلوا هذه الجنة بأمان من الهمّ والغضب والعذاب, وما كنتم تَلقَونه في الدّنيا من المكاره. كما:
24736ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: ادْخُلُوها بِسَلامٍ قال: سَلِموا من عذاب الله, وسلّم عليهم.
وقوله: ذلكَ يَوْمُ الخُلُودِ يقول: هذا الذي وصفت لكم أيها الناس صفته من إدخالي الجنة من أدخله, هو يوم دخول الناس الجنة, مـاكثين فيهـا إلـى غيـر نهاية. كما:
24737ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتـادة ذلـكَ يَـوْمُ الخُلُـودِ خلـدوا واللـه, فلا يموتـون, وأقـاموا فلا يَظْعُنـون, ونَعِمُـوا فلا يبأسون.
وقوله: لَهُمْ ما يَشاءُونَ فِيها يقول: لهؤلاء المتقين ما يريدون في هذه الجنة التي أُزلفت لهم من كل ما تشتهيه نفوسهم, وتلذّه عيونهم.
وقوله: وَلَدَيْنا مَزِيدٌ يقول: وعندنا لهم على ما أعطيناهم من هذه الكرامـة التي وصف جلّ ثناؤه صفتها مزيد يزيدهم إياه. وقيل: إن ذلك المزيد: النظر إلى الله جلّ ثناؤه. ذكر من قال ذلك:

24738ـ حدثني أحمد بن سُهيل الواسطي, قال: حدثنا قُـرةُ بـن عيسـى, قال: حدثنا النضر بن عربيّ جده, عن أنس, إن الله عزّ وجلّ إذا أسكن أهـل الجنة الجنة, وأهل النار النار, هبط إلى مَرْج من الجنة أفيح, فمدّ بينـه وبيـن خلقه حُجُبا من لؤلؤ وحُجُبـا مـن نـور ثـم وُضـعت منـابر النـور وسُـرُرُ النـور وكراسيّ النور, ثم أُذِن لرجل على الله عزّ وجلّ بين يديه أمثال الجبـال مـن النور يُسْمَع دَويّ تسـبيح الملائكـة معـه, وصَـفْق أجنحتهـم فمـدّ أهـل الجنـة أعناقهم, فقيل: من هذا الذي قد أُذِن لـه علـى اللـه؟ فقيـل: هـذا المجعـول بيده, والمُعَلّم الأسماء, والذي أمرت الملائكة فسجدت له, والذي له أبيحـت الجنة, آدم عليه السلام, قد أُذِن له على الله تعـالى قـال: يـؤذَن لرجـل آخـر بين يديه أمثال الجبال من النور, يُسْـمع دَوِيّ تسـبيح الملائكـة معـه, وصَـفُق أجنحتهم فمدّ أهل الجنة أعناقهم, فقيل: من هذا الذي قد أُذِن له على اللـه؟ فقيل: هذا الذي اتخذه الله خليلاً, وجعل عليه النار بَرْدا وسلاما, إبراهيـم قـد أُذِن له على الله. قال: ثم أُذِن لرجل آخر على الله, بين يـديه أمثـال الجبـال من النور يُسْمَع دَوِيّ تسبيح الملائكة معه, وصَفْق أجنحتهم فمـدّ أهـل الجنـة أعنـاقهم, فقيـل: مـن هـذا الـذي قـد أُذن لـه علـى اللـه؟ فقيـل: هـذا الـذي إصطفاه الله برسالته وقرّبه نجيا, وكلّمه (كلاما) موسـى عليـه السـلام, قـد أُذِن له على الله. قال: ثم يُؤذن لرجل آخر معـه مثـلُ جميـع مـواكب النـبيين قبله, بين يديه أمثال الجبال, (من النور) يسـمع دَوِيّ تسـبيح الملائكـة معـه, وصَفْق أجنحتهم فمدّ أهل الجنة أعناقهم, فقيل: مـن هـذا الـذي قـد أُذِن لـه على الله؟ فقيل: هذا أوّل شافع, وأوّل مشـفّع, وأكـثر النـاس واردة, وسـيد ولد آدم وأوّل من تنشـقّ عـن ذُؤابـتيه الأرض, وصـاحب لـواء الحمـد, أحمـد صلى الله عليه وسلم, قد أُذِن له على الله. قال: فجلس النبيون على منـابر النور, (والصدّيقون على سُرُر النور والشهداء علـى كراسـيّ النـور) وجلـس سائر الناس على كُثْبان المسك الأذفر الأبيض, ثم نـاداهم الـربّ تعـالى مـن وارء الحُجب: مَرْحَبا بعبادي وزوّاري وجيراني ووفـدي. يـا ملائكـتي, انهضـوا إلى عبادي, فأطعموهم. قال: فقرّبت إليهم من لحوم طيـر, كأنهـا البُخـت لا ريش لها ولا عظم, فأكلوا, قال: ثم ناداهم الربّ مـن وراء الحجـاب: مرحبـا بعبادي وزوّاري وجيراني ووفدي, أكلوا اسقوهم. قال: فنهـض إليهـم غلمـان كأنهم اللؤلؤ المكنون بأباريق الـذهب والفضـة بأشـربة مختلفـة لذيـذة, لـذة آخرها كلذّة أوّلها, لا يُصَـدّعون عنهـا ولا يُنْزَفـون ثـم نـاداهم الـربّ مـن وراء الحُجب: مرحبا بعبادي وزوّاري وجيراني ووفـدي, أكلـوا وشـربوا, فَكّهـوهم. قال: فيقرّب إليهم على أطباق مكلّلة بالياقوت والمرجان ومن الرّطَب الذي سَمّى الله, أشدّ بياضا من اللبن, وأطيب عذوبة من العسل. قال: فأكلوا ثم ناداهم الربّ من وراء الحُجُب: مرحبا بعبادي وزوّاري وجيراني ووفدي, أكلوا وشربوا, وفُكّهوا اكسوهم قال ففتحت لهم ثمار الجنـة بحلـل مصـقولة بنـور الرحمن فألبسوها. قال: ثم ناداهم الـربّ تبـارك وتعـالى مـن وراء الحجـب: مرحبـا بعبـادي وزوّاري وجيرانـي ووفـدي أكلـوا وشـربوا وفُكّهـوا وكُسُـوا طَيّبـوهم. قـال: فهـاجت عليهـم ريـح يقـال لهـا المُثِيـرة, بأبـاريق المسـك (الأبيض) الأذفر, فنفحت علـى وجـوههم مـن غيـر غُبـار ولا قَتـام. قـال: ثـم ناداهم الربّ عـزّ وجـلّ مـن وراء الحُجـب: مرحبـا بعبـادي وزوّاري وجيرانـي ووفدي, أكلوا وشربوا وفكهوا, وكسـوا وطُيّبـوا, وعزّتـي لأتجليـنّ لهـم حـتى ينظروا إليّ قال: فذلك انتهاء العطاء وفضل المزيد قال: فتجلى لهـم الـربّ

عزّ وجلّ, ثم قال: السلام عليكم عبادي, انظروا إليّ فقد رضيت عنكم. قال: فتداعت قصور الجنة وشجرها, سبحانك أربع مرّات, وخرّ القوم سجدا قال: فناداهم الربّ تبارك وتعالى: عبادي ارفعوا رؤوسكم فإنها ليست بدار عمل, ولا دار نَصَب إنما هي دار جزاء وثواب, وعزّتي وجلالي ما خلقتها إلا من أجلكم, وما من ساعة ذكرتموني فيها في دار الدنيا, إلا ذكرتكم فوق عرشي.

24739ـ حدثنا عليّ بن الحسين بن أبجر, قال: حدثنا عمر بن يونس اليمامي, قال: حدثنا جهضم بن عبد الله بن أبي الطفيل قال: ثني أبو طيبة, عن معاوية العبسيّ, عن عثمان بن عمير, عن أنس بن مالك, قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أتانِي جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السّلامُ وفِي كَفّهِ مِرْآةٌ بَيْضَاءُ, فِيها نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ فَقُلْتُ: يا جِبْرِيلُ ما هَذِهِ؟ قالَ: هَذِهِ الجُمُعَةُ, قُلْتُ: فَمَا هَذِهِ النّكْتَةُ السّوْدَاءُ فِيها؟ قالَ: هِيَ السّاعَةُ تَقُومُ يَوْمَ الجُمُعَةِ وَهُوَ سَيّدُ الأَيّامِ عِنْدَنا, ونَحْنُ نَدْعُوهُ فِي الآخِرَةِ يَوْمَ المَزِيدِ قُلْتُ: وَلِمَ تَدْعُونَ يَوْمَ المَزِيدِ قالَ: إنّ رَبّكَ تَبارَكَ وَتَعالى اتّخَذَ فِي الجَنّةِ وَادِيا أفْيَحَ مِنْ مِسْكٍ أبْيَضَ, فإذَا كانَ يَوْمُ الجُمُعَةِ نَزَلَ مِنْ عِلّيّينَ على كُرْسِيّهِ, ثُمّ حَفّ الكُرْسِيّ بِمَنابِرَ مِنْ نُورٍ, ثُمّ جاءَ النّبِيّونَ حتى يَجْلِسُوا عَلَيْها ثُمّ تَجِيءُ أهْلُ الجَنّةِ حتى يَجْلِسُوا على الكُثُبِ فَيَتَجَلّى لَهُمْ رَبّهُمْ عَزّ وَجَلّ حتى يَنْظُرُوا إلى وَجْهِهِ وَهُوَ يَقُولُ: أنا الّذِي صَدَقْتُكُمْ عِدَتِي, وأتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي, فَهَذَا مَحِلّ كَرَامَتِي, فَسَلُونِي, فَيَسألُونَهُ الرّضَا, فَيَقُولُ: رضَايَ أحَلّكُمْ دَارِي وأنا لَكُم كَرَامَتِي, سَلُونِي, فَيَسألُونَهُ حتى تَنْتَهِيَ رَغْبَتُهُمْ, فَيُفْتَحُ لَهُمْ عِنْدَ ذلكَ ما لا عين رأتْ, وَلا أُذُنٌ سَمِعَتْ, وَلا خَطَرَ على قَلْبِ بَشَرٍ, إلى مِقْدَارِ مُنْصَرَفِ النّاسِ مِنَ الجُمُعَة حتى يَصْعَدَ على كُرْسِيّهِ فَيَصْعَدُ مَعَهُ الصّدّيقُونَ والشّهَدَاءُ, وَتَرْجِعُ أهْلُ الجَنّةِ إلى غُرَفِهِمْ دُرّةً بَيْضَاءَ, لا نَظمَ فِيها وَلا فَصْمَ, أوْ ياقُوتَةً حَمْرَاءَ, أوْ زَبَرْجَدَةً خَضْرَاءَ, مِنْها غُرَفُها وأبْوَابُها, فَلَيْسُوا إلى شَيْءٍ أحْوَجَ مِنْهُمْ إلى يَوْمِ الجُمُعَةِ, لِيَزْدَادُوا مِنْهُ كَرَامَةً, وَلِيَزْدَادُوا نَظَرا إلى وَجْهِهِ, وَلِذَلكَ دُعِيَ يَوْمَ المَزِيدِ».

حدثنا ابن حُمَيد, قال: حدثنا جرير, عن ليث بن أبي سليم, عن عثمان بن عمير, عن أنس بن مالك, عن النبيّ صلى الله عليه وسلم, نحو حديث عليّ بن الحسين.

حدثنا الربيع بن سليمان, قال: حدثنا أسد بن موسى, قال: حدثنا يعقوب بن إبراهيم, عن صالح بن حيان عن أبي بُرَيدة, عن أنس بن مالك, عن النبيّ صلى الله عليه وسلم بنحوه.

24740ـ حدثني يعقوب بن إبراهيم, قال: حدثنا ابن علية, قال: أخبرنا ابن عون, عن محمد, قال: حدثنا, أو قال: قالوا: إن أدنى أهل الجنة منزلة, الذي يقال له تمنّ, ويذكّره أصحابه فيتمنى, ويذكره أصحابه فيقال له ذلك ومثله معه. قال: قال ابن عمر: ذلك لك وعشرة أمثاله, وعند الله مزيد.

24741ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: أخبرنا عمرو بن الحارث أن درّاجا أبا السّمْح, حدثه عن أبي الهَيثم, عن أبي سعيد الخُدريّ, أنه قال عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنّ الرّجُلَ فِي الجَنّةِ لَيَتّكِيءُ سَبْعِينَ سَنَةً قَبْلَ أنْ يَتَحَوّلَ ثُمّ تَأتِيهِ امْرأتُهُ فَتَضْرِبُ على مَنْكِبَيْهِ, فَيَنْظُرُ وَجْهَهُ فِي خَدّها أصْفَى مِنْ المِرْآةِ, وإنّ أدْنَى لُؤْلُؤَةٍ عَلَيْها لَتُضِيءُ ما بَينَ المَشْرِقِ وَالمَغْرِب, فَتُسَلّمُ عَلَيْهِ, فَيرُدّ السّلامَ, وَيَسألُها مَنْ أنْتِ؟ فَتَقُولُ:

أنا مِنَ المَزِيدِ وَإنّهُ لَيَكُونَ عَلَيْها سَبْعُونَ ثَوْبا أدْناها مِثْـلُ النّعْمـانِ مِـنْ طُـوبى فَيَنْفُذُها بَصَرُهُ حتى يَرَى مُخّ ساقِها مِـنْ وَرَاءِ ذلـكَ, وَإنّ عَلَيْهـا مِـنَ التّيجـانِ, وَإنّ أدْنَى لُؤلُؤَةٍ فِيها لَتُضِيءُ ما بَينَ المَشْرِقِ وَالمَغْرِبِ».

وقوله: وكَمْ أهْلَكْنا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ يقولُ تعالى ذكره: وكـثيرا أهلكنـا قبـل هؤلاء المشركين من قريش من القرون, هُمْ أشَدّ مـن قريـش الـذين كـذّبوا محمدا بَطْشا فَنَقّبوا في البِلادِ يقـول: فَخَرَقُـوا البلادَ فسـاروا فيهـا, فطـافوا وتوغّلوا إلى الأقاصي منها قال امرؤ القَيس:

لَقَدْ نَقّبْتُ فِي الآفاقِ حتّىرَضِيتُ مِنَ الغَنِيمَةِ بالإيابِ

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

24742ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, ثني معاوية, عن علـيّ, عـن ابن عباس فَنَقّبُوا فِي البِلادِ قال: أثّروا.

24743ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبـي نجيح, عن مجاهد, في قوله: فَنَقّبُوا فِي البِلادِ قال: يقـول: عملـوا فـي البلاد ذاك النقْب. ذكر من قال ذلك:

وقوله: هَلْ مِنْ مَحِيصٍ يقول جلّ ثناؤه: فهل كان لهم بتنقبهم في البلاد من معدل عن الموت ومَنْجي من الهلاك إذ جاءهم أمرنا. وأضمرت كان في هـذا الموضع, كما أضمرت في قوله وكأيّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِـيَ أشَـدّ قُـوّةً مِـنْ قَرْيَتِـكَ التي أخْرَجَتْـكَ أهْلَكْنـاهُمْ فَلا ناصِـرَ لَهُـمْ بمعنـى: فلـم يكـن لهـم ناصـر عنـد إهلاكهم. وقرأت القرّاء قوله فَنَقّبُوا بالتشديد وفتح القـاف علـى وجـه الخـبر عنهم. وذُكر عن يحيى بن يعمر أنه كان يقـرأ ذلـك «فَنَقِبُـوا» بكسـر القـاف على وجه التهديد والوعيد: أي طوّفـوا فـي البلاد, وتـردّدوا فيهـا, فـإنكم لـن تفوتونا بأنفسكم. وبنحو الذي قلنـا فـي تأويـل قـوله مِـنْ مَحِيـصٍ قـال أهـل التأويل. ذكر من قال ذلك:

24744ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتـادة وكَـمْ أهْلَكْنا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ... حتى بلغ هَلْ مِنْ مَحِيصٍ قد حـاص الفَجـرة فوجـدوا أمر الله مُتّبِعا.

حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة, قـوله: فَنَقّبُوا فِي البِلادِ هَلْ مِنْ مَحِيصٍ قال: حاص أعداء الله, فوجدوا أمر الله لهـم مُدْرِكا.

24745ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قـال ابـن زيـد, فـي قوله: هَلْ مِنْ مَحِيصٍ قال: هل من منجي.

الآية : 37

القول فـي تأويـل قوله تعالى: {إِنّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَىَ لِمَـن كَـانَ لَـهُ قَلْـبٌ أَوْ أَلْقَى السّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ }.

يقول تعالى ذكره: إن في إهلاكنا القرون التي أهلكناها من قبـل قريـش لَذِكْرَى يُتَذَكّر بها لِمَنْ كانَ لَهُ قَلْبٌ يعني: لمن كان له عقـل مـن هـذه الأمـة, فينتهي عن الفعل الذي كانوا يفعلونه من كفرهم بربهم, خوفـا مـن أن يحـلّ بهم مثل الذي حلّ بهم مـن العـذاب. وبنحـو الـذي قلنـا فـي ذلـك قـال أهـل التأويل. ذكر من قال ذلك: 24746ـ حـدثنا بشـر, قـال: حـدثنا يزيـد, قـال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: إنّ فِي ذلكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كانَ لَهُ قَلْبٌ: أي مـن هذه الأمة, يعني بذلك القلب: القلبَ الحيّ.

حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة لِمَنْ كانَ لَهُ قَلْبٌ قال: من كان له قلب من هذه الأمة.

24747ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: لِمَنْ كانَ لَهُ قَلْبٌ قال: قلب يعقل ما قد سمع من الأحاديث التي ضرب الله بها من عصاه من الأمم. والقلب في هذا الموضع: العقل. وهو من قولهم: ما لفلان قلب, وما قلبه معه: أي ما عقله معه. وأين ذهب قلبك؟ يعني أين ذهب عقلك.

وقوله: أَوْ أَلْقَى السّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ يقول: أو أصغى لإخبارنا إياه عن هذه القرون التي أهلكناها بسمعه, فيسمع الخبر عنهم, كيف فعلنا بهم حين كفروا بربهم, وعصوْا رسله وَهُوَ شَهِيدٌ يقول: وهو متفهم لما يخبرُ به عنهم شاهد له بقلبه, غير غافل عنه ولا ساه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل, وإن اختلفت ألفاظهم فيه. ذكر من قال ذلك:

24748ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: إنّ فِي ذلكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ يقول: إن استمع الذكر وشهد أمره, قال في ذلك: يجزيه إن عقله.

24749ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى: وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: أَوْ أَلْقَى السّمْعَ قال: وهو لا يحدّث نفسه, شاهد القلب.

24750ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ, يقول: أخبرنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: أَوْ أَلْقَى السّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ قال: العرب تقول: ألقى فلان سمعه: أي استمع بأذنيه, وهو شاهد, يقول: غير غائب.

24751ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان إنّ فِي ذَلكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ قال: يسمع ما يقول, وقلبه في غير ما يسمع.

وقال آخرون: عنى بالشهيد في هذا الموضع: الشهادة. ذكر من قال ذلك:

24752ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة أَوْ أَلْقَى السّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ يعني بذلك أهل الكتاب, وهو شهيد على ما يقرأ في كتاب الله من بعث محمد صلى الله عليه وسلم.

حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة أَوْ أَلْقَى السّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ على ما في يده من كتاب الله أنه يجد النبي صلى الله عليه وسلم مكتوبا.

24753ـ قال: ثنا ابن ثور, قال: قال معمر, وقال الحسن: هو منافق استمع القول ولم ينتفع.

24754ـ حدثنا أحمد بن هشام, قال: حدثنا عبيد الله بن موسى, قال: أخبرنا إسرائيل, عن السديّ, عن أبي صالح في قوله: أَوْ أَلْقَى السّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ قال: المؤمن يسمع القرآن, وهو شهيد على ذلك.

24755ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: أَوْ أَلْقَى السّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ قال: ألقى السمع يسمع ما قد كان مما لم

يعاين من الأحاديث عن الأمم التي قد مضت, كيف عذّبهم الله وصنع بهم حين عَصوا رسله.

الآية : 38

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلَقَدْ خَلَقْنَا السّمَاوَاتِ وَالأرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتّةِ أيّامٍ وَمَا مَسّنَا مِن لّغُوبٍ }.

يقول تعالى ذكره: ولقد خلقنا السموات السبع والأرض وما بينهما من الخلائق في ستة أيام, وما مسّنا من إعياء. كما:

24756ـ حدثنا ابن حُمَيد, قال: حدثنا مهران, عن أبي سنان, عن أبي بكر, قال: جاءت اليهود إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم, فقالوا: يا محمد أخبرنا ما خلق الله من الخلق في هذه الأيام الستة؟ فقال: «خَلَقَ اللّهُ الأرْضَ يَوْمَ الأحَدِ وَالاِثْنَيْنِ, وَخَلَقَ الجِبالَ يَوْمَ الثّلاثاءِ, وَخَلَقَ المَدائِنَ والأقْوَاتَ والأنهارَ وعُمْرانها وَخَرَابَها يَوْمَ الأرْبِعاءِ, وَخَلَقَ السّمَوَاتِ وَالمَلائِكَةَ يَوْمَ الخَمِيس إلى ثَلاثِ ساعاتٍ, يعْنِي مِنْ يَوْمِ الجُمُعَةِ, وَخَلَقَ فِي أوّلِ الثّلاثِ السّاعاتِ الآجالَ, وفي الثّانِيَةِ الآفَة, وفي الثّالِثَةِ آدَمَ, قالوا: صدقت إن أتممت, فعرف النبيّ صلى الله عليه وسلم ما يريدون, فغضب, فأنزل الله وَما مَسّنا مِنْ لُغُوب فاصْبِرْ عَلى ما يَقُولُونَ».

24757ـ قال: ثنا مهران, عن سفيان وَما مَسّنا مِنْ لُغُوبٍ قال: من سآمة.

24758ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: وَما مَسّنا مِنْ لُغُوبٍ يقول: من إزحاف.

24759ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه عن ابن عباس: وَما مَسّنا مِنْ لُغُوبٍ يقول: وما مسنا من نَصَب.

24760ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: وَما مَسّنا مِنْ لُغُوبٍ قال: نصب.

24761ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَلَقَدْ خَلَقْنا السّمَوَاتِ والأرْضَ... الآية, أكذب الله اليهود والنصارى وأهل الفري على الله, وذلك أنهم قالوا: إن الله خلق السموات والأرض في ستة أيام, ثم استراح يوم السابع, وذلك عندهم يوم السبت, وهم يسمونه يوم الراحة.

حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة, في قوله: مِنْ لَغُوبٍ قالت اليهود: إن الله خلق السموات والأرض في ستة أيام, ففرغ من الخلق يوم الجمعة, واستراح يوم السبت, فأكذبهم الله, وقال: ما مَسّنا مِنْ لُغُوبٍ.

24762ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: وَلَقَدْ خَلَقْنا السّمَوَاتِ والأرْضَ وَما بَيْنَهُما فِي سِتّةِ أيّامٍ كان مقدار كلّ ألف سنة مما تعدّون.

24763ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَما مَسّنا من لُغُوبٍ قال: لم يَمَسّنا في ذلك عناء, ذلك اللغوب.

الآية : 39-40

القول في تأويل قوله تعالى: {فَاصْبِرْ عَلَىَ مَا يَقُولُونَ وَسَبّحْ بِحَمْدِ رَبّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ * وَمِنَ اللّيْلِ فَسَبّحْهُ وَأَدْبَارَ السّجُودِ }.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: فاصبر يا محمد على ما يقول هؤلاء اليهود, وما يفترون على الله, ويكذبون عليه, فإن الله لهم بالمِرصاد وَسَبّحْ بِحَمْدِ رَبّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشّمْسِ يقول: وصلّ بحمد ربك صلاة الصبح قبل طلوع الشمس وصلاة العصر قبل الغروب. كما:

24764ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وَسَبّحْ بِحَمْدِ رَبّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشّمْسِ لصلاة الفجر, وقبل غروبها: العصر.

24765ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَسَبّحْ بِحَمْدِ رَبّكَ قبلَ طُلُوعِ الشّمْسِ وَقَبْلَ الغُرُوبِ قبل طلوع الشمس: الصبح, وقبل الغروب: العصر.

وقوله: وَمِنَ اللّيْلِ فَسَبّحْهُ اختلف أهل التأويل في التسبيح الذي أُمر به من الليل, فقال بعضهم: عنى به صلاة العَتَمة. ذكر من قال ذلك:

24766ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَمِنَ اللّيْلِ قال: العَتَمة.

وقال آخرون: هي الصلاة بالليل في أيّ وقت صلى. ذكر من قال ذلك:

24767ـ حدثني محمد بن عمارة الأسدي, قال: حدثنا عبيد الله بن موسى, قال: أخبرنا إسرائيل, عن أبي يحيى, عن مجاهد وَمِنَ اللّيْلِ فَسَبّحْهُ قال: من الليل كله.

والقول الذي قاله مجاهد في ذلك أقرب إلى الصواب, وذلك أن الله جلّ ثناؤه قال: وَمَنِ اللّيْلِ فَسَبّحْهُ فلم يَحُدّ وقتا من الليل دون وقت. وإذا كان ذلك كذلك كان على جميع ساعات الليل. وإذا كان الأمر في ذلك على ما وصفنا, فهو بأن يكون أمرا بصلاة المغرب والعشاء, أشبه منه بأن يكون أمرا بصلاة العَتَمة, لأنهما يصلّيان ليلاً.

وقوله: وأدْبارَ السّجُودِ يقول: يقول: سبح بحمد ربك أدبار السجود من صلاتك.

واختلف أهل التأويل في معنى التسبيح الذي أمر الله نبيه أن يسبحه أدبار السجود, فقال بعضهم: عُنِي به الصلاة, قالوا: وهما الركعتان اللتان يصليان بعد صلاة المغرب. ذكر من قال ذلك:

24768ـ حدثنا ابن حُمَيد, قال: حدثنا حكام, قال: حدثنا عنبسة, عن أبي إسحاق, عن الحارث, قال: سألت عليا, عن أدبار السجود, فقال: الركعتان بعد المغرب.

حدثني يعقوب, قال: حدثنا ابن عُلَية, قال: حدثنا ابن جُرَيج, عن مجاهد, قال: قال عليّ رضي الله عنه: أدْبارَ السّجُودِ: الركعتان بعد المغرب.

حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا مصعب بن سلام, عن الأجلح, عن أبي إسحاق, عن الحارث, قال: سمعت عليا رضي الله عنه يقول: أدْبارَ السّجُودِ: الركعتان بعد المغرب.

حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا سفيان, عن أبي إسحاق, عن الحارث, عن عليّ رضي الله عنه, في قوله: وأدْبارَ السّجُودِ قال: الركعتان بعد المغرب.

24769ـ قال: حدثنا ثنا يحيى, قال: حدثنا سفيان, عن أبي إسحاق, عن الحارث, عن عاصم بن ضمرة, عن الحسن بن عليّ رضي الله عنهما, قال: أدْبارَ السّجُودِ: الركعتان بعد المغرب.

24770ـ حدثني عليّ بن سهل, قال: حدثنا مؤمل, قال: حدثنا حماد, قال: حدثنا عليّ بن زيد, عن أوس بن خالد, عن أبي هريرة, قال: أدبار السجود: ركعتان بعد صلاة المغرب.
24771ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن علوان بن أبي مالك, عن الشعبيّ, قال: أدْبارَ السّجُودِ الركعتان بعد المغرب.
24772ـ حدثنا ابن حُمَيد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, عن جابر, عن عكرِمة, عن ابن عباس وإبراهيم بن مهاجر, عن مجاهد أدْبارَ السّجُودِ: الركعتان بعد المغرب.
24773ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن إبراهيم بن مهاجر, عن إبراهيم, مثله.
24774ـ حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا محمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, عن إبراهيم بن مهاجر, عن إبراهيم في هذه الآية وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبّحْهُ وأدْبارَ السّجُودِ وَإدْبَارَ النّجُومِ قال: الركعتان قبل الصبح, والركعتان بعد المغرب, قال شعبة: لا أدري أيتهما أدبار السجود, ولا أدري أيتهما إدبار النجوم.
حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قوله: وأدْبارَ السّجُودِ قال: كان مجاهد يقول: ركعتان بعد المغرب.
24775ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: وأدْبارَ السّجُودِ قال: هما السجدتان بعد صلاة المغرب.
24776ـ حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا أبو فضيل, عن رشدين بن كُرَيب, عن أبيه, عن ابن عباس, قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا ابْنَ عَبّاس رَكْعَتانِ بَعْدَ المَغْرِب أدْبارَ السّجُود».
حدثني محمد بن عبد الله بن عبد الحكم, قال: أخبرنا أبو زرعة, وهبة الله بن راشد, قال: أخبرنا حيوة بن شريح, قال: أخبرنا أبو صخر, أنه سمع أبا معاوية البجلي من أهل الكوفة يقول: سمعت أبا الصهباء البكريّ يقول: سألت عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه عن أدْبارَ السّجُودِ قال: هما ركعتان بعد المغرب.
24777ـ حدثني سعيد بن عمرو السكوني, قال: حدثنا بقية, قال: حدثنا جرير, قال: حدثنا حمير بن يزيد الرحبي, عن كُرَيب بن يزيد الرحبي قال: وكان جبير بن نفير يمشي إليه, قال: كان إذا صلى الركعتين قبل الفجر, والركعتين بعد المغرب أخفّ, وفسّر إدبار النجوم, وأدبار السجود.
حدثنا ابن حُمَيد, قال: حدثنا مهران, عن عيسى بن يزيد, عن أبي إسحاق الهمداني, عن الحسن وأدْبارَ السّجُودِ: الركعتان بعد المغرب.
حدثنا ابن حُمَيد, قال: حدثنا حكام, قال: حدثنا عنبسة, عن المغُيرة, عن إبراهيم, قال: كان يقال: أدْبارَ السّجُودِ: الركعتان بعد المغرب.
قال: ثنا عنبسة, عن إبراهيم بن مهاجر, عن مجاهد وأدْبارَ السّجُودِ: الركعتان بعد المغرب.
قال: ثنا جرير, عن عطاء, قال: قال عليّ: أدبار السجود: الركعتان بعد المغرب.

24778ـ حدثنا ابن البرّ, قال: حـدثنا عمـرو بـن أبـي سـلمة, قـال: سُـئل الأوزاعيّ عن الركعتين بعد المغرب, قال: هما في كتاب الله فَسَبّحْهُ وأدْبــارَ السّجُودِ.
حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا ابن أبي عديّ, عن حُمَيد, عن الحسـن, عـن عليّ رضي الله عنه, في قوله: وأدْبارَ السّجُودِ قال: الركعتان بعد المغرب.
24779ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة وأدْبارَ السّجُودِ قال: ركعتان بعد المغرب.
وقال آخرون: عنى بقوله وأدْبـارَ السّـجُودِ: التسـبيح فـي أدبـار الصـلوات المكتوبات, دون الصلاة بعدها. ذكر من قال ذلك:
24780ـ حدثني يعقوب بن إبراهيم, قال: حدثنا ابن علية, قال: حدثنا ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قال: قال ابن عباس في فَسَبّحْهُ وأدْبارَ السّجُودِ قال: هو التسبيح بعد الصلاة.
24781ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبـي نجيح, عن مجاهد, في قوله: وأدْبارَ السّـجُودِ قـال: كـان ابـن عبـاس يقـول: التسبيح. قال ابن عمرو: في حديثه في إثر الصلوات كلها. وقال الحارث في حديثه في دُبر الصلاة كلها.
وقال آخرون: هي النوافل في أدبار المكتوبات. ذكر من قال ذلك:
24782ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يونس بن عبد الأعلى, قـال: أخبرنـا ابـن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وأدْبارَ السّجُودِ: النوافل.
وأولى الأقوال في ذلك بالصحة, قول من قال: هما الركعتان بعد المغرب, لإجماع الحجة من أهل التأويل على ذلك, ولولا ما ذكرت من إجماعهـا عليـه, لرأيت أن القول في ذلك ما قاله ابـن زيـد, لأن اللـه جـلّ ثنـاؤه لـم يخصـص بذلك صلاة دون صلاة, بل عمّ أدبار الصلوات كلهـا, فقـال: وأدبـار السـجود, ولم تقم بأنه معنيّ به: دبر صلاة دون صلاة, حجة يجب التسليم لها مـن خـبر ولا عقل.
واختلفت القرّاء في قراءة قوله: وأدْبارَ السّجُودِ فقرأته عامة قرّاء الحجاز والكوفة, سوى عاصم والكسائيّ «وإدْبارَ السّجُودِ» بكسر الألـف, علـى أنـه مصدر أدبر يُدبر إدبارا. وقرأه عاصم والكسائيّ وأبو عمرو وأدْبارَ بفتح الألف على مذهب جمع دبر وأدبار.
والصواب عندي الفتح على جمع دبر.

الآية : 41-42

القول فـي تأويـل قوله تعالى: {وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِن مّكَانٍ قَرِيـبٍ * يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصّيْحَةَ بِالْحَقّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ }.
يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: واسـتمع يـا محمـد صيحة يوم القيامة, يوم ينادي بها منادينا من موضع قريب. وذُكـر أنـه ينـادي بها من صخرة بيت المقدس. ذكر من قال ذلك:
24783ـ حدثني عليّ بن سهل, قال: حدثنا الوليد بن مسلم, عن سعيد بن بشر, عن قتادة, عن كعـب, قـال: وَاسْـتَمِعْ يَـوْمَ يُنـادِي المُنـادِي مِـنْ مَكـانٍ قَرِيبٍ قال مَلك قائم على صخرة بيت المقدس ينادِي: أيتهـا العظـام الباليـة والأوصال المتقطعة إن الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء.

24784ـ حدثنا بشر قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد عن قتادة وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنادِي المُنادِي مِنْ مَكانٍ قَرِيب قال: كنا نحدّث أنه ينادي من بيت المقدس من الصخرة, وهي أوسط الأرض.
24785ـ وحُدّثنا أن كعبا قال: هي أقرب الأرض إلى السماء بثمانية عشر ميلاً.
حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة يَوْمَ يُنادِي المُنادِي مِنْ مَكانٍ قَرِيب قال: بلغني أنه ينادي من الصخرة التي في بيت المقدس.
24786ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنادِي المُنادِي مِنْ مَكانٍ قَرِيب قال: هي الصيحة.
24787ـ حدثني عليّ بن سهل, قال: حدثنا الوليد بن مسلم, قال: ثني بعض أصحابنا, عن الأغرّ, عن مسلم بن حيان, عن ابن بُريدة, عن أبيه بريدة, قال: مَلك قائم على صخرة بيت المقدس, واضع أصبعيه في أذنيه ينادي, قال: قلتُ: بماذا ينادي؟ قال: يقول يا أيها الناس هلموا إلى الحساب قال: فيقبلون كما قال الله كأنّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ.
وقوله: يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصّيْحَةَ بالحَقّ يقول تعالى ذكره: يوم يسمع الخلائق صيحة البعث من القبور بالحقّ, يعني بالأمر بالإجابة لله إلى موقف الحساب.
وقوله: ذلكَ يَوْمُ الخُرُوجِ يقول تعالى ذكره: يوم خروج أهل القبور من قبورهم.

الآية : 43-44

القول في تأويل قوله تعالى: {إنّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ * يَوْمَ تَشَقّقُ الأرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعاً ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ }.
يقول تعالى ذكره: إنا نحن نُحيي الموتى ونميت الأحياء, وإلينا مصير جميعهم يوم القيامة يَوْمَ تَشَقّقُ الأرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعا يقول جلّ ثناؤه وإلينا مصيرهم يوم تشقّق الأرض, فاليوم من صلة مصير.
وقوله: تَشَقّقُ الأرْضُ عَنْهُمْ يقول: تصدّع الأرض عنهم. وقوله سِرَاعا ونُصبت سراعا على الحال من الهاء والميم في قوله عنهم. والمعنى: يوم تشقّق الأرض عنهم فيخرجون منها سراعا, فاكتفى بدلالة قوله: يَوْمَ تَشَقّقُ الأرْضُ عَنْهُمْ على ذلك من ذكره.
وقوله: ذلكَ حَشْرٌ عَلَيْنا يَسِيرٌ يقول: جمعهم ذلك جمع في موقف الحساب, علينا يسير سهل.

الآية : 45

القول في تأويل قوله تعالى: {نّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِمْ بِجَبّارٍ فَذَكّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ }.
يقول تعالى ذكره: نحن يا محمد أعلم بما يقول هؤلاء المشركون بالله من فِريتهم على الله, وتكذيبهم بآياته, وإنكارهم قُدرة الله على البعث بعد الموت وَما أنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبّارٍ يقول: وما أنت عليهم بمسلط. كما:
24788ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد وَما أنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبّارٍ قال: لا تتجبر عليهم.

24789ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَما أنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبّارٍ فإن الله عزّ وجلّ كره الجبرية, ونهى عنها, وقدّم فيها. وقال الفرّاء: وضع الجبار في موضع السلطان من الجبرية وقال: أنشدني المفضل:

وَيَوْمَ الحَزْنِ إذْ حَشَدَتْ مَعَدّوكانَ النّاسُ إلا نَحْنُ دِينا
عَصَيْنا عَزْمَةَ الجَبّارِ حَتّىصَبَحْنا الجَوْفَ ألْفا مُعْلَمِينا

ويروى: «الجوف» وقال: أراد بالجبار: المنذر لوَلايته.

قال: وقيل: إن معنى قوله: وَما أنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبّارٍ لم تُبعث لتجْبُرَهم على الإسلام, إنما بعثت مذكّرا, فذكّر. وقال: العرب لا تقول فعال من أفعلت, لا يقولون: هذا خراج, يريدون: مُخْرِج, ولا يقولون: دخَال, يريدون: مُدْخِل, إنما يقولون: فعال, من فعلت ويقولون: خراج, من خرجت ودخال: من دخلت وقتّال, من قتلت. قال: وقد قالت العرب في حرف واحد: درّاك, من أدركت, وهو شاذّ.

قال: فإن قلت الجبار على هذا المعنى, فهو وجه. قال: وقد سمعت بعض العرب يقول: جبره على الأمر, يريد: أجبره, فالجبار من هذه اللغة صحيح, يراد به: يقهرهم ويجبرهم.

وقوله: فَذَكّرْ بالقُرآنِ مَنْ يَخافُ وَعِيدِ يقول تعالى ذكره: فذكر يا محمد بهذا القرآن الذي أنزلته إليه من يخاف الوعيد الذي أوعدته من عصاني وخالف أمري.

24790ـ حدثني نصر بن عبد الرحمن الأوديّ, قال: حدثنا حكام الرازي, عن أيوب, عن عمرو الملائي, عن ابن عباس, قال: قالوا يا رسول الله لو خوّفتنا؟ فنزلت فَذَكّرْ بالقُرْآنِ مَنْ يَخافُ وَعِيدِ.

24791ـ حدثنا ابن حُميد, قال: حدثنا حكام, عن أيوب بن سيار أبي عبد الرحمن, عن عمرو بن قيس, قال: قالوا: يا رسول الله, لو ذكّرتنا, فذكر مثله.

سورة الذاريات

سورة الذاريات مكية
وآياتها ستون

بسم الله الرحمَن الرحيم

الآية : 1-6

القول في تأويل قوله تعالى: {وَالـذّارِيَاتِ ذَرْواً * فَالْحَامِلاَتِ وِقْراً * فَالْجَارِيَاتِ يُسْراً * فَالْمُقَسّمَاتِ أَمْراً * إِنّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ * وَإِنّ الدّينَ لَوَاقِعٌ }.

يقول تعالى ذكره وَالذّارِياتِ ذَرْوا يقول: والرياح التي تذرو التراب ذروا, يقال: ذرت الريح التراب وأذرت. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

24792ـ حدثنا هنّاد بن السّريّ, قال: حدثنا أبو الأحوص, عن سماك, عن خالد بن عُرعرة, قال: قام رجل إلى عليّ رضي الله عنه, فقال: ما الذاريات ذروا, فقال: هي الريح.

حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا محمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, عن سِماك, قال: سمعت خالد بن عرعرة, قال: سمعت عليا رضي الله عنه وقد خرج إلى الرحْبة, وعليه بُرْدان, فقالوا: لو أن رجلاً سأل وسمع القوم, قال: فقام ابن الكوّاء, فقال: ما الذاريات ذَرْوا؟ فقال: هي الرياح.

حدثني محمد بن عبد الله بن عبيد الهلالي ومحمد بن بشار, قالا: حدثنا محمد بن خالد بن عثمة, قال: حدثنا موسى بن يعقوب الزمعي, قال: حدثنا أبو الحويرث, عن محمد بن جُبَير بن مطعم, أخبره, قال: سمعت عليا رضي الله عنه يخطب الناس, فقام عبد الله بن الكوّاء, فقال: يا أمير المؤمنين, أخبرني عن قول الله تبارك وتعالى: وَالذّارِياتِ ذَرْوا قال: هي الرياح.

حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا يحيى, عن سفيان, عن حبيب بن أبي ثابت, عن أبي الطفيل, قال: سُئل عليّ بن أبي طالب, رضي الله عنه, عن الذاريات ذَرْوا, فقال: الريح.

حدثنا ابن حُمَيد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, عن حبيب بن أبي ثابت, عن أبي الطّفيل, عن عليّ وَالذّارِياتِ ذَرْوا قال: الريح.

قال: مهران, حُدّثنا عن سماك, عن خالد بن عرعرة, قال: سألت عليا رضي الله عنه عن وَالذّارِياتِ ذَرْوا فقال: الريح.

حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا محمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, عن القاسم بن أبي بَزّة, قال: سمعت أبا الطفيل, قال: سمعت عليا رضي الله عنه يقول: لا تسألوني عن كتاب ناطق, ولا سنة ماضية, إلا حدّثتكم, فسأله ابن الكوّاء عن الذاريات, فقال: هي الرياح.

حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا طلق, عن زائدة, عن عاصم, عن عليّ بن ربيعة, قال: سأل ابن الكوّاء عليا رضي الله عنه, فقال: وَالذّارِياتِ ذَرْوا قال: هي الريح.

حدثنا ابن حُمَيد, قال: حدثنا جرير, عن عبد الله بن رفيع, عن أبي الطفيل, قال: قال ابن الكوّاء لعلي رضي الله عنه: ما الذاريات ذَرْوا؟ قال: الريح.

حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: ثني يحيى بن أيوب, عن أبي صخرة, عن أبي معاوية البجليّ, عن أبي الصهباء البكريّ, عن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه, قال: وهو على المنبر لا يسألني أحد عن آية من كتاب الله إلا أخبرته, فقام ابن الكوّاء, وأراد أن يسأله عما سأل عنه صبيغٌ عمر بن الخطاب رضي الله عنه, فقال: ما الذاريات ذروا؟ قال عليّ: الرياح.

حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, أن رجلاً سأل عليا عن الذاريات, فقال: هي الرياح.

حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن وهب بن عبد الله, عن أبي الطفيل, قال سأل ابن الكوّاء عليا, فقال: ما الذاريات ذروا؟ قال: الرياح.

24793ـ حدثنا يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَالذّارِياتِ ذَرْوا قال: كان ابن عباس يقول: هي الرياح.

24794ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قوله: وَالذّارِياتِ قال: الرياح.

وقوله: فالْحامِلاتِ وِقْرا يقول: فالسحاب التي تحمل وقرها من الماء.

وقوله: فالجارِياتِ يُسْرا يقول: فالسفن التي تجري في البحار سهلاً يسيرا فالمُقَسّماتِ أمْرا يقول: فالملائكة التي تقسم أمر الله في خلقه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

24795ـ حدثنا هناد, قال: حدثنا أبو الأحوص, عن سماك, عن خالد بن عرعرة, قال: قام رجل إلى عليّ رضي الله عنه, فقال: ما الجاريات يسرا؟ قال: هي السفن قال: فما الحاملات وقرا؟ قال: هي السحاب قال: فما المقسمات أمرا؟ قال: هم الملائكة.

حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا محمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, عن سِماك, قال: سمعت خالد بن عرعرة, قال: سمعت عليا رضي الله عنه. وقيل له: ما الحاملات وقرا؟ قال: هي السحاب قال: فما الجاريات يُسرا؟ قال: هي السفن قال: فما المقسّمات أمرا؟ قال: هي الملائكة.

حدثنا ابن حُمَيد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, عن سماك, عن خالد بن عرعرة, عن عليّ بنحوه.

حدثني محمد بن عبد الله بن عبيد الله الهلالي ومحمد بن بشار, قالا: حدثنا محمد بن خالد بن عثمة, قال: حدثنا موسى الزمعي, قال: ثني أبو الحُوَيرث, عن محمد بن جُبَير بن مطعم أخبره, قال: سمعت عليا يخطب الناس, فقام عبد الله بن الكوّاء فقال: يا أمير المؤمنين, أخبرني عن قول الله تبارك وتعالى: فالْحامِلاتِ وِقْرا قال: هي السحاب فالجارِياتِ يُسْرا قال: هي السفن فالمُقَسّمات أمْرا قال: الملائكة.

حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا محمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, عن القاسم بن أبي بزّة, قال: سمعت أبا الطفيل, قال: سمعت عليا رضي الله عنه, فذكر نحوه.

حدثنا ابن حُمَيد, قال: حدثنا جرير, عن عبد العزيز بن رفيع, عن أبي الطفيل, قال: قال ابن الكوّاء لعليّ, فذكر نحوه.

حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن وهب بن عبد الله, عن أبي الطّفيل, قال: شهدت عليا رضي الله عنه, وقام إليه ابن الكوّاء, فذكر نحوه.

حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا طَلْق بن غنام, عن زائدة, عن عاصم, عن عليّ بن ربيعة, قال: سأل ابن الكوّاء عليا, فذكر نحوه.

حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: ثني يحيى بن أيوب, عن أبي صخر, عن أبي معاوية البجليّ, عن أبي الصهباء البكريّ, عن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه, نحوه.

حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, أن رجلاً سأل عليا, فذكر نحوه.

حدثنا ابن حُمَيد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, عن حبيب بن أبي ثابت, عن أبي الطفيل, عن عليّ مثله.

حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا يحيى, عن سفيان, عن حبيب بن أبي ثابت, عن أبي الطفيل, قال: سُئل فذكر مثله.

24796ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: فالْحامِلاتِ وِقْرا قال: السحاب, قوله: فالمُقَسّماتِ أمْرا قال: الملائكة.

24797ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبـي نجيح, عن مجاهد فالْحامِلاتِ وِقْرا قال: السحاب تحمل المطـر, فالجارِيـاتِ يُسْرا قال: السفن فالمُقَسّماتِ أمْرا قال: الملائكـة ينزلهـا بـأمره علـى مـن يشاء.

قوله: أنّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ يقول تعالى ذكره: إن الذي توعدون أيها الناس من قيام الساعة, وبعـث المـوتى مـن قبـورهم لصـادق, يقـول: لكـائن حـقّ يقين. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

24798ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبـي نجيح, عن مجاهـد, قـوله: إنّمَـا تُوعَـدُونَ لَصَـادِقٌ والمعنـى: لصـدق, فوضـع الاسم مكان المصدر وَإنّ الدّينَ لَوَاقِعٌ يقول: وإن الحساب والثواب والعقاب لواجب, والله مجازٍ عباده بأعمالهم.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عـن ابـن أبـي نجيـح, عن مجاهد, قوله: وَإنّ الدّينَ لَوَاقِعٌ قال: الحساب.

24799ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: إنّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ وَإنّ الدّينَ لَوَاقِعٌ وذلك يوم القيامة, يوم يُدان الناس فيه بأعمالهم.

حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمـر, عـن قتـادة: وَإنّ الدّينَ لَوَاقِعٌ قال: يوم يدين الله العباد بأعمالهم.

24800ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قـال ابـن زيـد, فـي قوله: وَإنّ الدّينَ لَوَاقِعٌ قال: لكائن.

الآية : 7-9

القول فـي تأويـل قوله تعالى: {وَالسّـمَآءِ ذَاتِ الْحُبُـكِ * إِنّكُـمْ لَفِـي قَـوْلٍ مّخْتَلِفٍ * يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ }.

يقول تعالى ذكره: والسماء ذات الخَلْق الحسن. وعنى بقوله: ذَاتِ الحُبُكِ: ذات الطرائق, وتكسير كـل شـيء: حُبُكُـه, وهـو جمـع حِبـاك وحَبيكـة يقـال لتكسير الشعرة الجعدة: حُبك وللرملة إذا مرّت بهـا الريـح السـاكنة, والمـاء القائم, والدرع من الحديد لها: حُبُك ومنه قول الراجز:

كأنّمَا جَلّلَهَا الحَوّاكُ طِنْفِسَةً فِي وَشْيِها حِباكُ
(أذْهَبها الخُفُوقُ والدّرَاكُ)

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل, وإن اختلفت ألفاظ قائليه فيه. ذكر من قال ذلك:

24801ـ حدثني أبو حصين عبد الله بن أحمد بن يونس, قال: حدثنا عَبَثْر, قال: حدثنا حصين, عن عكرِمة, عن ابن عباس, قوله: والسّماءِ ذَاتِ الحُبُـكِ قال: ذات الخَلْق الحسن.

حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن عطاء بن السائب, عن سعيد بن جُبير عن ابـن عبـاس وَالسّـماءِ ذَاتِ الحُبُـكِ قـال: حُسنها واستواؤها.

24802ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا حكام, عن عمرو, عن عطاء, عن سعيد بن جُبَير والسّماءِ ذَاتِ الحُبُكِ قال: حبكها: حسنها واستواؤها.
24803ـ قال: ثنا حكام, قال: حدثنا عمرو, عن عمر بن سعيد بن مسروق أخي سفيان, عن خصيف, عن سعيد بن جُبَير والسّماءِ ذَاتِ الحُبُكِ قال: ذات الزينة.
24804ـ حدثنا محمد بن عبد الله بن بزيع, قال: حدثنا بشر بن المفضل, عن عوف, عن الحسن, قوله: والسّماءِ ذَاتِ الحُبُكِ قال: حبكت بالخلق الحسن, حبكت بالنجوم.
حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا هوذة, قال: حدثنا عوف, عن الحسن, في قوله: والسّماءِ ذَاتِ الحُبُكِ قال: حبكت بالخلق الحسن, حبكت بالنجوم.
حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عثمان بن الهيثم, قال: حدثنا عوف, عن الحسن, في قوله: والسّماءِ ذَاتِ الحُبُكِ قال: ذات الخَلْق الحَسَن, حُبِكَت بالنجوم.
24805ـ حدثني يعقوب, قال: حدثنا ابن علية, قال: حدثنا عمران بن حُدَير, قال: سُئل عكرِمة, عن قوله: والسّماءِ ذَاتِ الحُبُكِ قال: ذات الخلْق الحسن, ألم تر إلى النَساج إذا نسج الثوب قال: ما أحسن ما حبكه.
24806ـ حدثني يعقوب بن إبراهيم, قال: حدثنا ابن عُلَية, قال: حدثنا أيوب, عن أبي قِلابة, عن رجل من أصحاب النبيّ صلى الله عليه وسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إنّ مِنْ وَرَائِكُمْ الكَذّابّ المُضِلّ, وَإنّ رأسَهُ مِنْ وَرَائهِ حُبُكٌ حُبُكٌ» يعني بالحبك: الجعودة.
حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, عن عطاء بن السائب, عن سعيد بن جُبَير, عن ابن عباس والسّماءِ ذَاتِ الحُبُكِ قال: استواؤها: حسنها.
24807ـ قال: ثنا مهران, عن عليّ بن جعفر, عن الربيع بن أنس والسّماءِ ذَاتِ الحُبُكِ قال: ذات الخلْق الحسن.
24808ـ قال: ثنا مهران, عن سعيد, عن قتادة, قال: حُبُكها نجومها. وكان ابن عباس يقول: الْحُبُكِ ذات الخَلْق الحَسن.
24809ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: والسّماءِ ذَاتِ الحُبُكِ: أي ذات الخَلْق الحسن. وكان الحسن يقول: حبكها: نجومها.
حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة ذَاتِ الْحُبُك قال: ذات الخَلْق الحَسَن.
24810ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: والسّماءِ ذَاتِ الحُبُكِ قال: المتقن البنيان.
24811ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: والسّماءِ ذَاتِ الحُبُكِ يقول: ذات الزينة, ويقال أيضا: حبكها مثل حبك الرمل, ومثل حبك الدرع, ومثل حبك الماء إذا ضربته الريح, فنسجته طرائق.
24812ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: ذَاتِ الْحُبُكِ قال: الشدة حُبِكَت شُدّت. وقرأ قول الله تبارك وتعالى: وَبَنَيْنا فَوْقَكُمْ سَبْعا شِدَادا.

حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: والسّماءِ ذَاتِ الْحُبُكِ قال: ذات الخَلْق الحسن ويقال: ذات الزينة.

وقيل: عنى بذلك السماء السابعة. ذكر من قال ذلك:

24813ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن بن مهدي وأبو داود, قالا: حدثنا عمران القطان, عن قتادة, عن سالم بن أبي الجعد, عن معدان بن أبي طلحة, عن عمرو البكاليّ, عن عبد الله بن عمرو والسّماءِ ذَاتِ الْحُبُكِ قال: السماء السابعة.

حدثني القاسم بن بشير بن معروف, قال: حدثنا أبو داود, قال: حدثنا عمران القطان, عن قتادة, عن سالم بن أبي الجعد, عن معدان, عن عمرو البكاليّ, هكذا قال القاسم, عن عبد الله بن عمرو نحوه.

وقوله: إنّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ يقول: إنكم أيها الناس لفي قول مختلف في هذا القرآن, فمن مصدّق به ومكذّب. كما:

24814ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة إنّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ قال: مصدّق بهذا القرآن ومكذّب.

24815ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: إنّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ قال: يتخرّصون يقولون: هذا سحر, ويقولون: هذا أساطير, فبأيّ قولهم يؤخذ, قتل الخرّاصون هذا الرجل, لا بدّ له من أن يكون فيه أحد هؤلاء, فما لكم لا تأخذون أحد هؤلاء, وقد رميتموه بأقاويل شتى, فبأيّ هذا القول تأخذون, هذا الرجل الآن فهو قول مختلف. قال: فذكر أنه تخرّص منهم ليس لهم بذلك علم قالوا: فما منع هذا القرآن أن ينزل باللسان الذي نزلت به الكتب من قبلك, فقال الله: أعجميّ وعربيّ؟ لو جعلنا هذا القرآن أعجميا لقلتم نحن عرب وهذا القرآن أأعجميّ, فكيف يجتمعان.

وقوله: يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أَفِكَ يقول: يصرف عن الإيمان بهذا القرآن من صرف, ويدفع عنه من يُدْفع, فيُحْرَمه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

24816ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ قال ابن عمرو في حديثه: يوفى, أو يُؤْفَن, أو كلمة تشبهها. وقال الحارث: يُؤْفَن, بغير شك.

24817ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة, عن الحسن يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ قال: يُصرف عنه من صُرف.

24818ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ فالمأفوك عنه اليوم, يعني كتابَ الله.

24819ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ قال: يُؤْفَك عنه المشركون.

الآية : 10-13

القول في تأويل قوله تعالى: {قُتِلَ الْخَرّاصُونَ * الّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ * يَسْأَلُونَ أَيّانَ يَوْمُ الدّينِ * يَوْمَ هُمْ عَلَى النّارِ يُفْتَنُونَ }.

يقول تعالى ذكره: لُعِن المتكهنون الذين يتخرّصون الكذب والباطل فيتظننونه.

واختلف أهل التأويل في الذين عُنُوا بقوله قُتِلَ الخَرّاصُونَ فقـال بعضـهم: عُنَي به المرتابون. ذكر من قال ذلك:
24820ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن علـيّ, عن ابن عباس, قوله: قُتِلَ الخَرّاصُونَ يقول: لعن المُرتابون.
وقال آخرون في ذلك بالذي قلنا فيه. ذكر من قال ذلك:
24821ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: قُتِلَ الخَرّاصُونَ قال: الكهنة.
24822ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبـي نجيح, عن مجاهد قُتِلَ الخَرّاصُونَ قال: الذين يتخرّصون الكـذب كقـوله فـي عبس قُتِلَ الإنْسانُ, وقد حدثني كل واحد منهما بالإسـناد الـذي ذكـرت عنـه, عن مجاهد, قوله: قُتِلَ الخَرّاصُونَ قال: الذين يقولون: لا نُبْعَث ولا يُوقِنون.
24823ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتـادة قُتِـلَ الخَرّاصُونَ: أهل الظنون.
24824ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قـال ابـن زيـد, فـي قوله: قُتِلَ الخَرّاصُونَ قال: القوم الذين كانوا يتخرّصون الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم, قالت طائفة: إنما هو ساحر, والذي جاء به سحر. وقالت طائفة: إنما هو شاعر, والذي جاء بـه شـعر وقـالت طائفـة: إنمـا هـو كاهن, والذي جاء به كهانة وقالت طائفة أساطِيرُ الأوّلِينَ اكْتَتَبَها فَهِـيَ تُمْلَـى عَلَيْهِ بُكْرَةً وأصِيلاً يتخرّصون على رسول الله صلى الله عليه وسلم.
وقوله: وَالّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ ساهُونَ يقول تعـالى ذكـره: الـذين هـم فـي غمرة الضلالة وغَلَبتها عليهم متمادون, وعن الحقّ الذي بعث الله بـه محمـدا صلى الله عليه وسلم ساهون, قد لَهُوا عنه. وبنحو الذي قلنـا فـي ذلـك قـال أهل التأويل وإن اختلفت ألفاظهم في البيان عنه. ذكر من قال ذلك:
24825ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن علـيّ, عن ابن عباس, قوله: الّـذِينَ هُـمْ فِـي غَمْـرَةٍ سـاهُونَ يقـول: فـي ضـلالتهم يتمادَون.
24826ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: الّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ ساهُونَ قـال: فـي غفلة لاهون.
24827ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة الّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ ساهُونَ يقول: في غمرة وشُبهة.
24828ـ حدثنا ابن حُمَيد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان غَمْـرَةٍ سـاهُونَ قال: في غفلة.
24829ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قـال ابـن زيـد, فـي قوله: فِي غَمْرَةٍ ساهُونَ قال: ساهون عما أتاهم, وعمـا نـزل عليهـم, وعمـا أمرهم الله تبارك وتعالى, وقرأ قول الله جلّ ثناؤه بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِـنْ هَذَا... الآية, وقال: ألا ترى الشيء إذا أخذته ثم غمرته في الماء.
24830ـ حدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حـدثنا ورقـاء جميعـا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد فِي غَمْرَةٍ ساهُونَ: قلبه في كِنانة.

وقوله: يَسأَلُونَ أيّانَ يَوْمُ الدّينِ؟ يقول تعالى ذكره: يسأل هؤلاء الخرّاصون الذين وصف صفتهم متى يوم المجازاة والحساب, ويوم يُدِينُ الله العباد بأعمالهم. كما:

24831ـ حدثنا يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: أيّانَ يَوْمُ الدّينِ قال: الذين كانوا يجحدون أنهم يُدانون, أو يُبعثون.

24832ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: يَسأَلُونَ أيّانَ يَوْمُ الدّينِ قال: يقولون: متى يوم الدين, أو يكون يوم الدين.

وقوله: يَوْمَ هُمْ على النّارِ يُفْتَنُونَ يقول تعالى ذكره: يوم هم على نار جهنم يفتنون.

واختلف أهل التأويل في معنى قوله يُفْتَنُونَ في هذا الموضع, فقال بعضهم: عنى به أنهم يعذّبون بالإحراق بالنار. ذكر من قال ذلك:

24833ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, في قوله: يَوْمَ هُمْ على النّارِ يُفْتَنُونَ يقول: يعذّبون.

24834ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: يَسأَلُونَ أيّانَ يَوْمُ الدّينِ يَوْمَ هُمْ على النّارِ يُفْتَنُونَ قال: فتنتهم أنهم سألوا عن يوم الدين وهم موقوفون على النار ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَذَا الّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ فقالوا حين وقفوا: يَا وَيْلَنَا هَذَا يَوْمُ الدّينِ, وقال الله تبارك وتعالى هَذَا يَوْمُ الفَصْلِ الّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذّبُونَ.

24835ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد قوله: يُفْتَنُونَ قال: كما يفتن الذهب في النار.

24836ـ حدثني يعقوب, قال: ثني هشيم, قال: أخبرنا حصين, عن عكرِمة, في قوله: يَوْمَ هُمْ عَلى النّارِ يُفْتَنُونَ قال: يعذّبون في النار يحرقون فيها, ألم تر أن الذهب إذا ألقي في النار قيل فتن.

حدثني سليمان بن عبد الجبار, قال: حدثنا محمد بن الصلت, قال: حدثنا أبو كدينة, عن حصين, عن عكرِمة يَوْمَ هُمْ على النّارِ يُفْتَنُونَ قال: يعذّبون.

حدثنا يحيى بن طلحة اليربوعي, قال: حدثنا فضيل بن عياض, عن منصور, عن مجاهد يَوْمَ هُمْ على النّارِ يُفْتَنُونَ يقول: يُنْضَجون بالنار.

حدثنا ابن حُمَيد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, عن الحصين, عن عكرِمة يَوْمَ هُمْ على النّارِ يُفْتَنُونَ قال: يحرقون.

24837ـ حدثنا ابن حُمَيد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان يَوْمَ هُمْ على النّارِ يُفْتَنُونَ يقول: يحرقون.

24838ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في يَوْمَ هُمْ على النّارِ يُفْتَنُونَ قال: يطبخون, كما يفتن الذهب بالنار.

24839ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: يَوْمَ هُمْ على النّارِ يُفْتَنُونَ قال: يحرقون بالنار.

حدثنا ابن حُمَيد, قال: حدثنا جرير, عن منصور, عن مجاهد يَوْمَ هُمْ على النّارِ يُفْتَنُونَ قال: يحرقون.

وقال آخرون: بل عنى بذلك أنهم يكذبون. ذكر من قال ذلك:

24840ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقـول: أخبرنـا عبيـد, قال: سمعت الضحاك يقول في قـوله: يَـوْمَ هُـمْ علـى النّـارِ يُفْتَنُـونَ يقـول: يطبخون, ويقال أيضا يُفْتَنُونَ يكذّبون كل هذا يقال.

واختلف أهل العربية في وجه نصب اليوم في قـوله: يَـوْمَ هُـمْ علـى النّـارِ يُفْتَنُونَ فقال بعض نحويي البصرة: نصبت على الوقت والمعنى في أيّانَ يَوْمُ الدّينِ: أي متى يوم الدين, فقيل لهم: في يَـوْمَ هُـمْ علـى النّـارِ يُفْتَنُـونَ, لأن ذلك اليوم يوم طويل فيه الحساب, وفيه فتنتهم على النار.

وقال بعض نحويي الكوفة: إنما نصبت يَوْمَ هُمْ لأنك أضفته إلى شيئين, وإذا أضيف اليوم والليلة إلى اسم له فعـل, وارتفعـا نصـب اليـوم, وإن كـان فـي موضع خفض أو رفع إذا أضيف إلى فَعَـل أو يَفْعَـلُ أو إذا كـان كـذلك, ورفعـه في موضع الرفع, وخفضه في موضع الخفض يجوز: فلو قيل يَـوْمَ هُـمْ علـى النّارِ يُفْتَنُونَ فرفع يومُ, لكان وجها, ولم يقرأ به أحد من القرّاء.

وقال آخر منهم: إنها نصب يَوْمَ هُمْ على النّارِ يُفْتَنُونَ لأنه إضافة غير محضة فنصبّ, والتأويل رفع, ولو رفع لجاز لأنك تقول: مـتى يومـك؟ فتقـول: يـوم الخميس, ويوم الجمعة, والرفع الوجه, لأنه اسم قابل اسما فهذا الوجه.

وأولى القولين بالصواب في تأويل قوله: يَوْمَ هُمْ على النّـارِ يُفْتَنُـونَ قـول من قال: يعذّبون بـالإحراق, لأن الفتنـة أصـلها الاختبـار, وإنمـا يقـال: فتنـت الذهب بالنار: إذا طبختها بها لتعرف جودتها, فكذلك قوله: يَوْمَ هُمْ على النّارِ يُفْتَنُونَ يحرقون بها كما يحـرق الـذهب بهـا, وأمـا النصـب فـي اليـوم فلأنهـا إضافة غير محضة على ما وصفنا من قول قائل ذلك.

الآية : 14-16

القـول فـي تأويـل قـوله تعـالى: {ذُوقُـواْ فِتْنَتَكُـمْ هَـَذَا الّـذِي كُنتُـمْ بِـهِ تَسْتَعْجِلُونَ * إِنّ الْمُتّقِينَ فِي جَنّاتٍ وَعُيُونٍ * آخِـذِينَ مَـآ آتَـاهُمْ رَبّهُـمْ إِنّهُـمْ كَانُواْ قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ }.

يعني تعالى ذكره بقوله: ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ يقال لهم: ذوقوا فتنتكم وترك يقال لهم لدلالة الكلام عليها.

ويعني بقوله: فِتْنَتَكُمْ: عذابكم وحريقكم. واختلف أهل التأويـل فـي ذلـك, فقال بعضهم بالذي قلنا فيه. ذكر من قال ذلك:

24841ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبـي نجيح, عن مجاهد, قوله: فِتْنَتَكُمْ قال: حريقكم.

24842ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ: ذوقوا عذابكم هَذَا الّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ.

حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمـر, عـن قتـادة, فـي قوله: ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ يقول: يوم يعذّبون, فيقول: ذوقوا عذابكم.

24843ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقـول: أخبرنـا عبيـد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ يقول: حريقكم.

24844ـ حدثنا ابن حُمَيد, قال: حدثنا مهران, عن سـفيان ذُوقُـوا فِتْنَتَكُـمْ يقول: احتراقكم.

24845ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قـال ابـن زيـد, فـي قوله: ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ قال: ذوقوا عذابكم.

وقال آخرون: عنى بذلك: ذوقوا تعذيبكم أو كذبكم. ذكر من قال ذلك:

24846ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ يقول: تكذيبكم.
24847ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ يقول: حريقكم, ويقال: كذبكم.
وقوله: هَذَا الّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ يقول تعالى ذكره: يقال لهم: هذا العذاب الذي تُوفّوْنَهُ اليوم, هو العذاب الذي كنتم به تستعجلون في الدنيا.
وقوله: إنّ المُتّقِينَ فِي جَنّاتٍ وَعُيُونٍ يقول تعالى ذكره: إن الذين اتقوا الله بطاعته, واجتناب معاصيه في الدنيا في بساتين وعيون ماءٍ في الآخرة.
وقوله: آخِذِينَ ما آتاهُمْ رَبّهُمْ يقول تعالى ذكره: عاملين ما أمرهم به ربهم مؤدّين فرائضه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
24848ـ حدثنا ابن حُمَيد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, عن أبي عمر, عن مسلم البطين, عن ابن عباس, في قوله: آخِذِينَ ما آتاهُمْ رَبّهُمْ قال: الفرائض.
وقوله: إنّهُمْ كانُوا قَبْلَ ذلكَ مُحْسِنِينَ يقول: إنهم كانوا قبل أن يفرض عليهم الفرائض محسنين, يقول: كانوا لله قبل ذلك مطيعين. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
24849ـ حدثنا ابن حُمَيد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, عن أبي عمر, عن مسلم البطين, عن ابن عباس إنّهُمْ كانُوا قَبْلَ ذلكَ مُحْسِنِينَ قال: قبل الفرائض محسنين يعملون.

الآية : 17-19

القول في تأويل قوله تعالى: {كَانُواْ قَلِيلاً مّن اللّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ * وَبِالأسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ * وَفِيَ أَمْوَالِهِمْ حَقّ لّلسّآئِلِ وَالْمَحْرُومِ }.
اختلف أهل التأويل في تأويل قوله: كانُوا قَلِيلاً مِنَ اللّيْلِ ما يَهْجَعُونَ قال بعضهم: معناه كانوا قليلا من الليل لا يهجعون, وقالوا: «ما» بمعنى الجحد. ذكر من قال ذلك:
24850ـ حدثنا ابن بشار وابن المثنى, قالا: حدثنا يحيى بن سعيد وابن أبي عدي, عن سعيد بن أبي عروبة, عن قتادة, عن أنس بن مالك كانُوا قَلِيلاً مِنَ اللّيْلِ ما يَهْجَعُونَ قال: يتيقظون يصلون ما بين هاتين الصلاتين, ما بين المغرب والعشاء.
حدثني زريق بن الشحب, قال: حدثنا عبد الوهاب بن عطاء, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, عن أنس, بنحوه.
24851ـ حدثنا ابن بشار وابن المثنى, قالا: حدثنا أبو داود, قال: حدثنا بكير بن أبي السمط, عن قتادة, عن محمد بن عليّ, في قوله: كانُوا قَلِيلاً مِنَ اللّيْلِ ما يَهْجَعُونَ قال: كانوا لا ينامون حتى يصلوا العتمة.
24852ـ قالا: ثنا محمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, عن قتادة, عن مطرف, في قوله: كانُوا قَلِيلاً مِنَ اللّيْلِ ما يَهْجَعُونَ قال: قلّ ليلة أتت عليهم إلا صلوا فيها.
حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قال: قال مطرف بن عبد الله في قوله: كانُوا قَلِيلاً مِنَ اللّيْلِ ما يَهْجَعُونَ قلّ ليلة تأتي عليهم لا يصلون فيها الله. إما من أوّلها, وإما من وسطها.

24853ـ حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا ابن يمان, قال: حدثنا ابن أبي ليلى, عن المنهال, عن سعيد بن جُبَير, عن ابن عباس كانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ ما يَهْجَعُونَ قال لم يكن يمضي عليهم ليلة إلا يأخذون منها ولو شيئا.
24854ـ قال: ثنا ابن يمان, عن أبي جعفر الرازي, عن الربيع بن أنس, عن أبي العالية, قال: كانوا يصيبون فيها حظا.
24855ـ حدثني عليّ بن سعيد الكنديّ, قال: حدثنا حفص بن عاصم, عن أبي العالية, في قوله: كانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ ما يَهْجَعُونَ قال: لا ينامون بين المغرب والعشاء.
24856ـ حدثنا ابن حُمَيد, قال: حدثنا حكام ومهران, عن أبي جعفر, عن الربيع كانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ ما يَهْجَعُونَ قال: كانوا يصيبون من الليل حظا.
حدثني يعقوب, قال: حدثنا ابن علية, عن سعيد بن أبي عروبة, عن مطرّف, في قوله: كانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ ما يَهْجَعُونَ قال: قلّ ليلة أتت عليهم هجعوها كلها.
24857ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة كانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ ما يَهْجَعُونَ قال: كان لهم قليل من الليل ما يهجعون, كانوا يصلونه.
24858ـ حدثني يعقوب, قال: حدثنا ابن علية, قال: سمعت ابن أبي نجيح, يقول في قوله: كانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ ما يَهْجَعُونَ قال: كانوا قليلاً ما ينامون ليلة حتى الصباح.
24859ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قوله: كانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ ما يَهْجَعُونَ قال: قليل ما يرقدون ليلة حتى الصباح لا يتهجدون.
وقال آخرون: بل معنى ذلك: كانوا قليلاً من الليل يهجعون, ووجهوا ما التي في قوله: ما يَهْجَعُونَ إلى أنها صلة. ذكر من قال ذلك:
24860ـ حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا محمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, عن قتادة, في قوله: كانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ ما يَهْجَعُونَ قال: قال الحسن: كابدوا قيام الليل.
حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قال: كان الحسن يقول: لا ينامون منه إلا قليلاً.
حدثني يعقوب بن إبراهيم, قال: حدثنا ابن علية, عن بعض أصحابنا, عن الحسن, في قوله: كانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ ما يَهْجَعُونَ قال: لا ينامون من الليل إلا أقله.
24861ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الوهاب, قال: حدثنا عوف, عن سعيد بن أبي الحسن, في قوله: كانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ ما يَهْجَعُونَ قال: قلّ ليلة أتت عليهم هجوعا.
24862ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قال: قال الأحنف بن قيس, في قوله: كانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ ما يَهْجَعُونَ قال: كانوا لا ينامون إلا قليلاً.
24863ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا أبو داود, قال: حدثنا الحكم بن عطية, عن قتادة, قال: قال الأحنف بن قَيس, وقرأ هذه الآية كانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ ما يَهْجَعُونَ قال: لست من أهل هذه الآية.

حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا ابن أبي عديّ, عن سعيد, عن قتادة, عن الحسن, في قوله: كانُوا قَلِيلاً مِنَ اللّيْلِ ما يَهْجَعُونَ قال: قيام الليل.
24864ـ حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا ابن يمان, عن سفيان, عن يونس, عن الحسن, قال: نشطوا فمدّوا إلى السحر.
حدثنا ابن حُمَيد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, عن يونس بن عبيد, عن الحسن, قال: مدّوا في الصلاة ونشطوا, حتى كان الاستغفار بسحر.
قال: ثنا مهران, عن سعيد بن أبي عروبة, عن قتادة, عن الحسن قال: كانوا لا ينامون من الليل إلا قليلاً.
24865ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, في قوله: كانُوا قَلِيلاً مِنَ اللّيْلِ ما يَهْجَعُونَ قال: كان الحسن والزهري يقولان: كانوا كثيرا من الليل ما يصلون. وقد يجوز أن تكون ما على هذا التأويل في موضع رفع, ويكون تأويل الكلام: كانوا قليلاً من الليل هجوعهم وأما من جعل ما صلة, فإنه لا موضع لها ويكون تأويل الكلام على مذهبه كانوا يهجعون قليل الليل, وإذا كانت ما صلة كان القليل منصوبا بيهجعون.
24866ـ حدثنا ابن حُمَيْد, قال: حدثنا جرير, عن منصور عن إبراهيم كانُوا قَلِيلاً مِنَ اللّيْلِ ما يَهْجَعُونَ قال: ما ينامون.
وقال آخرون: بل معنى ذلك: كانوا يصلون العتمة, وعلى هذا التأويل ما في معنى الجحد. ذكر من قال ذلك:
24867ـ حدثنا ابن بشار وابن المثنى, قالا: حدثنا محمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, عن قتادة, في قوله: كانُوا قَلِيلاً مِنَ اللّيْلِ ما يَهْجَعُونَ قال: قال رجل من أهل مكة: سماه قتادة, قال: صلاة العتمة.
وقال آخرون: بل معنى ذلك: كان هؤلاء المحسنون قبل أن تفرض عليهم الفرائض قليلاً من الناس, وقالوا الكلام بعد قوله إنّهُمْ كانُوا قَبْلَ ذلكَ مُحْسِنِين كانوا قليلاً مستأنف بقوله: مِنَ اللّيْلِ ما يَهْجَعُونَ فالواجب أن تكون ما على هذا التأويل بمعنى الجحد. ذكر من قال ذلك:
24868ـ حدثنا ابن حُمَيد, قال: حدثنا يحيى بن واضح, قال: حدثنا عبيد, عن الضحاك, في قوله: كانُوا قَلِيلاً مِنَ اللّيْلِ ما يَهْجَعُونَ يقول: إن المحسنين كانوا قليلاً, ثم ابتدىء فقيل مِنَ اللّيْلِ ما يَهْجَعُونَ وبالأسْحارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ كما قال: وَالّذِينَ آمَنُوا باللّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصّدّيقُونَ ثم قال: والشّهَدَاءُ عِنْدَ رَبّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ.
حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن الزبير, عن الضحاك بن مزاحم كانُوا قَلِيلاً مِنَ اللّيْلِ ما يَهْجَعُونَ قال: كانوا من الناس قليلاً.
حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا ابن يمان, عن سفيان, عن الزبير بن عديّ, عن الضحاك بن مزاحم, في قوله: كانُوا قَلِيلاً مِنَ اللّيْلِ ما يَهْجَعُونَ قال: كانوا قليلاً من الناس من يفعل ذلك.
حدثنا ابن حُمَيد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, عن الزبير بن عديّ, عن الضحاك بن مزاحم كانُوا قَلِيلاً مِنَ اللّيْلِ ما يَهْجَعُونَ قال: كانوا قليلاً من الناس إذ ذاك.
حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: كانُوا قَلِيلاً مِنَ اللّيْلِ ما يَهْجَعُونَ قال الله:

إن المُتّقِينَ فِي جَنّاتٍ وَعُيُونٍ... إلى مُحْسِنِينَ كانوا قليلاً, يقول: المحسنون كانوا قليلاً, هذه مفصولة, ثم استأنف فقال: مِنَ اللّيْلِ ما يَهْجَعُونَ.

وأما قوله: يَهْجَعُونَ فإنه يعني: ينامون, والهجوع: النوم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

24869ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس كانُوا قَلِيلاً مِنَ اللّيْلِ ما يَهْجَعُونَ يقول: ينامون.

24870ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن منصور, عن إبراهيم كانُوا قَلِيلاً مِنَ اللّيْلِ ما يَهْجَعُونَ قال: ينامون.

حدثنا ابن حُمَيد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, عن منصور, عن إبراهيم, مثله.

24871ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ, يقول: حدثنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: مِنَ اللّيْلِ ما يَهْجَعُونَ الهجوع: النوم.

24872ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: كانُوا قَلِيلاً مِنَ اللّيْلِ ما يَهْجَعُونَ قال: كانوا قليلاً ما ينامون من الليل, قال: ذاك الهجع. قال: والعرب تقول: إذا سافرت اهجع بنا قليلاً. قال: وقال رجل من بني تميم لأبي: يا أبا أسامة صفة لا أجدها فينا, ذكر الله تبارك وتعالى قوما فقال: كانُوا قَلِيلاً مِنَ اللّيْلِ ما يَهْجَعُونَ ونحن والله قليلاً من الليل ما نقوم قال: فقال أبي طُوَبى لمن رقد إذا نعس وأتقى الله إذا استيقظ.

وأولى الأقوال بالصحة في تأويل قوله: كانُوا قَلِيلاً مِنَ اللّيْلِ ما يَهْجَعُونَ قول من قال: كانوا قليلاً من الليل هجوعهم, لأن الله تبارك وتعالى وصفهم بذلك مدحا لهم, وأثنى عليهم به, فوصفهم بكثرة العمل, وسهر الليل, ومكابدته فيما يقرّبهم منه ويرضيه عنهم أولى وأشبه من وصفهم من قلة العمل, وكثرة النوم, مع أن الذي اخترنا في ذلك هو أغلب المعاني على ظاهر التنزيل.

وقوله: وَبالأسْحارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ اختلف أهل التأويل في تأويله, فقال بعضهم: معناه: وبالأسحار يصلون. ذكر من قال ذلك:

24873ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: وَبالأسْحارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ يقول: يقومون فيصلون, يقول: كانوا يقومون وينامون, كما قال الله لمحمد صلى الله عليه وسلم: إنّ رَبّكَ يَعْلَمُ أنّكَ تَقُومُ أدْنَى مِنْ ثُلُثَيِ اللّيْلِ وَنِصْفَهُ فهذا نوم, وهذا قيام وَطائِفَةٌ مِنَ الّذِينَ مَعَكَ كذلك يقومون ثلثا ونصفا وثلثين: يقول: ينامون ويقومون.

24874ـ حدثنا ابن حَميد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, عن جبلة بن سحيم, عن ابن عمر, قوله: وَبالأسَحارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ قال: يصلون.

24875ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد وَبالأسَحارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ قال: يصلون.

وقال آخرون: بل عنى بذلك أنهم أخروا الاستغفار من ذنوبهم إلى السحر. ذكر من قال ذلك:

24876ـ حدثنا ابن حُمَيد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, عن يونس بن عبيد, عن الحسن, قال: مدّوا في الصلاة ونَشِطوا, حتى كان الاستغفار بسحر.
24877ـ حدثنا يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَبالأسَحارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ قال: هم المؤمنون, قال: وبلغنا أن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم يعقوب حين سألوه أن يستغفر لهم قالوا يا أبانا اسْتَغْفِرْ لَنا ذُنُوبَنا قالَ سَوْفَ أسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبّي قال: قال بعض أهل العلم: إنه أخرّ الاستغفار إلى السحر. قال: وذكر بعض أهل العلم أن الساعة التي تفتح فيها أبواب الجنة: السحر.
24878ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: سمعت ابن زيد يقول: السحر: هو السدس الأخير من الليل.
وقوله: وفِي أمْوَالِهِمْ حَقّ للسّائِلِ والمَحْرُومِ يقول تعالى ذكره: وفي أموال هؤلاء المحسنين الذين وصف صفتهم حقّ لسائلهم المحتاج إلى ما في أيديهم والمحروم. وبنحو الذي قلنا في معنى السائل, قال أهل التأويل, وهم في معنى المحروم مختلفون, فمن قائل: هو المحارَف الذي ليس له في الإسلام سهم. ذكر من قال ذلك:
24879ـ حدثنا ابن حُمَيد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, عن أبي إسحاق, عن قيس بن كركم, عن ابن عباس سألته عن السائل والمحروم, قال: السائل: الذي يسأل الناس, والمحروم: الذي ليس له في الإسلام سهم وهو محارَف.
حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه عن ابن عباس, قوله: وفِي أمْوَالهِمْ حَقّ للسّائِلِ والمَحْرُومِ قال: المحروم: المحارف.
حدثنا سهل بن موسى الرازي, قال: حدثنا وكيع, عن إسرائيل, عن أبي إسحاق, عن قيس بن كركم, عن ابن عباس, قال: السائل: السائل. والمحروم: المحارف الذي ليس له في الإسلام سهم.
حدثنا سهل بن موسى, قال: حدثنا وكيع, عن سفيان, عن أبي إسحاق, عن قيس بن كركم, عن ابن عباس, قال: المحروم: المحارف الذي ليس له في الإسلام سهم.
حدثنا حُمَيد بن مسعدة, قال: حدثنا يزيد بن زريع, قال: حدثنا شعبة عن أبي إسحاق, عن قيس بن كركم, عن ابن عباس في هذه الآية للسّائِلِ والمَحْرُومِ قال: السائل: الذي يسأل, والمحروم: المحارَف.
حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا محمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, قال: سمعت أبا إسحاق يحدّث عن قيس بن كركم, عن ابن عباس, بنحوه.
24880ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قول: الله تبارك وتعالى: المحروم, قال: المحارف.
وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, مثله.
24881ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: وَالمَحْرُومِ: هو الرجل المحارف الذي لا يكون له مال إلا ذهب, قضى الله له ذلك.

حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن أبي إسحاق, عن قيس بن كركم, قال: سألت ابن عباس عن قوله: للسائل وَالمَحْرُومِ قال: السائل: الذي يسأل, والمحروم: المحارف الذي ليس له في الإسلام سهم.

24882ـ حدثني محمد بن عمرو المقدمي, قال: حدثنا قريش بن أنس, عن سليمان, عن قتادة, عن سعيد بن المسيب: المحروم: المحارَف.

24883ـ حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا محمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, عن منصور, عن إبراهيم, قال في المحروم: هو المحارف الذي ليس له أحد يعطف عليه, أو يعطيه شيئا.

24884ـ حدثني ابن المثنى, قال: ثني وهب بن جرير, قال: حدثنا شعبة, عن عاصم, عن أبي قِلابة, قال: جاء سيل باليمامة, فذهب بمال رجل, فقال رجل من أصحاب النبيّ صلى الله عليه وسلم: هذا المحروم.

24885ـ حدثني يعقوب, قال: حدثنا ابن علية, قال: أخبرنا أيوب, عن نافع, قال: المحروم: المحارف.

حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: ثني مسلم بن خالد, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, عن ابن عباس, قال: المحروم: المحارف.

حدثني يعقوب بن إبراهيم, قال: حدثنا هشيم, قال: أخبرنا حجاج, عن الوليد بن العيزار عن سعيد بن جُبَير, عن ابن عباس أنه قال: المحروم: هو المحارف.

24886ـ حدثني يعقوب بن إبراهيم, قال: حدثنا هشيم, عن أبي بشر, قال: سألت سعيد بن جُبَير, عن المحروم, فلم يقل فيه شيئا, فقال عطاء: هو المحدود المحارف.

ومن قائل: هو المتعفف الذي لا يسأل الناس شيئا. ذكر من قال ذلك:

حدثنا يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: أخبرني نافع بن يزيد, عن عمرو بن الحارث, عن بكير بن الأشجّ, عن سعيد بن المسيب, أنه سُئل عن المحروم فقال: المحارف.

24887ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وفي أمْوَالِهِمْ حَقّ للسَائل وَالمَحْرُومِ هذان فقيرا أهل الإسلام, سائل يسأل في كفّه, وفقير متعفّف, ولكليهما عليك حقّ يا ابن آدم.

24888ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا محمد بن ثور, عن معمر, عن الزهري للسّائلِ وَالمَحْرُومِ قال: السائل: الذي يسأل, والمحروم: المتعفف الذي لا يسأل.

24889ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, قال: قال معمر, وحدثني الزهريّ, أن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال: «لَيْسَ المِسْكينُ الّذِي تَرُدّهُ التّمْرَةُ والتّمْرَتانِ والأكْلَةُ والأكْلَتانِ», قالوا فمن المسكين يا رسول الله؟ قال: «الّذِي لا يَجِدُ غِنًى, وَلا يُعْلَمُ بِحاجَتِهِ فَيُتَصَدّقُ عَلَيْهِ فَذلكَ المَحْرُومُ».

24890ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, في قوله: للسّائِل والمَحْرُومِ قال: السائل الذي يسأل بكفه, والمحروم: المتعفف, ولكليهما عليك حقّ يا ابن آدم.

وقائل: هو الذي لا سهم له في الغنيمة. ذكر من قال ذلك:

24891ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن قيس بن مسلم, عن الحسن بن محمد, إن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث سرية, فغنموا, فجاء قوم يشهدون الغنيمة, فنزلت هذه الآية: وفِي أَمْوَالِهِمْ حَقّ للسّائِلِ وَالمَحْرُومِ.

حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا ابن أبي زائدة, عن سفيان, عن قيس بن مسلم الجدلي, عن الحسن بن محمد, قال: بعثت سرية فغنموا, ثم جاء قوم من بعدهم, قال: فنزلت للسّائِل وَالمَحْرُومِ.

24892ـ حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا محمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, عن الحكم, عن إبراهيم أن أناسا قدموا على عليّ رضي الله عنه الكوفة بعد وقعة الجمل, فقال: اقسموا لهم, قال: هذا المحروم.

حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا أبو نعيم, عن سفيان, عن قيس بن مسلم, عن الحسن بن محمد أن قوما في زمان النبيّ صلى الله عليه وسلم أصابوا غنيمة, فجاء قوم بعد, فنزلت وفِي أَمْوَالِهِمْ حَقّ للسّائِلِ وَالمَحْرُومِ.

24893ـ حدثنا ابن حُمَيد, قال: حدثنا حكام, قال: حدثنا عمرو, عن منصور, عن إبراهيم, قال: المحروم: الذي لا فيء له في الإسلام, وهو محارف من الناس.

قال: ثنا جرير, عن منصور, عن إبراهيم, قوله: للّسائِلِ وَالمَحْرُومِ قال: المحروم: الذي لا يجري عليه شيء من الفيء, وهو محارف من الناس.

وقائل: هو الذي لا ينمى له مال. ذكر من قال ذلك:

24894ـ حدثني أبو السائب, قال: حدثنا ابن إدريس, عن حصين, قال: سألت عكرمة, عن السائل والمحروم؟ قال: السائل: الذي يسألك, والمحروم: الذي لا ينمى له مال.

وقائل: هو الذي قد ذهب ثمره وزرعه. ذكر من قال ذلك:

24895ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وفِي أَمْوَالِهِمْ حَقّ للسّائِلِ والمَحْرُومِ قال: المحروم: المصاب ثمره وزرعه, وقرأ أفرأيْتُمْ ما تَحْرُثُونَ أأنْتُم تَزْرَعُونَهُ حتى بلغ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ وقال أصحاب الجنة: إنّا لَضَالّونَ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ.

24896ـ حدثنا يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: أخبرني عبد الله بن عياش, قال: قال زيد بن أسلم في قوله: وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقّ للسّائِلِ وَالمَحْرُومِ قال: ليس ذلك بالزكاة, ولكن ذلك مما ينفقون من أموالهم بعد إخراج الزكاة, والمحروم: الذي يُصاب زرعه أو ثمره أو نسل ماشيته, فيكون له حقّ على من لم يصبه ذلك من المسلمين, كما قال لأصحاب الجنة حين أهلك جنتهم قالُوا بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ وقال أيضا: لَوْ نَشاءُ لجَعَلْناهُ حُطاما فَظَلْتُمْ تَفَكّهُونَ إنّا لَمَغْرَمُونَ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ.

وكان الشعبيّ يقول في ذلك ما.

24897ـ حدثني يعقوب, قال: حدثنا ابن علية, عن ابن عون, قال: قال الشعبيّ: أعياني أن أعلم ما المحروم.

والصواب من القول في ذلك عندي أنه الذي قد حُرم الرزق واحتاج, وقد يكون ذلك بذهاب ماله وثمره, فصار ممن حرمه الله ذلك, وقد يكون بسبب تعففه وتركه المسألة, ويكون بأنه لا سهم له في الغنيمة لغيبته عن الوقعة, فلا قول في ذلك أولى بالصواب من أن تعمّ, كما قال جلّ ثناؤه: وفي أَمْوَالِهِمْ حَقّ للسّائِلِ وَالمَحْرُومِ.

الآية : 20-22

القول في تأويل قوله تعالى: {وَفِي الأرْضِ آيَاتٌ لّلْمُوقِنِينَ * وَفِيَ أَنفُسِكُمْ أَفَلاَ تُبْصِرُونَ * وَفِي السّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ }.

يقول تعالى ذكره: وفي الأرض عِبر وعظات لأهل اليقين بحقيقة ما عاينوا ورأوا إذا ساروا فيها. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

24898ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة, في قوله: وفي الأرْضِ آياتٌ لّلْمُوقِنِينَ قال: يقول: معتبر لمن اعتبر.

24899ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وفي الأرْضِ آياتٌ لّلْمُوقِنِينَ إذا سار في أرض الله رأى عِبرا وآيات عظاما.

وقوله: وفي أنْفُسِكُمْ أفَلا تُبْصِرُونَ اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك, فقال بعضهم: معنى ذلك: وفي سبيل الخلاء والبول في أنفسكم عِبرة لكم, ودليل لكم على ربكم, أفلا تبصرون إلى ذلك منكم. ذكر من قال ذلك:

24900ـ حدثنا أحمد بن عبد الصمد الأنصاريّ, قال: حدثنا أبو أُسامة, عن ابن جُرَيج, عن ابن المرتفع, قال: سمعت ابن الزّبير يقول: وفي أنْفُسِكُمْ أفَلا تُبْصِرُونَ قال: سبيل الغائط والبول.

حدثنا ابن حُمَيد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, عن ابن جُرَيج, عن محمد بن المرتفع, عن عبد الله بن الزّبير وفي أنْفُسِكُمْ أفَلا تُبْصِرُونَ قال: سبيل الخلاء والبول.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: وفي تسوية الله تبارك وتعالى مفاصل أبدانكم وجوارحكم دلالة لكم على أن خلقتم لعبادته. ذكر من قال ذلك:

24901ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وفي أنْفُسِكُمْ أفَلا تُبْصِرُونَ, وقرأ قول الله تبارك وتعالى وَمِنْ آياتِهِ أنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمّ إذَا أنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ قال: وفينا آيات كثيرة, هذا السمع والبصر واللسان والقلب, لا يدري أحد ما هو أسود أو أحمر, وهذا الكلام الذي يتلجلج به, وهذا القلب أيّ شيء هو, إنما هو مضغة في جوفه, يجعل الله فيه العقل, أفيدري أحد ما ذاك العقل, وما صفته, وكيف هو؟.

والصواب من القول في ذلك أن يقال: معنى ذلك: وفي أنفسكم أيضا أيها الناس آيات وعِبر تدلّكم على وحدانية صانعكم, وأنه لا إله لكم سواه, إذ كان لا شيء يقدر على أن يخلق مثل خلقه إياكم أفَلا تُبْصِرُونَ يقول: أفلا تنظرون في ذلك فتتفكروا فيه, فتعلموا حقيقة وحدانية خالقكم.

وقوله: وفي السّماءِ رِزْقُكُمْ يقول تعالى ذكره: وفي السماء: المطر والثلج اللذان بهما تخرج الأرض رزقكم, وقوتكم من الطعام والثمار وغير ذلك. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال بعض أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

24902ـ حدثني محمد بن عبد الله بن بزيع, قال: حدثنا النضر, قال: حدثنا جُوَيبر, عن الضحاك, في قوله: وفي السّماءِ رِزْقُكُمْ قال: المطر.

24903ـ حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا ابن يمان, عن أشعث, عن جعفر, عن سعيد, في قوله: وفي السماءِ رِزْقُكُمْ وَما تُوعَدُونَ قال: الثلج, وكلّ عين ذائبة من الثلج لا تنقص.

24904ـ حدثنا يونس بن عبد الأعلى, قال: حدثنا سفيان, عن عبد الكريم, عن الحسن, قال: في السحاب فيه والله رزقكم, ولكنكم تُحْرَمونه بخطاياكم وأعمالكم.

24905ـ قال: أخبرنا سفيان, عن إسماعيل بن أمية, قال: أحسبه أو غيره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع رجلاً ومطروا, يقول: ومطرنا ببعض عثانين الأسد, فقال: «كَذَبْتَ, بَلْ هُوَ رِزْقُ اللّهِ».
24906ـ حدثنا ابن حُمَيد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, عن مجاهد وفي السّماءِ رِزْقُكُمْ وَما تُوعَدُونَ قال: رزقكم المطر.
24907ـ قال: ثنا مهران, عن سفيان وفي السّماءِ رِزْقُكُمْ قال: رزقكم المطر.
وقال آخرون: بل معنى ذلك: ومن عند الله الذي في السماء رزقكم, وممن تأوّله كذلك واصل الأحدب.
24908ـ حدثنا ابن حُمَيد, قال: حدثنا هارون بن المُغيرة من أهل الرأي, عن سفيان الثوري, قال: قرأ واصل الأحدب هذه الآية وفي السّماءِ رِزْقُكُمْ وَما تُوعَدُونَ فقال: ألا إن رزقي في السماء وأنا أطلبه في الأرض, فدخل خربة فمكث ثلاثا لا يصيب شيئا, فلما كان اليوم الثالث إذا هو دوخلّة رطب, وكان له أخ أحسن نية منه, فدخل معه, فصارتا دوخلّتين, فلم يزل ذلك دأبهما حتى فرّق الموت بينهما.
واختلف أهل التأويل في تأويل, قوله: وَما تُوعَدُونَ فقال بعضهم: معنى ذلك: وما توعدون من خير, أو شرّ. ذكر من قال ذلك:
24909ـ حدثنا ابن حُمَيد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, عن مجاهد وَما تُوعَدُونَ قال: وما توعدون من خير أو شرّ.
حدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد وفي السّماءِ رِزْقُكُمْ وَما تُوعَدُونَ يقول: الجنة في السماء, وما توعدون من خير أو شرّ.
وقال آخرون: بل معنى ذلك: وما توعدون من الجنة والنار. ذكر من قال ذلك:
24910ـ حدثني محمد بن عبد الله بن بزيع, قال: حدثنا النضر, قال: أخبرنا جويبر, عن الضحاك, في قوله: وَما تُوعَدُونَ قال: الجنة والنار.
24911ـ حدثنا ابن حُمَيد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان وَما تُوعَدُونَ من الجنة.
وأولى القولين بالصواب في ذلك عندي, القول الذي قاله مجاهد, لأن الله عمّ الخبر بقوله: وَما تُوعَدُونَ عن كلّ ما وعدنا من خير أو شرّ, ولم يخصص بذلك بعضا دون بعض, فهو على عمومه كما عمه الله جلّ ثناؤه.

الآية : 23

القول في تأويل قوله تعالى: {فَوَرَبّ السّمَآءِ وَالأرْضِ إِنّهُ لَحَقّ مّثْلَ مَآ أَنّكُمْ تَنطِقُونَ }.
يقول تعالى ذكره مقسما لخلقه بنفسه: فوربّ السماء والأرض, إن الذي قلت لكم أيها الناس: إن في السماء رزقكم وما توعدون لحقّ, كما حقّ أنكم تنطقون. وقد:
24912ـ حدثنا محمد بن بشار, قال: حدثنا ابن أبي عديّ, عن عوف, عن الحسن, في قوله: فَوَرَبّ السّماءِ والأرْضِ إنّهُ لَحَقّ مِثْلَ ما أنّكُمْ تَنْطِقُونَ قال: بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «قاتل الله أقواما أقسم لهم ربهم بنفسه فلم يصدّقوه» وقال الفرّاء: للجمع بين «ما» و«إنّ»

في هذا الموضع وجهان: أحدهما: أن يكون ذلك نظير جمع العرب بين الشيئين من الأسماء والأدوات, كقول الشاعر في الأسماء:

مِنَ النّفَرِ اللاّئِي الّذِينَ إذَا هُمُيَهابُ اللّئامُ حَلْقَةَ الباب قَعْقَعُوا

فجمع بين اللائي والذين, وأحدهما مجزيء من الآخر وكقول الآخر في الأدوات:

ما إنْ رأيْتُ وَلا سَمِعْتُ بِهِكالْيَوْمِ طالِيَ أَيْنُقٍ جُرْبِ

فجمع بين «ما» وبين «إن», وهما جحدان يجزيء أحدهما من الآخر. وأما الآخر: فهو لو أن ذلك أفرد بما, لكان خبرا عن أنه حقّ لا كذب, وليس ذلك المعنيّ به. وإنما أُريد به: إنه لحقّ كما حقّ أن الآدميّ ناطق. ألا ترى أن قولك: أحقّ منطقك, معناه: أحقّ هو أم كذب, وأن قولك أحق أنك تنطق معناه للاستثبات لا لغيره, فأدخلت «أن» ليفرّق بها بين المعنيين, قال: فهذا أعجب الوجهين إليّ.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله: مِثْلَ ما أنّكُمْ فقرأ ذلك عامة قرّاء المدينة والبصرة مِثْلَ ما نصبا بمعنى: إنه لحقّ حقا يقينا كأنهم وجهوها إلى مذهب المصدر. وقد يجوز أن يكون نصبها من أجل أن العرب تنصبها إذا رفعت بها الاسم, فتقول: مثل من عبد الله, وعبد الله مثلك, وأنت مثلُه, ومثلَهُ رفعا ونصبا. وقد يجوز أن يكون نصبها على مذهب المصدر, إنه لحقّ كنطقكم. وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفة, وبعض أهل البصرة رفعا «مِثْلُ ما أنّكُمْ» على وجه النعت للحقّ.

والصواب من القول في ذلك عندي أنهما قراءتان مستفيضتان في قرأة الأمصار, متقاربتا المعنى, فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب.

الآية : 24-26

القول في تأويل قوله تعالى: {هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ * إِذْ دَخَلُواْ عَلَيْهِ فَقَالُواْ سَلاَماً قَالَ سَلاَمٌ قَوْمٌ مّنكَرُونَ * فَرَاغَ إِلَىَ أَهْلِهِ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ }.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم, يخبره أنه محلّ بمن تمادى في غيه, وأصرّ على كفره, فلم يتب منه من كفار قومه, ما أحلّ بمن قبلهم من الأمم الخالية, ومذكرا قومه من قريش بإخباره إياهم أخبارهم وقصصهم, وما فعل بهم, هل أتاك يا محمد حديث ضيف إبراهيم خليل الرحمن المكرمين.

يعني بقوله: المُكْرَمِينَ أن إبراهيم عليه السلام وسارّة خدماهم بأنفسهما.

وقيل: إنما قيل المُكْرَمِينَ كما:

24913ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: ضَيْفُ إبْرَاهِيمَ المُكْرَمِينَ قال: أكرمهم إبراهيم, وأمر أهله لهم بالعجل حينئذ.

وقوله: إذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ يقول: حين دخل ضيف إبراهيم عليه, فقالوا له سلاما: أي أسلموا إسلاما, قال سلام.

واختلفت القرّاء في قراءة ذلك, فقرأته عامة قرّاء المدينة والبصرة, قال: سَلامٌ بالألف بمعنى قال: إبراهيم لهم سلام عليكم. وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفة «سِلْمٌ» بغير ألف, بمعنى, قال: أنتم سلم.

وقوله: قَوْمٌ مُنْكَرُونَ يقول: قوم لا نعرفكم, ورفع «قوم منكرون» باضمار أنتم.

وقوله: فَرَاغَ إلى أهْلِهِ يقول: عدل إلى أهله ورجع. وكان الفرّاء يقول: الروغ وإن كان على هذا المعني فإنه لا ينطق به حتى يكون صاحبه مخفيا ذهابه أو مجيئه, وقال: ألا ترى أنك تقول قد راغ أهل مكة وأنت تريد رجعوا أو صدروا, فلو أخفى راجع رجوعه حسنت فيه راغ ويروغ.

وقوله: فَجاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ يقول: فجاء ضيفَه بعجل سمين قد أنضجه شيّا.

24914ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: فَرَاغَ إلى أهْلِهِ فَجاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ قال: كان عامة مال نبيّ الله إبراهيم عليه السلام البقر.

الآية : 27-29

القول في تأويل قوله تعالى: {فَقَرّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلاَ تَأْكُلُونَ * فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُواْ لاَ تَخَفْ وَبَشّرُوهُ بِغُلاَمٍ عَلَيمٍ * فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرّةٍ فَصَكّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ}.

وقوله: فَقَرّبهُ إلَيْهِمْ قالَ ألا تَأكُلُونَ؟ وفي الكلام متروك استغني بدلالة الظاهر عليه منه وهو فقرّبه إليهم, فأمسكوا عن أكله, فقال: ألا تأكلون؟ فأوجس منهم, يقول: فأوجس في نفسه إبراهيم من ضيفه خيفة وأضمرها قالُوا لا تَخَفْ وَبَشرُوهُ بغُلامٍ عَلِيمٍ يعني: بإسحاق, وقال: عليم بمعنى عالم إذا كبر, وذكر الفراء أن بعض المشيخة كان يقول: إذا كان للعلم منتظرا قيل: إنه لعالم عن قليل وغاية, وفي السيد سائد, والكريم كارم. قال: والذي قال حسن. قال: وهذا أيضا كلام عربيّ حسن قد قاله الله في عليم وحكيم وميت. وروي عن مجاهد في قوله: بغُلامٍ عليمٍ ما:

24915ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قوله: بِغُلامٍ عَلِيمٍ قال: إسماعيل.

وإنما قلت: عنى به إسحاق, لأن البشارة كانت بالولد من سارّة, وإسماعيل لهاجرَ لا لسارّة.

قوله: فأقْبَلَتِ امْرأتُهُ فِي صَرّةٍ يعني: سارّة, وليس ذلك إقبال نقلة من موضع إلى موضع, ولا تحوّل من مكان إلى مكان, وإنما هو كقول القائل: أقبل يشتمني, بمعنى: أخذ في شتمي. وقوله: فِي صَرّةٍ يعني: في صيحة. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

24916ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: فِي صَرّةٍ يقول: في صيحة.

حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: فأقْبَلَتِ امْرأتُهُ فِي صَرّةٍ فَصَكّتْ وَجْهَها يعني بالصرّة: الصيحة.

24917ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد فِي صَرّةٍ قال: صيحة.

24918ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: فأقْبَلَتِ امْرأتُهُ فِي صَرّةٍ: أي أقبلت في رنة.

حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة, في قوله: صَرّةٍ قال: أقبلت ترنَ.
24919ـ حدثنا ابن حُمَيد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, عن العلاء بن عبد الكريم اليامي, عن ابن سابَط, قوله: فأَقْبَلَتِ امْرأتُهُ فِي صَرّةٍ قال: في صيحة.
24920ـ حدثنا يونس,قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: فأَقْبَلَتِ امْرأتُهُ فِي صَرّةٍ قال: الصرّة: الصيحة.
24921ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد, قال سمعت الضحاك يقول في قوله: فِي صَرّةٍ يعني: صيحة. وقد قال بعضهم: إنّ تلك الصيحة أوّه مقصورة الألف.
وقوله: فَصَكّتْ وَجْهَها اختلف أهل التأويل في معنى صكها, والموضع الذي ضربته من وجهها, فقال بعضهم: معنى صكها وجهها: لَطْمِها إياه. ذكر من قال ذلك:
24922ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: فَصَكّتْ وَجْهَها يقول: لَطَمت.
وقال آخرون: بل ضربت بيدها جبهتها تعجبا. ذكر من قال ذلك:
24923ـ حدثني موسى بن هارون, قال: حدثنا عمرو بن حماد, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ, قال: لما بَشّر جبريل سارَة بإسحاق, ومن وراء إسحاق يعقوب, ضربت جبهتها عجبا, فذلك قوله: فَصَكّتْ وَجْهَها.
24924ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: فَصَكّتْ وَجْهَها قال: جبهتها.
24925ـ حدثني ابن حُمَيد, قال: حدثنا مهران, عن سفيان, عن العلاء بن عبد الكريم الياميّ, عن ابن سابَط, قوله: فَصَكّتْ وَجْهَها قال: قالت هكذا وضرب سفيان بيده على جبهته.
24926ـ قال: ثنا مهران عن سفيان فَصَكّتْ وَجْهَها وضعت يدها على جبهتها تعجبا, والصكّ عند العرب: هو الضرب. وقد قيل: إن صكها وجهها, أن جمعت أصابعها, فضربت بها جبهتها وَقالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ يقول: وقالت: أتلد وحذفت أتلد لدلالة الكلام عليه, وبضمير أتلد رفعت عجوز عقيم, وعنى بالعقيم: التي لا تلد. ذكر من قال ذلك:
24927ـ حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا سليمان, أبو داود, قال: حدثنا شعبة, عن مشاش, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: عَجُوزٌ عَقِيمٌ قال: لا تلد.
حدثني يعقوب بن إبراهيم, قال: حدثنا هشيم, قال: أخبرنا رجل من أهل خراسان من الأزد, يكنى أبا ساسان, قال: سألت الضحاك, عن قوله: عَقِيمٌ قال: التي ليس لها ولد.